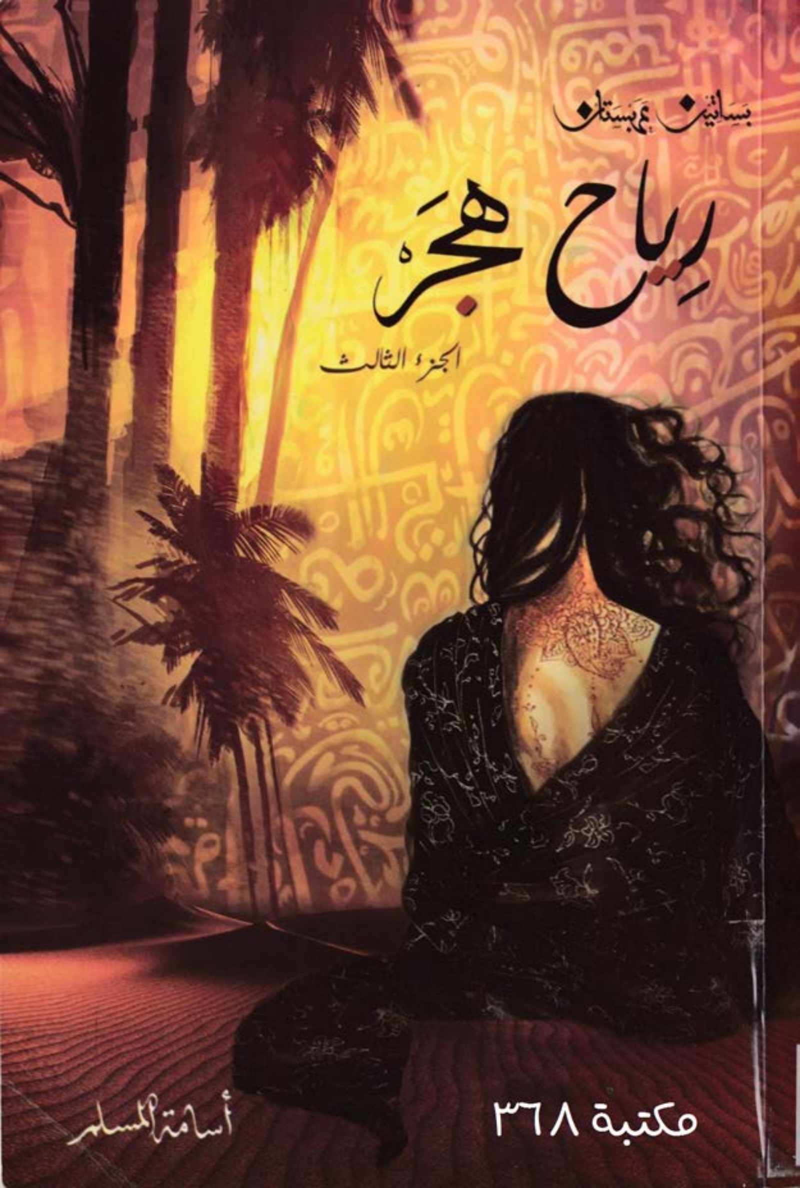

بساتين عربستان
رياح هجر
الجزء الثالث
أسامة المسلم
مكتبة ٣٦٨

مكتبة ٢٠١٩١٢٩

تصميم الغلاف:
@Shathahvi
@shathahvd

التجهيز والطباعة مركز خدمة المؤلفين

للتواصل: مركز خدمة المؤلفين

مسؤول النشر: للتواصل: مصر - 00201120102172
@services200
@services200
servicebook2@outlook.com
services_center@hotmail.com

رياح هجر

الجزء الثالث

من بساتين عربستان

الكاتب

أسامة المسلم

@komontage

@komontag_

Ask.fm: @komontag

الطبعة السادسة

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

اللهم أنزل على قبرها الضياء والنور
والفسحة والسرور
اللهم اقبلها في عبادك الصالحين
واجعلها من ورثة جنة النعيم

«من قلب (هجر) أتيت . .

من رحم (الجنوب) ولدت . .

في أرض (الحجاز) ترعرعت . .

وفي قلب أعدائي غرست . .»

دعجاء بنت وصبان

صبية وصبان

أنشبت العجوز أظفارها الطويلة في عنق (الشيخ) وسط صراخ (البدوي) وابنته (عِمرة)، بدأت بعدها بالضغط على عنقه وسحبه للأسفل حتى أنزلته على ركبتيه والدم يخرج من فمه وهي تقول بتجهم وغضب شديدين: أين بناتي؟!

(البدوي) بارتباك وخوف: اتركيه سوف تقتلينه!

التفتت (العجوز) نحو (البدوي) ورمقته بنظرة حادة وحدَّقت بابنته (عِمرة) التي كانت مختبئة خلفه وهي ترتجف من الخوف وقبل أن يكرر (البدوي) كلامه انتزعت (العجوز) جزءاً من حلق (الشيخ) ففارت على إثر ذلك دماؤه وسقط ميتاً. وقفت (العجوز) ويدها تقطر دماً و(شَبَث) الذي كان جاثماً تحت قدميها بدأ بلعق الدماء التي كانت تتقاطر من أناملها و(البدوي) وابنته يشاهدان ذلك المنظر برعب.

(العجوز) وهي تنظر لـ(الشيخ) وهو يحتضر ويغرغر في دمائه:.. أين بناتي؟

(البدوي) وهو يرتجف: عن من تتحدثين؟

(العجوز) تغمض عينيها وتأخذ نفساً عميقاً..

(عِمرة) وهي تشد رداء أبيها: لنخرج من هنا يا أبي!

(البدوي) وهو يحمل ابنته ويهم بالخروج: هيا بنا!

بمجرد أن أدار (البدوي) ظهره لـ(العجوز) وجد أظافرها العشرة مغروسة في عنقه تنتزع جزءاً كبيرا من لحمه. سقط (البدوي) وهو يصرخ تبع ذلك صرخات ابنته التي حاولت الامساك بأبيها قبل سقوطه نازفاً بغزارة لكنه فارق الحياة بمجرد ارتطامه بالأرض. بدأت الفتاة البكاء بحرقة وهي تعانق جثة أبيها و(العجوز) تتقدم بخطوات بطيئة نحو باب الخيمة للخروج منها و(شَبَث) يتبعها وعيناه على الفتاة.

خرجت (العجوز) من الخيمة وكان الوقت ليلاً وبدأت تتنفس بعمق وتحدق بالقمر شبه المكتمل وتقول بصوت خافت يخالطه التعب:

أين أنا؟.. ما الذي حدث..؟!

بعدها أحست العجوز بشيء يلكزها ويضربها ضربات خفيفة من الخلف فالتفتت لتجد (عِمرة) وهي توجه لها بعض اللكمات وهي تبكي وتقول:

لماذا قتلتِ أبي؟!.. لماذا؟!

مدت العجوز يدها وأمسكت بشعر الفتاة وسحبتها بقوة ورمتها أمامها وقالت: هل قبيلتكم هي من أغارت علي أنا وبناتي؟!

(عِمرة) وهي تبكي: أنا لا أعرف شيئاً!

(العجوز) وهي تتقدم نحو (عِمرة) ببطء: هل فعلتم ذلك لأننا هاجمنا قافلتكم؟

(عِمرة) تبكي ولا تجيب..

(العجوز) وهي تقف عند رأس (عِمرة) وترفع يدها:

لا فائدة من بقائك على قيد الحياة إذاً!

(شَبَث) يجري مسرعاً ويبدأ بتقبيل قدمي العجوز وهو يقول:

الرحمة لها.. الرحمة لها يا سيدة (دعجاء)..

(دعجاء) وهي تنظر لشيطانها الأحمر باستغراب: لم أسمعك من قبل تطلب الرحمة لأحد.. أو حتى تنطق باسمي..

(الشيطان الأحمر) وهو يقبل قدمي (دعجاء): مسكينة وتحبك.. مسكينة وتحبك..

نظرت (دعجاء) لـ(عِمرة) والتي كانت لاتزال تبكي وتغطي وجهها بكفيها وقالت:

ما اسمك يا صبية؟

(عِمرة) تبكي ولا تجيب..

(دعجاء) وهي تنهر (عِمرة): أجيبي وإلا قتلتك!!

(عِمرة) وهي تبكي بخوف: (عِمرة)..

(دعجاء): ما الذي جاء بي إلى هنا ولماذا أسرتموني؟

(عِمرة) وهي تبكي بصوت خفيض: نحن لم نأسرك لقد وجدتك قبيلتنا في الصحراء قبل عامين بين الحياة والموت وقد حاولنا علاجك دون فائدة حتى استطاع ذلك الشيخ الذي قتلتِه مع أبي علاجك بالحناء!

(دعجاء) تتمعن نقوش الحناء التي غطت جسدها..

(الشيطان الأحمر) وهو مازال متشكلاً بهيئة الصبي الصغير:

تقول الحق.. تقول الحق..

(عِمرة): لقد أوكل لي أبي العناية بك طيلة هذه المدة أنتِ و(شَبَث).

(دعجاء) بتعجب: (شَبَث) من؟

(عِمرة) وهي تشير لـ(الشيطان الأحمر) وهو ما زال متشكلاً بهيئة صبي صغير:

هذا الصبي الذي وجدناه معك..

(دعجاء) تنظر لـ (الشيطان الأحمر) الذي أنزل رأسه عندما وقعت عيناه على عيني (دعجاء) وهو يقول: تقول الحق.. تقول الحق..

(دعجاء) وهي سارحة في أفق الصحراء المظلم: وأين بناتي؟

(عِمرة) وهي تقف وتمسح دموعها وتتوجه لخيمة الشيخ وتقول بعصبية:

لا أعرف لقد وجدناك وحدك!.. ألا تذكرين ما حدث لك؟!

(دعجاء): إلى أين تذهبين؟

(عِمرة) وهي تصرخ بقوة: سأدفن ضحاياك!!

دخلت (عِمرة) الخيمة بعدما بدأت بالبكاء مرة أخرى وقالت (دعجاء) بعدما جلست على الأرض لشيطانها الأحمر: ساعدها..

توجه الشيطان الأحمر ودخل الخيمة وبدأ بمساعدة (عِمرة) في دفن أبيها والشيخ..

بعدما انتهى الاثنان من الدفن بقيت (عِمرة) بجانب قبر أبيها تذرف الدموع والشيطان الأحمر بجانبها وهو متشكل بهيئة الصبي يشاركها حزنها. بعد فترة قصيرة نادت (دعجاء) على الشيطان الأحمر فدنا منها وبدأ بتقبيل قدميها وهو يقول:

خادمك للأبد.. خادمك للأبد..

(دعجاء): ما بك؟.. تطلب الرحمة لبشر وتحزن لحزنهم وتتشكل بهيئة صبي صغير؟.. ما الذي حدث وأين (ربوح) و(هنان) وبقية بناتي؟

(الشيطان الأحمر) ينزل رأسه للأرض ولا يجيب..

(دعجاء): لا يهم هذا الآن المهم أن أبتعد من هذا المكان وأبحث عنهم..

(الشيطان الأحمر) وهو واقف مكانه ومطرقٌ رأسه للأرض: لا يوجد أحد..

(دعجاء) وهي تصرخ في وجه الشيطان الأحمر:

ماذا تقصد لا يوجد أحد!.. اذهب وابحث عنهم!

وقف (الشيطان الأحمر) في مكانه ورأسه للأرض ولم يتحرك..

(دعجاء) وهي تنهض من مكانها: لا فائدة منك سأجدهم بنفسي!

عقدت (دعجاء) أصابعها وبدأت بالتمتمة ببعض الطلاسم لكن لم يحدث شيء. أعادت الكرة مرة أخرى ولم يحدث شيء كذلك فقالت بغضب وهي تنظر ليديها:

تباً لهذه النقوش فهي تبطل طلاسمي!

نهضت (عِمرة) من أمام قبر أبيها وبدأت تقترب من (دعجاء) بحذر وقالت:

هل أنتِ ساحرة؟

(دعجاء) تجلس على الأرض وعلى وجهها ارتسمت معالم الغضب..

(عِمرة) وهي توجه كلامها لـ(الشيطان الأحمر): هل أمك ساحرة يا (شَبَث)؟

(دعجاء) وهي تضحك بسخرية: أمه؟!

(عِمرة): نعم.. ألستِ أمه يا عمة؟

(دعجاء) وهي تبتسم: اقتربي مني يا صبية

(عِمرة) وهي تنظر لـ(دعجاء) بقلق وخوف: لماذا يا عمة؟

(دعجاء): لا تقلقي لن يلحق بك سوء..

(عِمرة) تتقدم نحو (دعجاء) بخطوات حذرة..

(دعجاء) وهي تبتسم: اقتربي أكثر.

(عِمرة) وهي تقترب من (عجاء): هل هذا كافٍ يا عمة؟

(دعجاء) وهي تمسك بـ(عِمرة) وتضعها في حجرها عنوة: نعم..

بدأت (عِمرة) بالصراخ وهي تقول: ماذا ستفعلين بي؟!

(دعجاء) وهي تضحك: لستِ مهمة لهذا الحد يا بدوية!

(عِمرة) وهي تصرخ في (دعجاء): اتركيني إذاً!

(دعجاء): سأتركك بعد أن تحدقي بابني كما سميتِه.

(عِمرة) وهي توجه نظرها للشيطان الأحمر والذي كان متشكلاً بهيئة صبي: تقصدين (شَبَث)؟

(دعجاء) بسخرية: وهل عندي أبناء غيره؟

(عِمرة) وهي تحدق بـ(شَبَث): ما به؟

(دعجاء) موجهة كلامها للشيطان الأحمر:

تخلَّ عن هذا التشكل وعد لتشكلك السابق الذي اعتدت عليه.

نظر الشيطان الأحمر لـ(دعجاء) نظرة تنمُّ عن عدم الرغبة في تنفيذ طلبها لكنها نهرته بقوة وقالت: نفذ!

(عِمرة) باستغراب: لماذا تنهرينه هكذا فهو مجرد طفل صغير!!

(دعجاء) وهي تمسك بفك (عِمرة) وتديره نحو الشيطان الأحمر:

سترين طفلي الحقيقي الآن..

بدأ الشيطان الأحمر بالتلوي والتقلب وأحاطت به سحابة خفيفة من

الدخان حالما انقشعت ظهر بهيئة رجل حليق الرأس وبشع الوجه.

صرخت (عِمرة) مفزوعة وقالت: من هذا؟!

(دعجاء) وهي تضحك: ابني البكر!

تفلتت (عِمرة) من قبضة (دعجاء) خلال ضحكها ودنت من الشيطان الأحمر وهو متشكل بهيئة ذلك الرجل القبيح وقالت بمزيج من الخوف والاستغراب: (شَبَث)؟

أنزل الشيطان الأحمر رأسه بخجل وحزن ولم يرد..

(دعجاء) وهي تبتسم: لا يحق له الكلام دون إذني

(عِمرة) وهي تلتفت على (دعجاء): ومن أنتِ؟

(دعجاء): أنا (دعجاء بنت وصبان)!

(عِمرة): هل يجب أن يعني لي هذا الاسم شيئاً؟

(دعجاء) بغضب: أنا أعظم ساحرة في جزيرة العرب!

(عِمرة): يبدو أنكِ لا تتذكرين حالك في الفترة الماضية!

(دعجاء): ماذا تقصدين؟

(عِمرة) وهي تنظر للشيطان الأحمر بحزن:

لقد كنتِ تائهة بلا عقل وأنا و(شَبَث) كنا الوحيدَيْن اللذين اعتنيا بك واهتمّا لأمرك

(دعجاء) بسخرية: كنتِ خادمة مثله تخدمين سيدتك..

(عِمرة) بغضب خفيف: سيدة (دعجاء) لقد كنتِ لا تقوين حتى على تنظيف نفسك من فضلاتك وأنا كنت من يقوم بهذا الأمر باختياري دون إجبار.

نهضت (دعجاء) بغضب وأطبقت على عنق (عِمرة) بقوة وقالت:

كيف تتحدثين معي هكذا؟!

(عِمرة) وهي تمسك بقبضة (دعجاء) وتحاول التفلت منها: لأني كنت أحبك..

(دعجاء) وهي تترك عنق (عِمرة) باستغراب: تحبينني؟!

(عِمرة) وهي تجلس على الأرض وتضع يدها على عنقها من الألم: نعم كنت أحبك وأحب (شَبَث) وأحب أبي وقد حرمتني من كل ذلك في يوم واحد!.. أنتِ أسوأ شيء حدث لي في حياتي!

(دعجاء) وهي تنظر باستغراب للصبية التي هرع إليها الشيطان الأحمر وبدأ يساعدها على النهوض: ما الذي حدث؟ كم غبت عن هذه الدنيا لينقلب الحال هكذا؟

(عِمرة) وهي تنهض بمساعدة الشيطان الأحمر: أخبرتك بأننا وجدناك قبل عامين ولا أعرف شيئاً عدا ذلك.. ألا تذكرين أنتِ ما حدث لك؟

(دعجاء) وهي تجلس وتضع كفيها على رأسها: لا أذكر سوى أنني تركت بناتي عند البئر وطلبت منهن الانتظار ريثما أعود بحراس القافلة..

(عِمرة) وهي تجلس بجانب (دعجاء): أي قافلة؟

(دعجاء): القافلة التي كنا سننهبها.

(عِمرة): هل أنتِ ساحرة أم قاطعة طريق يا عمة؟

(دعجاء): لم أعد أعرف من أنا..

(عِمرة) وهي تنظر للشيطان الأحمر المتشكل بهيئة الرجل القبيح:

لماذا لا تسألين (شَبَث) أو أياً كان هذا الشيء!

(دعجاء) وهي توجه نظرها للشيطان الأحمر:

ماذا حدث ذلك اليوم؟.. تكلم.. أسمح لك بالكلام..

(شَبَث): دم.. الكثير من الدم..

(دعجاء) بتوتر وغضب: دم؟!.. دم من؟!.. تحدث بكلام مفهوم!

(شَبَث) وهو ينزل رأسه للأرض بخوف: دم.. الكثير من الدم..

(دعجاء) وهي ترمي حجراً باستياء وغضب نحو (شَبَث):

لا فائدة من الحديث معه!

(عِمرة): لماذا تعاملينه بقسوة هكذا؟

(دعجاء): أعامل من؟

(عِمرة): (شَبَث).. فهو مسكين ويحبك.

(دعجاء) وهي تضحك: مسكين؟.. هذا شيطان لعين وقد حاول قتلي في الماضي لكني ربطته وسخرته لخدمتي ولو كان مخيراً لذبحنا نحن الاثنتين!

(عِمرة) وهي تنظر لـ(شَبَث) باستغراب: لكنه صديقي وقد أمضيت معه سنتين من عمري لم أرَ منه أي سوء!

(دعجاء): هذا لأنكِ حمقاء

(عِمرة) بغضب: أنا لست حمقاء!

(دعجاء): بلهاء إذاً؟

(عِمرة) باستغراب: ومالفرق؟

(دعجاء) تضحك بقوة وتسعل قليلاً..

(عِمرة) بوجه عابس: أنتِ لئيمة!

(دعجاء) وهي توجه كلامها لـ(شَبَث) بسخرية: اذهب وابحث لنا عن مصدر للماء يا فلذة كبدي.

تحرك (شَبَث) بسرعة واختفى في العتمة..

(عِمرة): لماذا ترسلينه في هذا الوقت المتأخر وفي مكان خطر كهذا؟

(دعجاء): ما بك يا حمقاء؟ هذا شيطان وليس ببشر!

(عِمرة) وهل الشياطين لا تملك مشاعرا؟

(دعجاء): لست مسؤولة أو مهتمة لمشاعرها.

(عِمرة): لأنكِ قاسية.

(دعجاء) وهي تنظر لـ(عِمرة) وتبتسم نصف ابتسامة:

في الماضي كنت سأفصل عنق أي شخص يوجه مثل هذا الكلام لي..

(عِمرة): وما الذي يمنعك الآن؟

(دعجاء): لا أعرف ربما تقدمت في العمر ولم أعد أهتم لتفاهات الصغار.

(عِمرة): النساء مع تقدم العمر لا يزددن إلا مرارة..

(دعجاء) وهي تضحك: لسانكِ يقطر سماً.. كم عمرك يا صبية؟

(عِمرة): كم عمرك أنتِ؟

(دعجاء) وهي تضحك: وما شأنك بعمري؟

(عِمرة): وما شأنك أنتِ بعمري؟

(دعجاء): أريد ان أعرف كم من السنين استغرقتِ كي تخمري ذلك السم الذي يخرج من فيك!

(عِمرة): وهل الحقيقة أصبحت سماً مراً الأن، كنت أظن أنها مرة فقط؟

(دعجاء): لا يوجد حقيقة مرة.. المرارة التي نتذوقها ماهي إلا مرارة دواخلنا فقط

(عمرة): إذاً فهي مسمومة فقط؟

(دعجاء): ربما لي نعم.. على أي حال أنتِ لا تبدين أكبر من اثنى عشر عاماً بالرغم من لسانك المتذاكي.

(عمرة): وهل امتلاك لسان متذاكٍ أمر سيئ ياعمة؟

(دعجاء): امتلاك لسان لا يعني بالضرورة امتلاك عقل..

(عمرة) بوجه محبط: هل يعني ذلك أني غبية؟

(دعجاء) وهي تضحك: أنا لم أقصدك يا ذكية..

صمتت الاثنتان لفترة قصيرة ثم قالت (دعجاء):

معنى ذلك أنك بدأتِ تعتنين بي وأنتِ في العاشرة من عمرك..

(عِمرة) وهي تحدق في الأفق: نعم ربما..

(دعجاء): مسؤولية كبيرة على طفلة!

(عِمرة): (شَبَث) كان يساعدني.

(دعجاء): يساعدك في ماذا؟.. لقد كان متشكلا بهيئة طفلٍ في الثامنة من عمره!

(عِمرة): ساعدني بما يستطيع..

(دعجاء): تتحدثين عنه وكأنه كان مهتماً لأمري!

(عِمرة): لقد كان مهتماً.

(دعجاء): أخبرتك أنه شيطان مربوط ولا خيار أمامه.

(عِمرة): وهل من واجبات الشيطان المربوط العناية بصاحبه أم تنفيذ أوامره فقط؟

(دعجاء) تنظر لـ(عِمرة) باستغراب..

(عِمرة): لم يكن ملزماً إلا بتنفيذ أوامرك وأنتِ كنتِ مغيبة عن هذا العالم وكان من السهل عليه أن يتركك لتهلكي.

(دعجاء) وهي تعيد نظرها نحو الأفق: لا تعبثي بعقلي يا أفعى.

(عِمرة) تبتسم بصمت..

(دعجاء): لا تبدين مستاءة كثيراً من موت أبيك.

(عِمرة): البكاء والنحيب لن يعيد أحداً..

(دعجاء): فقدت أبي عندما كنت بعمرك تقريباً.

(عِمرة): كيف؟

(دعجاء): كان ذلك منذ زمن بعيد ولا أريد التذكر.

عاد (شَبَث) مهرولاً وهمس في أذن (دعجاء) وقال: بئر.. شمالاً.. نصف يوم..

نهضت (دعجاء) وقالت لـ(عِمرة): هيا لنذهب باتجاه البئر للتزود بالماء

(عِمرة): هل ستأخذينني معك؟

(دعجاء): هل تفضلين البقاء وحدك هنا؟

(عِمرة): لا أريد أن تأخذيني معك من باب الشفقة أستطيع تدبر أمري لوحدي.

(دعجاء): كما تشائين.. ابقي هنا لوحدك..

همت (دعجاء) بالمشي لكنها أحست بدوار وبدأت بالترنح وسقطت على الأرض مغشياً عليها. استيقظت بعدها في خيمة الشيخ بعد العصر و(عِمرة) و(شَبَث) بجانبها وبمجرد استيقاظها مدت لها

(عِمرة) بعض الماء في قربة صغيرة وقالت:

اشربي يا عمة..

(دعجاء): ماذا حدث لي؟

(عِمرة): لقد فقدتِ الوعي فذهبت مع (شَبَث) للبئر واحضرنا بعض الماء.

(دعجاء): كم بقيت فاقدة للوعي؟

(عِمرة): يوماَ ونصف اليوم تقريباً.

(دعجاء) وهي تأخذ قربة الماء وتشرب منها: ماذا يحدث لي؟

(عِمرة): لم تستعيدي عافيتك بعد لقد كنتِ مريضة لفترة طويلة.

(دعجاء) وهي تضع قربة الماء جانباً: كيف اقنعتِ الشيطان بالذهاب معك؟

(عِمرة): لقد لحق بي دون أن أطلب منه.

(دعجاء) وهي تبتسم بسخرية: يبدو أنه يستحق لقب (شَبَث) الذي اطلقته عليه!

(عِمرة) وهي تبتسم: نامي الآن يا عمة وارتاحي.

(دعجاء): لا يمكنني أن أرتاح قبل أن أعرف مصير بناتي.

(عِمرة): سنبحث عنهن بعد أن تستعيدي عافيتك وتستطيعي تحمل مشقة السفر.

(دعجاء): لولا هذه النقوش اللعينة لاستطعت استخدام طلاسمي

والعودة لآخر مكان كنت معهم فيه.

(عِمرة): هل تظنين أنهم ما زالوا بانتظارك؟

(دعجاء): لا أعرف لكن يجب أن أبحث عنهم.

(عِمرة): بحثت في خيمة الشيخ ووجدت بعض الطعام هل ترغبين بشيء يسد جوعك؟

(دعجاء): لست جائعة.

(عِمرة): لم تتناولي شيئا منذ يومين.

(دعجاء): أنتِ غريبة.

(عِمرة): لماذا؟

(دعجاء): لم أعرفك إلا منذ يومين وخلالهما قتلت أباك ومع ذلك تعتنين بي!

(عِمرة): أنا أعتني بكِ منذ مدة أطول من ذلك يا عمة.

(دعجاء): لو كنتِ سوية لسعيتِ للثأر لأبيك بقتلي خلال نومي.

(عِمرة): وهل ذلك سيعيده؟

(دعجاء): لا.. لكنك ستطفئين نار سخطك علي.

(عِمرة): ومن قال أني ساخطة عليك؟

(دعجاء): وهذا ما يريبني منك.

(عِمرة) وهي تبتسم: أعرف أنك فعلتِ ذلك في لحظة خوف فقط.

(دعجاء):...

(عِمرة): قلقك الدائم على بناتك لا يشير إلى أنك امرأة شريرة.

(دعجاء): هل أنتِ واثقة بأنكِ في الثانية عشر من عمرك؟

(عِمرة) وهي تبتسم: هل أنتِ واثقة من أنكِ لا تريدين بعض الطعام؟

(دعجاء) وهي تبتسم: نعم لا أريد.

(عِمرة) تمرر أصابعها في شعر (دعجاء) وهي تبتسم..

(دعجاء): ماذا تفعلين؟

(عِمرة): شعرك جميل يا عمة.

(دعجاء):...

(عِمرة): هل تسمحين لي بتجديله فهو طويل جداً والضفيرة ستكون جميلة جداً عليك.

(دعجاء) باستغراب: أليس لديك شيء أفضل تقومين به بدلاً من اللعب بشعري؟

(عِمرة) وهي تنهض وتستقر خلف (دعجاء) وتبدأ في فل شعرها: لا..

(دعجاء) تبتسم..

(عِمرة): كم ضفيره تريدين يا عمة؟.. واحدة أم اثنتين؟

(دعجاء) بوجه حزين: خمسة..

(عِمرة) باستغراب: خمسة؟!

(دعجاء): نعم خمسة.. ضفيره عن كل بنت من بناتي..

بدأت (عِمرة) بتجديل شعر (دعجاء) بصمت..

(دعجاء) تحدق بالأفق الذي بدأت الشمس تختفي خلفه ببطء..

(عِمرة): هل تسمحين لي يا عمة بقص جزءٍ من شعرك؟

(دعجاء) بغضب: لا!

(عِمرة): لماذا؟

(دعجاء): لم أقصه إلا مرة واحدة في حياتي وأقسمت ألا أقصه بعدها.

(عِمرة) وهي تبدأ في ربط الضفيرة الأولى: ومتى كان ذلك؟

(دعجاء) بوجه حزين: ليلة زفافي..

(عِمرة) وهي تضحك: زواجك من أبي (شَبَث)؟

(دعجاء) وهي تبتسم بحزن: ليته كان شيطاناً ولم يكن ذلك الرجل..

(عِمرة) باستغراب: ماذا تقصدين يا عمة؟

(دعجاء) بوجه حزين: لقد كان أسوأ من أي شيطان على الأرض أو تحتها.

(عِمرة): أخبريني يا عمة..

(دعجاء): لن أخبرك كي لا تظني أن الزواج بشع لهذا الحد وأن كل حب يتبعه سَدَم.

(عِمرة) وهي تجدل شعر (دعجاء) وتبتسم: هل كنتِ تكرهين زوجك إلى هذا الحد يا عمة؟

(دعجاء): لم أكره أحداً في حياتي كما كرهت ذلك اللعين؟

(عِمرة) باستغراب: لماذا تزوجته إذاً؟

(دعجاء): هل تريدين حقاً معرفة ذلك؟

(عِمرة) وهي تبتسم:

نعم فشعرك طويل وكثيف وسيستغرق وقتاً حتى أنتهي منه.

(دعجاء): سأحكي لكِ إذاً من البداية.. بداية حياتي مع أبي بعد خروجنا من «هجر» بسنوات.

***

كمد البتول

(دعجاء): خرج أبي من «هجر» عندما كنت في السابعة ولم أكن أعرف سبب تركه لها بالرغم من حبه الشديد لأرضها وهيامه بها حتى يوم مماته.. رحلنا وتوجهنا شمالاً وانتهى بنا المطاف في بادية كانت تسكنها قبيلة كبيرة طلب أبي من شيخها اللجوء فاستقبله وأكرمه ووفر له الملجأ والإقامة دون سؤال أو شرط.. لا أذكر الشيء الكثير من تلك الفترة لكني أذكر كيف تربيت بين أفراد تلك القبيلة كواحدة منهم ولم أحس يوماً بأني دخيلة عليهم.. تزوج أبي من إحدى نساء القبيلة عندما بلغت العاشرة وكانت زوجته تعاملني كابنتها تماماً حتى بعد أن أنجبت من أبي أخي الوحيد.. عندما بلغت الثانية عشر تقدم لخطبتي شيخ القبيلة الذي آوانا ولم يستطع أبي رفض طلبه بعد كل ما قدمه لنا لكنه طلب منه أن ينتظر قليلاً حتى أهجر اللعب لكن الشيخ رفض ولمح لأبي بالأفضال التي تفضل عليه بها في السابق وكان تلميحه في سياق المن لا التذكير.

(عِمرة): وماذا فعل أبوك؟

(دعجاء) بحزن: أجلسني وتحدث معي وأخبرني بطلب شيخ القبيلة ورغبته في الزواج والارتباط بي وقال أن لي الحرية في الرفض أو القبول لكننا يجب أن نرحل في حال رفضي.

في تلك الفترة كانت (دعجاء) تعيش مع أبيها وعمتها (دخيمة) وأخيها حديث الولادة (نهشل) وكانت متعلقة بشكل كبير بهما لذا كانت مترددة في الموافقة على طلب شيخ القبيلة خاصة وأنها في تلك الفترة لا تعي معني الزواج وما المطلوب منها كزوجة.

(وصبان): لقد كبرتِ يا (دعجاء) وقرار الزواج بيدك ولن أجبرك على القبول بهذا الرجل مهما كنت أدين له.

(دعجاء): وما الذي سأفعله معه يا أبي؟

(وصبان) بوجه حزين: ستعيشين معه؟

(دعجاء) بحزن: لكني لا أريد أن أترككم.

(وصبان): ستكونين معنا في نفس المكان وخيام الشيخ ليست بعيده عن هنا.

(دعجاء): خيام؟.. كم خيمة يملك الشيخ!

(وصبان) وهو يبتسم بحزن: الشيخ يملك خيام كثيرة وزوجات وأبناء كثر.

(دعجاء): لماذا يريد مني أن أعيش معه إذا لم يكن وحيداً؟

صمت (وصبان) وأنزل رأسه للأرض ولم يجب على ابنته..

(دخيمة) وهي تضع يدها على كتف (وصبان): سأتحدث أنا معها.

(وصبان) بغضب: لا تجبريها إذا كانت لا تريد!

(دخيمة) وهي تبتسم وتمسك بيد (دعجاء): لن أجبرها على شيء يا أبا (نهشل) سوف أشرح لها فقط ما لم تستطع أنت ايصاله لها.

(وصبان) لـ(دعجاء) بوجه حزين: اذهبي مع عمتك يا (دعجاء).

همت (دعجاء) بالرحيل مع عمتها وقبل رحيلها أمسكها (وصبان) من معصمها وقال: تذكري يا ابنتي أنكِ لستِ مجبرة على شيء.

ابتسمت (دعجاء) وترك (وصبان) يدها بعدما بادلها الابتسام..

بعد أقل من ساعة عادت (دخيمة) لـ(وصبان) وقالت له:

ابنتك وافقت على الزواج من شيخ القبيلة.

(وصبان) وهو يلاعب ابنه (نهشل) دون أن يلتفت على (دخيمة):

هل أجبرتها على هذا القرار يا أم (نهشل)؟

(دخيمة) وهي مبتسمة: يمكنك سؤالها لو أحببت..

(وصبان): لا داعي لذلك سوف أذهب لشيخ القبيلة غداً وأخبره بأننا وافقنا على طلبه.

بعد أيام من إخبار (وصبان) شيخ القبيلة بالموافقة بدأت الاحتفالات تعم مضارب القبيلة وبدأت الولائم تعد وتوزع بشكل يومي على أفرادها وكان من عادات تلك القبيلة أن تدوم الاحتفالات فيها عشرة أيام قبل أن يدخل الشيخ بعروسه الجديدة. كانت (دعجاء)

سعيدة جداً وهي تتلقى الهدايا بشكل يومي من نساء القبيلة وكانت سعيدة أكثر بالملابس والعطور والحلي التي أغرقت بها خلال فترة الاحتفالات إلا أن (وصبان) لم يشارك ابنته تلك الفرحة كثيراً وكان يكتفي بالابتسام لها في كل مرة تأتي إليه سعيدة بهدية ما. لاحظت زوجة (وصبان) انزعاجه فقررت التحدث معه في الموضوع.

(دخيمة): ما بك يا أبا (نهشل)؟.. لما لا تشاركنا سعادتنا والخير الذي هلّ علينا؟

(وصبان) بعصبية: خير؟!.. أي خير؟!.. لقد بعت ابنتي لذلك العجوز؟!

(دخيمة) وعلى وجهها قلق وتوتر: أرجوك يا (وصبان) لا تتفوه بمثل هذا الكلام أمام أحدٍ من أفراد القبيلة كي لا يصل الخبر للشيخ وتكون عاقبتنا وخيمة.

(وصبان): هل تظنين أني لا أستطيع حمايتكم؟

(دخيمة): أبداً يا أبا (نهشل) لم أقصد ذلك لكن كلامك قد فات أوانه و(دعجاء) أصبحت زوجته ولا فائدة من الحديث في الأمر الأن.

(وصبان) بوجه عابس: اتركيني الآن مع همي!

رحلت (دخيمة) وتركت زوجها والهم قابض على صدره..

حل اليوم العاشر وزُفت (دعجاء) إلى شيخ القبيلة في موكب كبير من الخيول التي امتطاها أبرز فرسان القبيلة وكانت في كامل زينتها

وقامت عمتها (دخيمة) بقص شعرها الطويل لحدود أكتافها كما طلب الشيخ منها قبل زفاف (دعجاء) إليه وبعد دخولها خيمة الشيخ وجدته متوسداً على الأرض يشير لها بالاقتراب منه وهو يقول: اقتربي مني يا جميلة..

في تلك اللحظة شعرت (دعجاء) بنبضات قلبها وهي تدق بقوة وبسرعة وبدأت أنفاسها بالتسارع وتسمرت في مكانها ولم تقوَ على الحراك. نهر الشيخ (دعجاء) وقال: ما بك تقفين كالبهيمة؟!.. تعالي إلى هنا؟!

تحركت (دعجاء) بخطوات متسارعة نحو الشيخ ووقفت أمامه وبدأت بالبكاء..

(الشيخ) وهو يبتسم ويضع يده على كتفها ويقربها منه: لا تبكي يا جميلة..

أتم الشيخ زفافه على (دعجاء) تلك الليلة وسط صراخ سمعته الخيام المجاورة..

في اليوم التالي توجهت (دخيمة) لخيمة الشيخ للاطمئنان على (دعجاء) بعد ليلتها الأولى وعند وصولها منعها الحراس بحجة أن الشيخ لم يخرج بعد ولم يسمح لأحد بالدخول عليه.

(دخيمة) لأحد الحراس: لماذا تمنعني من الدخول؟.. أتيت للاطمئنان على ابنتي

(الحارس): يمكنك العودة عندما يخرج الشيخ.

(دخيمة): ومتى سيخرج؟

(الحارس) بغضب: وقتما يشاء!.. ارحلي الآن!!

لم ترحل (دخيمة) ووقفت بالقرب من الخيمة حتى خرج الشيخ بعد ساعة تقريباً فتوجت إليه وحنت رأسها وقالت: ليلة مباركة أيها الشيخ.

(الشيخ) وهو ينظر لـ(دخيمة): من أنتِ؟

(دخيمة) ورأسها ما زال منحنياً: أنا (دخيمة) زوجة (وصبان)

ابتسم الشيخ وقال: أتيتِ لزيارة (دعجاء)؟

(دخيمة) وهي ترفع رأسها وتبتسم: نعم.

(الشيخ): وما هذا الذي معك؟

(دخيمة): بعض الملابس التي لم يسعفنا الوقت لإحضارها.

(الشيخ) وهو يبتسم: جيد.. أريد رؤيتها بحلة جديدة الليلة.

(دخيمة):...

(الشيخ) وهو يهم بالرحيل: ادخلي عليها فهي بالداخل.

دخلت (دخيمة) لخيمة الشيخ والبسمة مرتسمة على وجهها لكن ابتسامتها تحولت لدمعة مباغتة عندما رأت (دعجاء) منزوية في أحد أركان الخيمة تبكي بأنين وثيابها ممزقة والجروح والكدمات تملأ جسدها. دنت (دخيمة) ببطء وهي في حالة من الذهول والعجب لما

تراه أمامها وعندما وصلت عند (دعجاء) قالت:

ما بك يا ابنتي؟

لم ترد (دعجاء) عليها واستمرت بالبكاء فقامت (دخيمة) بسحب غطاء كان ملقياً على الأرض وغطتها به وهي تقول: هيا لنخرج من هنا..

استندت (دعجاء) على كتف عمتها وحاوت السير لكن من الواضح أنها كانت مرهقة ولا تستطيع المشي بسهولة فحملتها (دخيمة) وتوجهت لخارج الخيمة لكن الحراس وبمجرد رؤيتهم لـ(عجاء) معها منعوها من الرحيل وقالوا:

أنتِ يمكنك الرحيل لكن زوجة الشيخ لن تخرج دون إذنه!

(دخيمة) بغضب: الفتاة مصابة ويجب أن أعالجها.

(الحارس): ليس لدينا أوامر بذلك وأنصحك بإرجاعها للداخل قبل عودة الشيخ لأنه لو رآها معك خارج خيمته سيأمرنا بقتلك ولن نتردد في تنفيذ أوامره.

عادت (دخيمة) للخيمة ومعها (دعجاء) وهي غاضبة ووضعتها على الفراش ومسحت على جبينها وقالت: لا تقلقي سأعود..

خرجت (دخيمة) من الخيمة بوجه عابس وتوجهت مباشرة لـ(وصبان) وحكت له ما حدث فنهض مفزوعاً من وقع ما سمعه وهم بالتوجه نحو خيمة شيخ القبيلة لكن (دخيمة) استوقفته وقالت:

ماذا ستفعل يا أبا (نهشل)؟

(وصبان): ريثما أعود فكري واختاري بيني وبين قبيلتك.

(دخيمة) دون تردد: أختارك أنت لكن لا أريد أن أخسرك في حموتك للثأر لابنتك.

(وصبان) وهو يكمل طريقة نحو خيمة الشيخ: استعدي للرحيل عندما أعود..

وصل (وصبان) لخيمة شيخ القبيلة وقبل أن يوقفه حراسها ويمنعوه من الدخول سقطوا صرعى على الأرض فدخل الخيمة ليجد (دعجاء) في حالة يرثى لها فزاد غضبه وحملها على كتفه وعاد لخيمته ليجد (دخيمة) قد أعدت العدة للرحيل ومعها طفلها الرضيع (نهشل). أمر (وصبان) زوجته بركوب جواد كانوا يملكونه والتوجه جنوباً.

(دخيمة) وهي تركب الجواد و(نهشل) بين ذراعيها: وأنت ألن تأتي معنا؟

(وصبان) وهو يضع (دعجاء) خلف (دخيمة) بعد أن لفها بغطاء أبيض:

ارحلوا أنتم وسألحق بكم..

(دخيمة) والقلق على وجهها:

لن أرحل من دونك!.. لماذا تريد البقاء هنا؟!.. سيقتلونك!

(وصبان): لن أرحل قبل أن آخذ حق ابنتي!

(دخيمة): أي حق ستأخذه منهم؟!.. هل ستواجه قبيلة بأكملها لوحدك؟!

(وصبان): معكِ حق الكفة غير متوازنة لكن هذا ليس عذراً لأعفوَ عنهم.

(دخيمة) تنظر لـ(وصبان) باستغراب وصمت..

(وصبان) وهو يضرب الجواد على مؤخرته بكفه: سألحق بكم لاحقاً!

انطلق الجواد مسرعاً نحو الجنوب و(دخيمة) تنظر لزوجها بعينين دامعتين وهو يعود نحو مضارب القبيلة. لم تكن (دخيمة) تعلم بأن (وصبان) كان من كبار السحرة فهو لم يخبرها يوماً بذلك لذلك كان قلقها عليه مبرراً لكنها لم تستطِع منعه من العودة للقبيلة وتيقنت من موته. عندما وصل (وصبان) لخيمة الشيخ وجد تجمعاً كبيراً لفرسان القبيلة حول الشيخ الذي كان يصرخ بأعلى صوته وهو يقول:

أحضروا لي ذلك السافل مع ابنته!!

(وصبان): أنا هنا يا شيخ..

التفت شيخ القبيلة على (وصبان) بغضب وقال: أتيت لقبرك يا (وصبان)!

(وصبان) بصوت مرتفع مخاطباً الناس التي تجمهرت حولهم:

ثأري مع زعيمكم فقط لذا من سيتدخل منكم ويحاول الذود عنه سيكون دمه مباحاً!

ضحك شيخ القبيلة ومن معه من الفرسان وبعض الناس المتجمهرة وقال:

لا تضيعوا الوقت واقتلوا هذا المجنون وابحثوا عن ابنته واحضروها لي فوراً!

عقد (وصبان) أصابعه وبدأ يتمتم ببعض الطلاسم التي مزقت معظم الفرسان حوله ودفعت الناس للهروب في حالة من الهلع والخوف. هرب شيخ القبيلة جرياً على قدميه وتبعه بعض الفرسان الذين نجوا من طلسم (وصبان) الذي تبعه بخطوات متسارعة حتى وصل الشيخ لتجمع آخر من فرسان القبيلة ليأمرهم بالهجوم على (وصبان) وقتله فوراً. نفذ الفرسان أمر شيخهم لكنهم سقطوا جميعاً ضحاياً لطلاسم (وصبان) خلال ثوان. اقترب (وصبان) من شيخ القبيلة الذي خر على الأرض وهو يتوسله ويقول: الرحمة!.. الرحمة يا أبا (نهشل)!

(وصبان) وهو يحدق بشيخ القبيلة بتجهم وغضب:

وهل رحمت ابنتي عندما فعلت بها ما فعلت؟!

بدأ شيخ القبيلة بالبكاء و(وصبان) يعقد أصابعه في نية لقتله لكنه توقف عندما سمع صوتاً قادماً من خلفه يقول: توقف وإلا قتلتهم!

التفت (وصبان) خلفه ليجد أحد فرسان القبيلة ممسكاً بزوجته (دخيمة) وفي يدها ابنه (نهشل) لكنه لم ير (دعجاء) معها.

(وصبان) وعلى وجهه القلق: أين ابنتي يا (دخيمة)؟

(دخيمة) في قبضة الفارس تبكي دون أن ترد على (وصبان)..

نهض شيخ القبيلة وهو يضحك منتشياً ويقول:

لم يعد هناك جدوى من المقاومة يا (وصبان) زوجتك وابنك في قبضتي!

خلال حديث شيخ القبيلة تجمع ما تبقى من فرسان القبيلة بما فيهم بعض أبناء شيخ القبيلة وحاصروا (وصبان) من جميع الاتجاهات.

(الشيخ): سوف نقتلك الآن يا (وصبان) وأية مقاومة منك ستؤدي إلى موت زوجتك وابنك في نفس اللحظة!.. انزل على ركبتيك وتقبل مصيرك!

نظر (وصبان) لـ(دخيمة) وعلى وجهه الحسرة وخيبة الأمل..

(دخيمة) وهي تصرخ في (وصبان): لا تجعلني سبباً لكسرك يا أبا (نهشل)!

(وصبان) يحدق بـ(دخيمة) التي كانت تحدق فيه بصرامة وتهز رأسها بالموافقة..

ابتسم (وصبان) ورفع كفه في وجه (دخيمة) وأحرقها مع ابنه (نهشل) والفارس الذي كان ممسكاً بها وسط ذهول شيخ القبيلة وفرسانه وبعض افراد القبيلة الذين كانوا متجمهرين حولهم وقبل أن يتحرك أحد منهم عقد (وصبان) أصابعه وقرأ طلسما أحرق كل من كان حوله بما فيهم شيخ القبيلة وفرسانها وعدداً كبيراً من أفرادها.

بدأ (وصبان) بالتجول بين رماد من أحرقهم وهو يرى من تبقى من أفراد القبيلة يصرخون ويهربون من أمامه وخلال تجوله أصيب بسهم ارتكز مباشرة في قلبه. أمسك (وصبان) السهم وكسره ثم رفع رأسه ليجد كتيبة كاملة من الرماة يقفون أمامه وأنصال سهامهم مشدودة وموجهة باتجاهه. عقد (وصبان) أصابعه لكن كتيبة الرماة أمطرته بالسهام ليقع صريعاً في الحال.

قالت (عِمرة): وكيف علمتِ بما حدث يا عمة؟.. وكيف نجوتِ؟

(دعجاء) وهي تدمع: علمت بما حدث لأبي عندما عدت للقبيلة باحثة عنه بعد سنوات.

(عِمرة): وأين كنتِ قبلها؟

(دعجاء): كنت معها..

(عِمرة) باستغراب: مع من؟

(دعجاء): عندما خرجت مع عمتي (دخيمة) وأخي (نهشل) من القبيلة لم نقطع مسافة طويلة حتى لمحنا أحد فرسان القبيلة الذي لحق بنا فور رؤيته لنا خارجين من القبيلة وعندما لاحظت عمتي أن دابته أسرع من دابتنا وأنه سيلحق بنا لامحالة نزلت من صهوة جوادها مع أخي وانتظرت حتى وصل الفارس إلينا ونزل من جواده فضربت الجواد الذي كنت عليه لينطلق بي في الصحراء بلا وجهه وعندما التفتُّ إليها وجدتها قد اشتبكت مع الفارس كي تمنعه من اللحاق بي.

(عِمرة): ولماذا فعلت ذلك وضحت بنفسها وبابنها؟

(دعجاء): لا أعرف.. تمنيت أنها لم تفعل ما فعلته ذلك اليوم.

(عِمرة): لماذا؟

(دعجاء): لأنني أعيش ذنب موتها مع أبي وأخي كل يوم.

(عِمرة): لقد انتهيت.

(دعجاء) وهي تمسح دمعه على وجنتها: انتهيتِ من ماذا؟

(عِمرة) وهي تبتسم: من الضفيرة الأولى.

(دعجاء) تبتسم بحزن وتصمت..

(عِمرة): لم تخبريني يا عمة بما حدث لك بعد خروجك من القبيلة وكيف نجوتِ وحدك.

(دعجاء): جدّلي ضفيرتي الثانية وسأخبرك..

بدأت (عِمرة) بتجديل الضفيرة الثانية من شعر (دعجاء)..

***

الزنبقة المقلوبة

كاهن يدخل مع مجموعة من تلامذته على سيدتهم في أحد الكهوف في جبل (آريان)..

(الكاهن) بوجه تعتليه الخيبة: لم نجد الزهرة يا سيدة (جهنم)..

(جهنم): هل استعنتم بالجن الأزرق ليساعدكم في البحث؟

(الكاهن): نحن لا نتعامل مع الجن أو الشياطين وانتي تعرفين ذلك يا سيدتي

(جهنم) بسخرية: ومالمانع لو إستعنا بهم؟

(الكاهن) وهو ينزل رأسه: هذا يتنافى مع كل مانؤمن به

(جهنم) وهي تبتسم بسخرية: نعم.. أعرف مدى تشبثكم بعقيدتكم

(أحد تلامذة الكاهن): عقيدتنا هي أساس بقائنا ومجرد التفكير في خرقها أمر لا يغتفر

(جهنم) بتجهم: من أنت لتتحدث معي؟!

وقبل أن يرد التلميذ وجدا خنجراً مغروساً في صدره بعدما رمته

(جهنم) تجاهه..

أنزل البقية رؤوسهم في خوف ووجل ثم قال الكاهن:

سنستمر في البحث يا سيدتي حتى نجد تلك الزهرة..

(جهنم) وهي تقف بغضب: هذه الزنبقة هي العلاج الوحيد لأمي وإذا لم تحصلوا عليها سأحرقكم جميعاً في نار سخطي!!

(الكاهن) بخوف وتوتر وهو يرحل مع تلامذته: لن نخذلك..

بعد خروج الكاهن مع من كانوا معه ظهر مارد من الشياطين خلف (جهنم) وقال:

أتباعي لا يزالون يبحثون عن تلك الزنبقة يا سيدة (جهنم) ولن يتوقفوا حتى يجدوها لا تقلقي..

(جهنم) وهي تجلس على عرشها: تواصلوا مع أمير الجن الأزرق وأطلبوا منه معاونتكم في البحث يا (كامظ)

(كامظ): قمنا بذلك بالفعل لكنه رفض

(جهنم) بغضب: رفض؟!.. كيف يرفض ذلك العبد المسخر؟! هل نسي ذلك الأحمق أنني ساعدته للوصول إلى أهله؟

(كامظ): يقول أنه لم يعد خادماً لكِ أو لأي أحد.

(جهنم) وهي تبتسم بسخرية: هل هذا بسبب أنه وجد أهله موتى في جبال الملح؟

(كامظ): هذا أغلب الظن.

(جهنم): إسمع يا (كامظ).. مغلي هذه الزنبقة هو العلاج الوحيد كي تفيق أمي من حالتها المتردية كما أخبرني الحكيم السندي وإذا لم تأخذ هذا العلاج قريباً ستفقد عقلها للأبد.

(كامظ): لن نخذلك ولن نتوقف عن البحث حتى نجدها.

(جهنم): أين أمي الآن؟

(كامظ): كعادتها مع (أريس) في سفح الجبل.

(جهنم) وهي تنهض: سأذهب إليها واذهب أنت واستمر في البحث فأنا لم أعينك قائداً لجيشي الشيطاني كي تجلس بجانبي.

(كامظ) وهو ينحني: أمرك.

اختفى (كامظ) وخرجت (جهنم) من الكهف وتوجهت إلى سفح الجبل حيث كانت (أفسار) جالسة مع فتاة عينتها (جهنم) للعناية بها:

(جهنم): كيف حال أمي اليوم يا (أريس)؟

(أريس) وهي تقف وتنزل رأسها: بخير يا سيدتي.

(جهنم) وهي تقترب من (أفسار) المبتسمة وتضع يدها على رأسها:

كيف حالك اليوم يا أمي؟

(أفسار) وهي تبتسم: أنا بخير يا مقرونة.

(جهنم) وهي تبتسم وتحدق بـ(أفسار): اتركينا يا (أريس).

(أريس) وهي تهم بالرحيل: أمرك.

بعد رحيل (أريس) جلست (جهنم) بجانب (أفسار) وقالت:

أنا (نزيم) يا أمي ألا تذكرين (نزيم)؟.. (نزيم) ابنتك التي تركتِها مع ساحر الجبل قبل سنوات طويلة مضت و(جهنم) مجرد لقبي فقط

(أفسار) وهي تعانق (جهنم): متى عدتِ يا فستقتي البيضاء؟

(جهنم) تبادل (أفسار) عناقها وتدمع في صمت..

خلال ذلك العناق استأذن أحد الشياطين بالحديث مع (جهنم) وقال:

عذراً على مقاطعتك سيدة (جهنم) ولكن الأمر طارئ.

(جهنم) وهي تفك عناق (أفسار): ما بك؟.. ما لأمر؟

(سقر): مصادري في «عربستان» تخبرني أن هناك هجوماً وشيكاً علينا..

(جهنم) وهي تقف: هجوم؟.. هجوم من قبل من؟

(سقر): يبدو أن أحد الذين سقطوا في المعركة مع الفتاة العربية كان أميراً من الشياطين العلوية وهناك من يسعى للثأر له.

(جهنم) وعلى وجهها بدى القلق ظاهراً: اجمع بقية القادة لنناقش الأمر في الكهف.

(سقر) وهو يهم بالرحيل على عجالة: أمرك.

رحل (سقر) ودنت (جهنم) من (أفسار) وقالت وهي تبتسم وتمسح على رأسها:

سوف أذهب الآن يا أمي..

(أفسار) وهي تبتسم وتضع يدها على خد (جهنم):

أطفالك اجمل منك بكثير يا (جريرة)..

(جهنم) تضع يدها على يد (أفسار) وهي تقول: سأجد تلك الزنبقة.. أعدك يا أمي.

نهضت (جهنم) ونادت (أريس) وأمرتها بالبقاء مع (أفسار)..

توجهت (جهنم) للكهف الذي كانت تمضي فيه معظم وقتها ووجدت قادة جيشها الأربعة في انتظارها. كان جيش (جهنم) الشيطاني مكون من ثلاثة أجزاء رئيسية وهي الشياطين السفلية بقيادة (طرمد) والمردة بقيادة (حاجب) والشياطين العلوية بقيادة (سقر) و(كامظ) القائد العام.

(جهنم) وهي تجلس على عرشها: ما حكاية هذا الهجوم يا (سقر)؟

(سقر): الشيطان الثاني الذي سقط على يدنا في المعركة مع الفتاة العربية يدعى (ملاز) ويلقب بـ(عاشق نورة).

(كامظ): ما به؟

(سقر): هناك من يحشد جيشاً للانتقام له؟

(كامظ): أليس هذا الشيطان أحد أبناء قبيلة «القنهان»؟

(سقر): بلى.. (ملاز) هو ابن من أبناء أكبر شيوخها.

(طرمد): هذا الشيطان منبوذ من قبيلته وأنا أعرف تاريخه ولن يثأروا له.

(جهنم): معلوماتك تبدو غير دقيقة يا (سقر).

(سقر): ليست قبيلته هي من يسعى للثأر له.

(كامظ): من إذاً؟

(سقر): شياطين كهف «خور روري»

(طرمد) بتعجب: كهف العشاق؟

(سقر): نعم.

ضحك (طرمد) بصوت عالٍ..

(كامظ): ما الذي يضحكك؟

(طرمد): الشياطين السفلية ليس لها ولاء للموتى ولا تبحث عن الثأر لأحد!

(سقر): من تقودهم هي من تبحث عن الثأر؟

(جهنم): عمن تتحدث؟

(سقر): شيطانة اسمها (تلمذ).

(كامظ): ومن (تلمذ) هذه؟

(سقر): الشيطانة التي تولت قيادة الشياطين العاشقة بعد (ملاز).

(طرمد): لكن (ملاز) لم يكن يوماً قائداً لهم.

(سقر): هذا ليس موضوعنا ما يهمنا الآن هو هذه الشيطانة وحشدها الذي ينوي التحرك نحو «فارس» للانتقام لشيطانهم الهالك.

(كامظ) بغضب: فليأتوا ويهلكوا كما هلك غيرهم!

(جهنم): ما بك يا (حاجب) لما لا تشاركنا الحديث؟

(حاجب): لأن عقلي مشغول بشيء أخر.

(كامظ): تحدث ولا تُخفِ عن مجلسنا شيء.

(حاجب): عندما قال (سقر) أن هناك من يبحث عن الثأر لم أتوقع أن يكون هذه الشيطانة وشياطينها السفلية.

(جهنم): من توقعت إذاً؟

(حاجب): هل تذكرون ذلك المارد الضخم الذي وقف مع تلك الفتاة العربية حتى النهاية؟

(سقر) بسخرية: تقصد الذي أطاح بمردتك وقضى على نصفهم كالذباب؟

(حاجب) بتجهم: شياطينك العلوية لم تسلم من بطشه كذلك!

(جهنم): ماذا تريد أن تقول يا (حاجب)؟

(حاجب): توقعت أن الثأر سيأتي منه؟

(كامظ) باستغراب: لماذا هو بالذات؟

(حاجب): بعد انتهاء تلك المعركة بحثت لشهور عن ذلك المارد.

(جهنم): لم تخبرني بذلك يا (حاجب)..

(حاجب): (طرمد) كان على علم بما كنت أفعل فقد ساعدني.

(جهنم): هل هذا صحيح يا (طرمد)؟

(طرمد) بقلق: فعلت ذلك ظناً مني أنها أوامرك.

(كامظ) بغضب: أنا القائد الأعلى هنا ومثل هذا البحث كان لابد أن يتم بعلمي وموافقتي!

(جهنم) بهدوء: هذا ليس وقت مناقشة سوء قيادتك يا (كامظ) سنترك ذلك لاحقاً.. أكمل يا (حاجب).

(كامظ) يرمق (حاجب) بنظرة غضب وهو يكمل حديثه..

(حاجب): بعد البحث اكتشفت أن ذلك المارد كان ملكاً اسمه (نبرسيس) ويلقب بـ(الشيطان الأسير).

(سقر): لقد سمعت عنه من قبل.. أليس هو من كان يبطش بممالك الجن والشياطين في «عربستان» في وقت من الاوقات؟

(حاجب): هو بعينه.

(جهنم): وما الذي كان يفعله مع تلك الساحرة البسيطة؟

(حاجب): لا أعرف لكن فيما يبدو أنها هي من حررته من أسره وكان يرد لها ذلك المعروف بمساعدتها.

(كامظ) وهو يضحك بسخرية: أي مساعدة؟!.. لقد هرب من أرض المعركة وتركها تموت ذليلة!

(حاجب): المردة لا تهرب وخاصة الملوك منهم.

(جهنم): لماذا تركها إذاً؟

(حاجب): لا أعرف لكن ما أنا متيقن منه أنه سيعود.

(سقر): ولِمَ أنت متأكد من ذلك؟

(جهنم) وهي تحدق بأعين (حاجب): لأنه ملك ومن «عربستان» وهؤلاء القوم لا يحبون الذل وما حدث له في المعركة سينهش في عزته وكرامته ولن ينام قرير العين حتى ينتقم لتلك المهانة.. أليس كذلك يا (حاجب)؟

(حاجب) يهز رأسه بالتأييد..

(كاظم): وما الذي يجب علينا فعله؟.. هل نبحث عنه ونقتله؟

(جهنم) وهي تشوح بيدها بالنفي: لا.. لأننا لن نجده وحتى لو وجدناه فلن نستطيع التخلص منه بسهولة.

(سقر): ما العمل الآن إذاً؟

(جهنم) موجهة كلامها لـ(طرمد): ما أخبار مملكة الجن الأزرق؟

(طرمد): مملكتهم في نمو يوماً بعد يوم وأميرهم أصبح عصبياً جداً وبعض من حوله يقولون أنه فقد عقله.

(سقر) وهو يبتسم بسخريه: لم يجد في جبال الملح إلا جثث أهله.

(كاظم): عداؤه يزداد يوماً بعد يوم لنا ومؤخراً بدأ يرفض تنفيذ أوامر السيدة (جهنم) لذا يجب أن نلقنه درساً كي يفهم معنى الولاء لأسياده.

(جهنم) وهي تبتسم: دعوه الآن فهو ليس بالأمر الذي يستحق القلق أمامنا أمور أخرى أهم منه.

(حاجب): بماذا تأمرين يا سيدة جهنم؟

(جهنم): يجب أن نستعد لأي مفاجأة قادمة من «عربستان» لذا أريدك يا (طرمد) أن تسخر أفضل شياطينك السفلية لتقصي الأخبار من هناك وبالذات من منطقة «خور روري»

(طرمد): أمرك.

(جهنم): وأنت يا (حاجب)..

(حاجب): نعم سيدة (جهنم)..

(جهنم): ابحث أكثر في موضوع هذا (الشيطان الأسير) فهو مصدر قلق لا نريد إهماله أو الغفلة عنه لذا أريد معرفة أين ذهب وهل يخطط للهجوم علينا أم لا؟

(حاجب): أمرك.

(كامظ): وماذا عني يا سيدتي؟

(جهنم): إيجاد (الزنبقة المقلوبة) هو ما أريده منك فقط.

(كامظ): ولكن..

(جهنم) بصوت مرتفع: لا تعترض ونفذ!!

(كامظ) وهو ينزل رأسه: أمرك..

(جهنم): (سقر)!

(سقر): نعم سيدة (جهنم)!

(جهنم): عزز جيشنا.. ابحث عن شياطين وسحرة ترغب بالانضمام إلينا وجندهم لخدمتنا فهناك الكثير منهم يريد الالتحاق بجيش (جهنم) العظيم.

(سقر): معظم السحرة والشياطين في بلاد «فارس» تحت إمرتنا.

(جهنم): وسع دائرة التجنيد.. اخرج من بلاد «فارس» أريد أن ينضم إلينا العتاة من السحرة والشياطين من كل بقاع الأرض.

(سقر): أمرك.

(جهنم): انصرفوا الآن ولا تعودوا حتى تنجزوا مهامكم وما أمرتكم به!

(القادة الأربعة) وهم ينحنون: أمرك!

خرج القادة الأربعة وبقيت (جهنم) لوحدها في الكهف حتى دخل عليها أحد الكهنة وقال: هل ستحضرين مراسم النار اليوم يا سيدتي؟

(جهنم): لا فبالي مشغول اليوم.

(الكاهن): لقد انقطعتِ عن العبادة مدة طويلة والكهنة بدأوا بالتساؤل.

(جهنم) بوجه عابس: التساؤل؟.. التساؤل عن ماذا؟

(الكاهن) بوجه صارم: في مدى ولائك لعقيدتنا.

(جهنم) وهي تبتسم بسخرية: وماهي عقيدتنا؟

(الكاهن) بتعجب: النار ملاذنا وإلهنا المخلص لنا.

(جهنم): مخلصة لنا من ماذا؟

(الكاهن): من شرور أنفسنا.

(جهنم): ناركم لم تشفِ أمي!

(الكاهن): صلي لها وأطلبيها.

(جهنم) بعصبية يخالطها بعض السخرية: لقد خدمتها طيلة عمري ولم أرَ منها شيء!

(الكاهن): لقد كنتِ خير خادمة ومسعرة للنار وأبوك من قبلك كان كذلك، لا تتخلي عن ذلك الآن وتنساقي إلى طريق الشياطين.

(جهنم) بتهكم: هل ناركم تحتاجني إلى هذا الحد؟

(الكاهن): بل أنتِ من يحتاجها..

(جهنم) بعبوس: أحتاجها في ماذا؟

(الكاهن): في تطهير نفسك.

(جهنم): النار إذاً للتطهير؟

(الكاهن): نعم.. تطهرنا من كل ما يجثم على صدورنا من هموم وذنوب.

(جهنم) وهي تقف وتحرك أناملها: أنت وكهنتك أصبحتم أكبر همٍّ يجثم على صدري لذلك قررت تطهير حياتي منكم.

احترق الكاهن في ثوانٍ وتحول لكومة من الرماد..

(جهنم) وهي تنظر لرماد الكاهن: أسرع طريقة للشر هي بامتطاء الخير.. لقد امتطيتكم بما يكفي وحان الوقت لأمضي وحدي في مسعاي..

بعد تلك الحادثة بأيام أمرت (جهنم) شياطينها بقتل وحرق جميع الكهنة في جبل «آريان» وهدمت جميع المعابد والأضرحة التي كانت منصوبة لعشرات والبعض منها لمئات السنين. بعد تصفية جميع آثار الكهنة ومعابدهم من الجبل. اجتمعت (جهنم) بـ(كامظ) لتسأله عن نتيجة بحثه عن علاج (أفسار) لكنها وجدت الإجابة في الخيبة التي كانت مرتسمة على وجهه مما دفعها لنهره بقوة وقول:

إلى متى سأنتظر حتى تجد تلك الزنبقة يا (كامظ)!!

(كامظ) ورأسه للأرض: لقد بذلنا كل ما في وسعنا يا سيدتي لكن دون مساعدة الجن الازرق فالأمر شبه مستحيل.

(جهنم): هل ما زال ذلك الأحمق يرفض مساعدتنا؟

(كامظ): نعم.

(جهنم): لم يعد مفيداً لنا إذاً ويجب التخلص منه.

(كامظ): هل سنحارب مملكة الجن الأزرق؟

(جهنم): ألا تظن أن جيشنا يستطيع إبادتهم وإعادتهم للهوان الذي كانوا فيه؟

(كامظ): بلى، لكننا لا نحتاج لتلك المواجهة الآن فهي وإن كان النصر

فيها حليفنا فلن تكون بلا خسائر ونحن في غنى عن ذلك خاصة وأننا نتوقع هجوماً وشيكاً من الشياطين العاشقة في «عربستان»، ولا تنسي أمر (الشيطان الأسير) الذي مازالت نواياه مجهولة.

(جهنم) وهي تبتسم: حنكتك هي سبب صبري عليك يا (كامظ).

(كامظ) وهو ينزل رأسه ويبتسم: ثقة أعتز بها يا سيدي.

(جهنم): ماذا تقترح إذاً؟

(كامظ): أقوى الممالك تسقط لأسباب عديدة لكن لا يوجد أسرع من استغلال خونتها.

(جهنم): ماذا تقصد؟

(كامظ): أمهليني بعض الوقت وسأجد بين صفوف الجن الأزرق من لا يتفق مع قائدهم وهؤلاء يمكن تجنيدهم بسهولة إذا أوهمناهم أننا نسعى لمصلحتهم بإسقاط ملكهم وتنصيب أحدهم مكانه.

(جهنم) وهي تبتسم: ماذا تنتظر إذاً؟ ابدأ في الأمر فوراً..

(كامظ) وهو ينحني ويهم بالخروج: أمرك.

(جهنم) وهي تبتسم: ستركع تحت قدميَّ مرة أخرى يا ابن (وندل) لكن هذه المرة لن أرحمك كما فعلت في السابق.

***

جبل الألم

استيقظت (مهرناز) وهي مقيدة من قدمها بسلسلة مثبتة في جدار كهف مظلم..

وضعت يدها على رأسها من ألم كان فيه لتصرخ بقوة عندما اكتشفت أن شعرها اختفى تماماً وتحول صراخها إلى بكاء عندما تحسست جسدها ووجدت أنها عارية تماماً. لم يمضِ وقت طويل على بكائها حتى دخل عليها (كلكامش) وفي يده شعله من نار ثبتها على أحد جدران الكهف وقال:

استيقظتِ أخيراً..

(مهرناز) بصوت مرتفع يخالطه بكاء مرير: ماذا فعلت بي؟!

(كلكامش) بتجهم: لم أفعل شيئاً بعد.. لقد جهزتك فقط.

(مهرناز) بعصبية وصوت مرتفع يخالطه بكاء خفيف: جهزتني؟!.. جهزتني لأي شيء؟!

(كلكامش): لتبدأي رحلتك

(مهرناز) بغضب: عن أي رحلة تتحدث أيها المجنون؟!.. أطلق سراحي!

(كلكامش): غداً سيبدأ درسك الأول وإذا كنتِ تريدين رؤية النور مرة أخرى يجب عليكِ الكف عن البكاء والتركيز على قدرك المرسوم لك.

انتزع (كلكامش) الشعلة التي كانت تنير المكان وخرج وترك (مهرناز) في ظلام دامس..

بعد رحيل (كلكامش) بقليل وتوقف (مهرناز) عن البكاء سمعت صوتاً يتحدث إليها ويقول: لا تقاومي السيد (كلكامش) فلن تجدي سوى الألم..

رفعت (مهرناز) رأسها بحثاً عن مصدر الصوت في ظلام الكهف وهي تقول:

من؟.. من يتحدث؟

(الصوت): أنا (ليناز).

(مهرناز): (ليناز)؟.. (ليناز) من؟!

(ليناز): أختك في الطائفة.

(مهرناز): طائفة؟.. أي طائفة؟.. عن ماذا تتحدثين؟!

(ليناز): ألا تعرفين سبب وجودك هنا؟.. أنتِ الآن جزء من (الطائفة الجنتية).

(مهرناز): لقد سمعت هذا الاسم من قبل.. ما هذه الطائفة ولماذا يعذبونني بهذا الشكل؟

(ليناز): هذا ليس تعذيباً.

(مهرناز): ماذا تسمينه إذا؟

(ليناز): هذا سمو.

(مهرناز) بتعجب: ماذا؟

(ليناز): سمو بأرواحنا لتظهر قدراتنا.

(مهرناز): أي قدرات؟

(ليناز): نحن هنا لأنه تم اختيارنا وليس لأننا اخترنا أن نكون هنا.

(مهرناز) وهي تبحث بنظرها في ظلام المكان: صوتك قريب.. هل أنتِ معي في نفس المكان؟

(ليناز): لا، لكنني مقيدة مثلك في الزنزانة المجاورة لك.

(مهرناز) وهي تضع يدها على رأسها بحزن: هل حلقوا شعرك أيضاً؟

(ليناز) بضحكة خفيفة: نعم لكن لا تقلقي سينمو مرة أخرى وسيحلقونه مجدداً.

(مهرناز) بغضب: الأمر ليس مضحكاً!

(ليناز): آسفه لكني تذكرت نفسي عندما أتيت هنا لأول مرة.

(مهرناز): تتحدثين الفارسية.. هل أنتِ من «فارس»؟

(ليناز): نعم من «شوشتر».. وأنتِ؟

(مهرناز): أنا من «قشابي».. كم أمضيتِ في هذا المكان؟

(ليناز): لا أذكر تحديداً.. ربما عامين.

(مهرناز) بتعجب شديد: عامين في هذا الجحيم؟

(ليناز): هذا فقط لأن قدرتي لم تظهر بعد.. السيد (كلكامش) يقول أن البعض قد يستغرق سنوات طويلة حتى تظهر قدرتهم.

(مهرناز): ما هذه القدرة التي تتحدثون عنها؟

(ليناز): لمَ لا أخبرك بقصتي وقد تفهمين قصدي.

(مهرناز) وهي تتوسد بظهرها الجدار الذي كان يأتي منه صوت (ليناز):

لا أملك شيئاً أخر لأقوم به.. أخبريني

(ليناز): المدينة التي ولدت فيها كانت مشهورة بشلالات المياه والأنهار المتدفقة من كل اتجاه حتى أن الأنهار تجري من تحت بعض مباني المدينة.

(مهرناز): تبدو جميلة!..

(ليناز): نعم.. كانت الجنة التي لم أرَ أجمل منها في حياتي.

(مهرناز): ولماذا تركتِها؟

(ليناز): لم أتركها باختياري لكن تلك الهبة التي ولدت بها هي سبب رحيلي.

(مهرناز): أي هبة؟

(ليناز): ولدت بعد ثلاثة صبية وكنت قرة عين أبي وكان يسميني بماسته الزرقاء

(مهرناز): ولماذا كان يسميك بذلك؟

(ليناز): لأني ولدت بعينين زرقاوين وهذا الأمر جعل مني محط أنظار أهل المدينة حتى أن بعضهم كان يبحث عن البركة والشفاء من الأمراض بمجرد ملامستي.

(مهرناز): كل هذا بسبب عينيك الزرقاوين؟

(ليناز): لا.. كان هناك شيء أخر..

(مهرناز): ما هو؟

(ليناز): كان شعري أحمر كالنار والشعر في مقدمة رأسي أبيض كالثلج.

(مهرناز): مثل أختي (أرتميس)..

(ليناز): هل كان شعرها أحمر؟

(مهرناز): لا.. كانت تملك خصلة بيضاء في غرتها.. كانت لا تحبها..

(ليناز): أنا كنت أحب شكلي لكن بعض أهالي المدينة بدأوا يستاؤون مني خاصة بعدما أكملت عامي السادس عشر.

(مهرناز) وهي تضحك: لماذا هل سقط شعرك؟

(ليناز): لا بل بسبب تلك القدرة التي بدأت أحس بها في تلك الفترة.

(مهرناز):...

(ليناز): تشاجر أخوتي مع مجموعة من الصبية وكنت معهم كعادتي نلعب ونستحم في الماء فأنا كنت كما يقال فتاة متصابية نوعاً ما..

(مهرناز): قيل عني ذلك من قبل..

(ليناز): لكن أخوتي لم يستطيعوا مقاومتهم فقد كانوا يفوقونهم عدداً، وبدأوا بإيذائهم بشدة حتى أن بعضهم حاول إغراق أحد أخوتي في الماء.

(مهرناز): وماذا فعلتِ؟

(ليناز): لا أعرف بالضبط لكني صرخت بحرقة من مشهد أخوتي وهم يتعرضون للأذى وبعد انتهائي من الصراخ عم الهدوء في المكان عدا صراخ الصبية.

(مهرناز): هل استاء الصبية من صوتك؟

(ليناز): بل سقطوا يبكون من الألم.

(مهرناز): ألم في آذانهم؟

(ليناز): لا.. بسبب عظام أجسادهم التي تحطمت..

(مهرناز) باستغراب: كيف؟.. ما الذي حدث؟..ولما لم يسقط أخوتك معهم؟

(ليناز): لا أعرف فوقتها كان همي الهروب مع أخوتي من المكان بأسرع وقت.

(مهرناز) وهل عرفتِ السبب لاحقاً؟..

(اليناز): نعم بعد حادثة الناعورة.

(مهرناز) بتعجب:...

(اليناز): في مدينتنا نستخدم النواعير للري وسقي المحاصيل وكان أبي من ضمن من كانوا يعملون على تلك النواعير كأجير عند أحد التجار وفي يوم أخذني معه للعمل وكنت ألعب في الماء تحت أحد الشلالات وهو يقوم بعمله كالمعتاد فاقترب منه التاجر الذي كان يعمل عنده وبدأ بتوبيخ أبي بقسوة لسبب لم أفهمه لكني كنت مستاءة جداً.

(مهرناز) وماذا حدث؟

(اليناز):...

(مهرناز): لماذا سكتِّ؟

(اليناز): لا شيء..

(مهرناز): أكملي إذاً

(اليناز): حدقت بالتاجر بغضب وحنق شديد عندما هم بالرحيل، وخلال تحديقي به ارتفعت أحدى النواعير وسقطت عليه.

(مهرناز): هل قتلته؟!

(اليناز): لحسن الحظ لم يمت لكنه فقد القدرة على المشي مدى الحياة واتهم أبي بما حدث له وطالبه بتعويض كبير لم يكن أبي ليستطيع دفعه.. أحسست بالذنب لأني أدركت وقتها أن ما حدث كان بسببي.

(مهرناز): وماذا حدث بعد ذلك؟

(ليناز): لم يستطع أبي أن يدفع المال وسجن جراء ذلك وبدأت الديون تتراكم علينا ولوحقنا، فقررت أمي بيع منزلنا لتسدد للتاجر أمواله وتخلص أبي من سجنه.

(مهرناز): وماذا حدث بعد أن باعت أمك منزلكم؟

(ليناز): لم تضطر لذلك فوقتها ظهر السيد (كلكامش) وزارنا في المنزل وعرض عليها تسديد دين أبي وعرض عليها أيضاً شراء مزرعة لنا كي لا يصبح أبي أجيراً عند أحد بعد خروجه من السجن.

(مهرناز): وماذا كان المقابل؟

(ليناز):.. أنا..

(مهرناز): هل تزوجك (كلكامش)؟

(ليناز) وهي تبتسم:هذا ما اعتقدته أمي في البداية.. كانت تظن أنه كهل يبحث عن تجديد شبابه.

(مهرناز): ماذا كان يريد إذا؟

(ليناز): طلب من أمي أن تسمح لي بالرحيل معه فقط.

(مهرناز): وهل وافقت؟

(ليناز):ألا تريني هنا معك؟

(مهرناز) وهي تحدث نفسها بصوت مسموع لـ(ليناز): هل باعتني خالتي لـ(كلكامش) من أجل المال؟

(ليناز): هل كانت خالتك فقيرة؟

(مهرناز): لا أبداً.. لا أظن.

(ليناز): أعتقد أنه رأى بك شيئاً مميزاً كما قال لي لاحقاً.

(مهرناز): ماذا تقصدين؟

(ليناز): عندما رحلت عن «شوشتر» مع السيد (كلكامش) حكى لي أنه سمع من أحد الرحالة الذين مروا بمدينتنا عن تلك الحادثة التي حدثت مع التاجر لذلك غير مساره وجاء لمدينتنا ليأخذني معه.

(مهرناز): لأي غرض؟

(ليناز): كان يقول لي أن لدي مؤهلات العظمة.

(مهرناز): لقد أخبرني بنفس الكلام.

(ليناز): وأخبر الجميع هنا.

(مهرناز): هل هناك أحد غيرنا في هذا المكان؟

(ليناز): ألم ترينهم خلال دخولك؟

(مهرناز): لقد كنت فاقدة للوعي عندما أتيت هنا.

(ليناز): عندما وصلت لـ«جبال الملح» مع السيد (كلكامش) رأيت مجموعة من الفتيات والصبية في ساحة كبيرة.. كانوا يتمرنون أو يتقاتلون فيما يبدو.. كنت أظن أني سأنضم إليهم لكنه أخذني لجبل قريب ودخلنا هذا الكهف العميق ورأيت مجموعة من الزنزانات ووضعني في هذه الزنزانة.

(مهرناز):...

(ليناز): قام بحلق شعري بالكامل ومن وقت لآخر يأتي ليحاول تنشيط قدرتي كما يقول.

(مهرناز): كيف يحاول تنشيطها؟

(ليناز):...

(مهرناز): لماذا سكتِّ؟

(ليناز): لم تخبريني ما اسمك؟

(مهرناز): اسمي (مهرناز)..

(ليناز): كلا اسمينا به (ناز)

(مهرناز) بحزن: كنت أقول ذلك لأختي (نازانين).. اشتقت لأخواتي..

(ليناز): وأنا كذلك.. من لم يفقد أماً أو أباً.. أخاً أو أختاً.. ابناً أو ابنة.. فلا يحق له الحديث عن الحزن أبداً..

(مهرناز):...

(ليناز):...

(مهرناز): سمعت قصتك لكني ما زلت لا أفهم سبب وجودنا هنا وماذا يريد منا (كلكامش) هذا؟ وماذا سيستفيد من إخراج قدرتنا المزعومة؟

(ليناز): لقد كان هناك فتاة قبلك في زنزانتك.. لم أكن أتحدث معها

لأنها لم تكن فارسية وتتحدث بلغة غريبة.. كانت تبكي كثيراً والسيد «كلكامش» كان قاسياً عليها.

(مهرناز): لماذا كان يقسو عليها؟

(اليناز): هو يقسو على الجميع لكنه يقسو أكثر على من لا يطيعه وتلك الفتاة كانت تعانده كثيراً.

(مهرناز) ربما كانت لا تفهم كلامه لأنها ليست فارسية.

(اليناز): السيد (كلكامش) ليس فارسياً لكنه يتحدثها بطلاقة ويتحدث لغات كثيرة.

(مهرناز): نعم رأيته يتحدث مع خالتي بالعربية من قبل..

انقطع حديث (مهرناز) و(اليناز) بدخول (كلكامش) على (مهرناز) وفي يده شعلة ركزها في أحد الجدران وقال: هل أنتِ مستعدة؟

(مهرناز) وهي ترفع باطن كفها وتحجب النور الذي أنار زنزانتها فجأة:

مستعدة لماذا؟

ابتسم (كلكامش) وأخرج من تحت عباءته سيخًا حديديًّا ووضع رأسه في لهب الشعلة وضل يحدق بـ(مهرناز) مبتسماً وعلى وجهها بوادر القلق. سحب (كلكامش) السيخ بعدما أصبح رأسه محمراً من الحرارة وبدأ يقترب من (مهرناز).

صرخت (مهرناز) عندما رأت رأس السيخ يقترب منها وقالت: ماذا ستفعل؟!

(كلكامش) وهو يكوي جسد (مهرناز): دافعي عن نفسك!

بدأت (مهرناز) تصرخ من الألم وتحاول تفادي لسعات السيخ المتكررة والمتفرقة على جسدها لكن القيد الذي كان يقيد قدمها للجدار كان قصيراً ولم يعطها مجالاً للهروب أو الوصول لـ(كلكامش). استمر (كلكامش) بكي (مهرناز) حتى برد رأس السيخ فعاد إلى اللهب وبدأ تسخينه من جديد وهو يقول: ألن تقاومي؟

(مهرناز) وهي تبكي وتصرخ في (كلكامش): كيف أقاومك يا معتوه وأنا مقيدة؟!! حررني وسأقتلك!!

ابتسم (كلكامش) وحرك سبابته وفك قيد (مهرناز) التي اندفعت نحوه بمجرد تحررها لكنها وقبل أن تلمس (كلكامش) وجدت نفسها ترتطم بقوة بأحد جدران الزنزانة لتفقد الوعي بعدها مباشرة.

***

العقول البور

بعدما افترقت (أنهار) عن (أفسار) في البستان الكبير توجهت مباشرة لـ«هجر» مثلما طلبت منها خالتها لتأسيس عصبة موالية للفرس هناك بعدما زودتها (أفسار) بطلاسم قوية لم تعلمها لأحد من أخواتها من قبل. بعد أن قرأت (أنهار) طلسم الانتقال الذي تعلمته مؤخراً من خالتها تمكنت من الوصول لـ«هجر» خلال ثوان بالرغم من أنها لم تزرها من قبل، وكانت (أفسار) قد قامت بتعليمها طلسم الانتقال المتقدم الذي يمكنها من الانتقال لأماكن لم تزرها من قبل وكان هذا الطلسم من ضمن مجموعة الطلاسم التي أتقنتها (أنهار) كي تكون مستعدة للنجاة وحدها في «هجر».

كان الصباح في أوله وكانت قوافل التجار تتوافد على المدينة لعرض بضائعها وأبوابها مفتوحة مرحبة بكل الوافدين إليها لذا لم تجد (أنهار) صعوبة في الدخول إلى المدينة مع تلك القوافل دون إثارة الشكوك.

استدركت (أنهار) بعد جولة بسيطة في سوق «هجر» الكبير أن مهمتها ليست باليسيرة فلغتها العربية ركيكة ولكنتها الفارسية واضحة مهما

حاولت إخفائها بالإضافة إلى أنها لا تعرف شيئاً عن الموالين لسحرة «فارس» من أتباع (آشور) سوى أنهم يحملون وشوماً على صدورهم، ولا تعرف حتى إن كانوا ما زالوا منتشرين في المدينة أم هاجروا منها.

خلال سيرها لمحت (أنهار) سيدة عجوز تفترش الطريق وترمي مجموعة من الحجارة والأصداف أمامها وتتمتم ببعض المفردات غير المفهومة فاقتربت منها وقالت بعربيتها الركيكة:

صباح الخير يا خالة..

رفعت العجوز رأسها ونظرت لـ(أنهار) وقالت: ماذا تفعل فارسية جميلة مثلك وحدها في واحة النخيل؟

ارتبكت (أنهار) عندما نادتها العجوز بالفارسية فقد كانت تظن أن أصلها لن يعرف بسهولة لكن توترها زال عندما قالت العجوز:

وجود الفرس ليس بالأمر الغريب هنا لكنني لم أر فارسية بجمالك من قبل..

(أنهار) وهي تبتسم: هذا من لطفك يا خالة..

لم ترد العجوز وعادت لرمي الحجارة والأصداف على خرقة كانت أمامها..

سكتت (أنهار) قليلا ثم قالت: ماذا تفعلين يا خالة؟.. هل تبيعين الأصداف؟

(العجوز) وهي ترمي الحجارة والأصداف مرة أخرى دون أن تنظر

لـ(أنهار):

أصدافي وحجارتي ليست للبيع لكن علمها للبيع..

(أنهار): علمها؟

(العجوز): أنا أرى الماضي والمستقبل..

(أنهار) وهي تبتسم: هل يمكنك رؤية شيء من مستقبلي؟

(العجوز): هل تملكين مالاً؟

(أنهار) وهي تخرج بعض المال القليل الذي كان بحوزتها: معي هذه فقط.. هل تكفي؟

(العجوز) وهي تأخذ المال: لقد أهدرتِ كل مالك لتعرفي مستقبلك..

(أنهار) وهي تبتسم: نعم.. هل يمكنك أخباري بشيء عن ذلك المستقبل المجهول؟

(العجوز): نعم.. لن تصبحي غنية أبداً لأنك تهدرين مالك على أمور تافهة.

ضحكت (أنهار) بقوة وقالت: أنا أستحق هذه النصيحة.

(العجوز) ترمي الحجارة والأصداف...

(أنهار) وهي تبتسم وتهم بالرحيل: وداعاً يا خالة.

(العجوز) وهي تنظر لحجارتها وأصدافها: انتظري!

(أنهار): نعم يا خالة؟

(العجوز) وهي تحرك أصابعها فوق الحجارة والأصداف:

الأصداف تتحدث عنك..

(أنهار) وهي تبتسم: وماذا تقول؟

(العجوز) وهي تحمل إحدى الأصداف وتحدق بها: طريقك مليء بالأشواك..

(أنهار) وهي لاتزال مبتسمة: وماذا أيضاً يا خالة؟

(العجوز) وهي تقبض على الصدفة التي كانت بيدها:

سيغدر بك شخص قريب منك ونهايتك ستكون على يده..

(أنهار) مبتسمة: شكراً على التحذير يا خالة لكن لا يوجد أحدٌ مقربٌ لي ولن يكون.

(العجوز) وهي تلتقط الأصداف والحجارة: حجارتي وأصدفي لم تخذلني قط.

(أنهار) وهي تهم بالرحيل مبتسمة: وداعاً يا خالة!

أكملت (أنهار) جولتها في السوق وخلال تجوالها رأت شيئاً جعلها تتسمر مكانها وترفع خمارها لتغطي وجهها. رأت (هنان) وهي تتحدث مع أحد التجار وبصحبتها (أزرق) وهو متشكل بهيئة بشرية لذا لم تتعرف عليه وظنت أنه أحد أتباعها. بقيت (أنهار) تراقب (هنان) وهي تتنقل من حانوت لأخر ولاحظت أنها تحظى بحفاوة كبيرة بين التجار أينما ذهبت.

استمرت تلك المتابعة حتى عادت (هنان) لقصرها مع (أزرق) في المساء وبقيت (أنهار) تراقب القصر من الخارج وتقول في نفسها:

«إذا كنت سأنشئ عصبة في «هجر» يجب أن أتخلص من السحرة البارزين فيها أو أجندهم وهذه الساحرة بالتأكيد لن تقبل أن تنضم اليَّ بعد ما فعلناه بها وبإخوتها لذلك يجب أن أتخلص منها».

خلال مراقبة (أنهار) لقصر (هنان) خرجت سيدة عجوز من القصر وكانت فيما يبدو أحد الخدم الموكلين بتنظيف القصر وكانت تخرج بعض القمامة لترميها في الخارج. اقتربت (أنهار) منها بحذر وسألتها بعربيتها الركيكة:

عمتِ مساءً يا خالة.. كيف حالك؟

نظرت الخادمة العجوز لـ(أنهار) باستغراب بسبب لكنتها الغريبة وقالت:

أنتِ لستِ من هنا أليس كذلك؟

(أنهار): هل تعرفين صاحبة القصر؟

(الخادمة): بالطبع فأنا أعمل عندها

(أنهار): هل هناك سحرة غيرها في القصر؟

(الخادمة): ماهذا السؤال الغريب؟

ارتبكت (أنهار) وأحست بأنها أخطأت بالتحدث للخادمة وأن أمرها سينكشف فصمتت ولم ترد والقلق ظاهر على وجهها.

ابتسمت الخادمة واقتربت من (أنهار) وقالت: لا تقلقي يا سيدتي.. هل أنتِ رسول من أرض الأسياد؟

نظرت (أنهار) للخادمة باستغراب وقالت: أي أسياد؟

(الخادمة) وهي تمد يدها وتمسك بيد (أنهار) وتبدأ بتقبيلها: لا تقلقي أنا من خدمكم المطيعين.

سحبت (أنهار) يدها بسرعة وهي تقول: هل أنتِ مجنونة؟!

(الخادمة) وهي تشق جيبها وتكشف عن وشم ثلاث شموس على صدرها وتقول بالفارسية: لقد كنا ننتظر عودتكم منذ سنين!

نظرت (أنهار) للوشم وتملكها شعور بالسعادة يخالطه شيء من التوجس وقالت بالفارسية: كيف علمتِ أني رسولكم المنتظر؟.. هل لأني فارسية؟

(الخادمة) وهي تبتسم:إذاً كان معي حق؟

(أنهار): حق في ماذا؟

(الخادمة): أنكِ المخلص لنا والتي ستعيدين مجدنا لسابق عهده.

(أنهار): وهل كان لكم مجدٌ كي أعيده؟

(الخادمة) تنظر باستغراب لـ(أنهار)..

لم تجادل (أنهار) الخادمة كثيراً واكتفت بتوجيهها للعودة للقصر لكن العجوز أبت وقالت: لن أرحل من دونك وسوف أترك هذا العمل المهين وأكون معك!

(أنهار): لا لا.. بقاؤك هنا مهم لهدفنا.

(الخادمة) وهي تبتسم: ما الذي تأمرين به يا سيدتي؟

(أنهار): في الوقت الحالي لا شيء لكن أريد الحديث معك لأحقاً دون أن يلحظ أصحاب القصر غيابك.

(الخادمة) وهي تبتسم: أمرك يا سيدتي أنا اعود لمنزلي في المساء ولم يبقَ على انتهاء وقت عملي سوى دقائق معدودة.

(أنهار): اذهبي الآن وسأكون في انتظارك هنا عندما ينتهي عملك.

(الخادمة) وهي تقبل يد (أنهار): أمرك يا سيدتي.

بقيت (أنهار) مختبئة خارج القصر حتى خرجت العجوز مرة أخرى وبمجرد رؤيتها لـ(انهار) ابتهجت وتوجهت نحوها وبدأت بتقبيل يدها وهي تقول:

هيا يا سيدتي لنبتعد عن هنا!

(أنهار) وهي تحدق بالقصر: هل لاحظ أحد خروجك؟

(الخادمة): لا فهذا هو وقت خروجي المعتاد.

(أنهار) وهي تراقب الخادمة وهي تقبل يدها: ما اسمك؟

(الخادمة): خادمتك المطيعة (تلا) يا سيدتي.

(أنهار): أين سنتحدث يا (تلا)؟

(تلا): منزلي قريب من هنا وسيكون شرفاً عظيماً لو وطأتِ بقدميكِ عتبته.

(أنهار): جيد فهذا مكان مناسب.

(تلا) والسعادة تغمر وجهها: اتبعيني يا سيدتي.

سارت الاثنتان حتى وصلا لمنزل صغير من الطين..

(تلا) وهي تتوجه لباب المنزل: سامحيني يا سيدتي فمنزلي ليس من مقامك

(أنهار): لابأس.

فتحت (تلا) الباب ودخلت (أنهار) لتجد مجموعة من الأطفال يلعبون في قلب الدار فنهرتهم العجوز وأبعدتهم عن طريق (أنهار) واشارت لها بالجلوس وهي تعتذر وتتأسف عن الفوضى في المكان:

(تلا): سامحيني يا سيدتي فأنا من يعتني بأحفادي خلال خروج أمهاتهم لطلب الرزق.

(أنهار) وهي تجلس: لا بأس..

(الخادمة): شرفيني باسمك الطاهر يا سيدتي.

(أنهار): أنا (أنهار)..

(تلا) وهي تدنو من (أنهار) وتقبل يدها: لقد شرّفتِ منزلي بحضورك يا سيدة (أنهار).

(أنهار): كم بقي منكم في «هجر»؟

(تلا): من تقصدين يا سيدتي؟

(أنهار) وهي تفحص بنظرها جوانب المنزل: الموالين لنا في «فارس».

(تلا): لم نعد كما كنا في السابق لكن أعدادنا ليست بالقليلة.

(أنهار): هل تملكون عصبة منظمة أم أنكم متفرقون؟

(تلا) وهي تفرك يديها بأعين متسعة: بلى يا سيدتي نملك قائداً يهتم بشؤوننا.

(أنهار): وهل قائدكم هذا له اسم؟

(تلا): نعم نعم.. الشيخ (باحر).

(أنهار): وأين هذا الشيخ الآن؟

(تلا) وهي تهم بالخروج بسرعة: سوف أذهب لأخباره بأن الأسياد زارونا أخيراً كما كان يخبرنا دائماً.

خرجت (تلا) من الدار تاركة (أنهار) تضع قدماً فوق قدم وهي تبتسم..

بعد أكثر من ساعة عادت (تلا) ومعها كهل مسن يستعين بعصا خشبية خلال سيره وبمجرد دخوله على (أنهار) نظر إليها وقال بالعربية بعدما حدق فيها لدقائق:

كيف أعرف أنكِ رسول الأسياد المنتظر؟

(تلا): السيدة (أنهار) أتت لتساعدنا يا سيد (باحر).

(باحر): وكيف أعرف أنها تقول الصدق؟

(أنهار) بالفارسية وهي تبتسم: أتيت لأتمم ما بدأه (آشور الآرامي).

بمجرد ما سمع الكهل اسم (آشور) شق عن صدره كاشفاً وشم

الشموس الثلاثة تبعها نزوله على ركبتيه وهو يقول:

أنا خادمك المطيع (باحر) وقد ورثت العهد من أبي وحافظت عليه في انتظار قدومكم!

(أنهار) وهي تبتسم: وأنا من سيتولى قيادتكم منذ اليوم.

زحف الكهل حتى وصل لقدمي (أنهار) وبدأ بتقبيلها وهو يقول:

كلنا مسخرون لكِ يا سيدتي..

(أنهار) وهي تنظر مبتسمة لـ(باحر) وهو يقبل قدمها:

مهمتكم الأولى هي بمساعدتي في التخلص من الساحرة التي تسكن القصر الذي تعمل به (تلا).

(تلا) باستغراب: السيدة (هنان) ساحرة؟

(أنهار): ألم تلاحظي ذلك؟

(تلا): لاحظت أن تصرفاتها غريبة أحياناً وذلك الرجل الذي يرافقها أيضاً لكن لم أتوقع يوماً أنها ساحرة.

(أنهار) وهي تنظر لـ(باحر) الذي ما زال راكعاً على ركبتيه: انهض يا (باحر).

نهض (باحر) ووقف بجانب (تلا) بصمت..

(أنهار): كم عدد الخدم في قصر الساحرة.

(تلا): خمسة عشر يا سيدة (أنهار).

(أنهار): وكم موالياً لنا بينهم؟

(تلا): سبعة فقط.

(أنهار): خلال الأيام المقبلة سوف نتخلص من الخدم غير الموالين لنا ونستبدلهم بمن يوالي ويخدم أهدافنا وأنت ستساعدها يا (باحر).

(باحر): أمرك سيدة (أنهار) ولكن خلال هذا الوقت لن تبقي هنا ستقيمين في منزلي سأعين لكِ من يخدمك ويهتم لشؤونك حتى ننجز ما أمرتي به.

(أنهار) وهي تبتسم: كلا سأبقى في منزل (تلا) مع بناتها وأحفادها.

(تلا) وهي تندفع مبتسمة وتبدأ بتقبيل يد (أنهار): سنكون خدماً تحت قدميك يا سيدتي.

(أنهار) وهي تشير لـ(باحر) بالخروج: ابدأ بتنفيذ ما أمرتك به.

(باحر) وهي يحني رأسه ويخرج: أمرك سيدة (أنهار).

أمضت (أنهار) بضعة أيام في منزل (تلا) التي سخرت بناتها لخدمة سيدتهم الجديدة بينما كانت تذهب وتعود من قصر (هنان) وتبشرها يوماً بعد يوم بتزايد الموالين لها في القصر بعدما كانوا يتخلصون من غير الموالين بالطرد أو في بعض الأحيان الخطف والقتل وحيث أن (هنان) لم تكن مسؤولة عن تعيين الخدم فهي لم تلحظ شيئاً يثير ريبتها.

بعد بضعة أشهر استأذن (باحر) بالدخول على (أنهار) وهي في منزل (تلا) فأذنت له بالدخول ليجدها بين أحفاد (تلا) وبناتها تلعب وتمرح معهم فاستنكر ذلك المنظر وتجهم وجهه لكنه لم يقل شيئاً سوى

إبلاغ (أنهار) بأن جميع الخدم في قصر (هنان) أصبحوا من المولين لهم فنهضت وقالت:

وهل ذلك الرجل الملازم لها موجود في القصر معها الآن؟

(تلا): لا يا سيدتي فلقد سافر منذ عدة أسابيع ولم يعد حتى الآن.

(أنهار) موجهة كلامها لـ(باحر): ما به وجهك؟

(باحر) وهو ينزل رأسه: ماذا تقصدين سيدة (أنهار)؟

(أنهار) بشيء من العبوس: لِمَ التجهم وأنت تنقل لي الأخبار؟

(باحر): لعبك مع الأطفال يا سيدة (أنهار)..

(أنهار): ما به؟

(باحر): يقلل من هيبتك ومكانتك.

(أنهار) وهي تبتسم بسخرية: هل هذا ما تظن؟

(باحر): نعم.

تقدمت (أنهار) بضع خطوات نحو (باحر) وعندما أصبحت أمامه صفعته صفعة قوية اسقطت العصا الخشبية التي كان يستند عليها وقالت:

صفعة مثل هذه هي من تفقد المرء هيبته وليس اللعب مع الأطفال..

وقفت (تلا) مع بناتها في انبهار وهم يرون السيد الذي بجلوه لسنوات يهان بهذا الشكل لكنهن لم يتكلمن.

(أنهار) وهي تعقد أصابعها: حان الوقت كي تأخذوني للقصر.

بدأت (أنهار) بالتمتمة ببعض الطلاسم التي غيرت من شكلها وهيئتها لتحاكي شكل (ربوح) وسط خوف وجزع من كانوا حولها بما فيهم (باحر).

(أنهار) وهي متشكلة بشكل (ربوح) وتبتسم: خذيني يا (تلا) إلى أختي (هنان)

خرجت الاثنتان من المنزل تاركين خلفهم (باحر) يدعك خده بتجهم وعبوس..

عادت (أنهار) إلى منزل (تلا) بعد أن قابلت (هنان) لفترة قصيرة وعند دخولها للمنزل تخلت عن تشكلها وجلست وهي منزعجة فدخلت عليها (تلا) بعد ساعة وقالت: ما بك يا سيدة (أنهار) لماذا رحلتِ مبكراً من القصر؟

(أنهار): لقد عاد ذلك الجني الأزرق قبل أن أقتلها.

(تلا): أي جني أزرق؟

(أنهار): ذلك الرجل الذي معها ليس من البشر بل من الجن.

(تلا) باستغراب: وكيف عرفتِ ذلك يا سيدة (أنهار) فهو بشكل بشري.

(أنهار): لقد غير من شكله كثيراً لكنه لم يغير صوته ولقد عرفته من صوته الذي كان يصرخ به عندما كنا في أرض المعركة.

(تلا) باستغراب: أي معركة؟

(أنهار) وهي تصرخ في (تلا): هل يجب أن أشرح لكِ كل شيء اغربي عن وجهي الآن!!

نهضت (تلا) وهي خائفة والدموع تتساقط من عينيها وهي تقول:

أعتذر يا سيدة (أنهار) لقد نسيت نفسي!

(أنهار) وهي تشير بيدها لـ(تلا): لا لا يا (تلا) سامحيني أنا مستاءة فقط مما حدث وسنعاود الكرة غداً.

(تلا) وهي تبتسم وتمسح دموعها: لابأس يا سيدة (أنهار) ارتاحي الآن وسوف آخذ بناتي وصغارهم اليوم كي تنامي بلا إزعاج.

(أنهار): لا أتركيهم لقد أعتدت على النوم مع أحفادك.

(تلا): لا بأس سآخذهم الليلة فقط وسأعيدهم غداً وسوف أعود وحدي للمبيت معك.

(أنهار) وهي تبتسم: كما تشائين.

أخذت (تلا) بناتها وأحفادها وتركت (أنهار) نائمة في غرفتها التي اعتادت النوم فيها وخلال عودتها في وقت متأخر من الليل وجدت (باحر) ينتظرها عند باب منزلها فقالت له:

سيد (باحر)؟.. هل أتيت لمقابلة السيدة (أنهار)؟

(باحر): لا.. أتيت للحديث معك.

(تلا): معي أنا؟.. في أي أمر؟

(باحر): السيدة (أنهار) ليست الشخص المنتظر الذي ننتظره لتخليصنا.

(تلا): ماذا؟.. ماذا تقصد؟

(باحر): أقصد أنها لا تملك صفات الأسياد التي نعرفها وكونها تجيد السحر فهذا ليس دليلاً على أنها رسول منهم.

(تلا) باستغراب: السيدة (أنهار) تنطبق عليها جميع صفات الأسياد التي أخبرتنا بها في السابق.

(باحر) بتجهم: الأسياد لا يعانقون الأطفال ولا يلعبون معهم ولا ينامون في أماكن بسيطة مثل منزلك الحقير!

(تلا) وهي تتجهم: هل يجب أن يكون الأسياد متكبرين مثلك؟!

(باحر) بغضب: الزمي حدودك ولا تتجرأي على سيدك.

(تلا) بعصبية وسخرية: لم تعد سيداً لنا بعد حضور السيدة (أنهار)!

(باحر) وهو يبتسم: أين بناتك وأحفادك الآن؟

(تلا) وعلى وجهها نظرات القلق: ماذا تقصد؟

(باحر): أقصد أنه بمجرد رحيلك من منزل أخيك أخذناهم معنا.

(تلا) وهي تمسك ملابس (باحر): أين أخذتهم؟!

(باحر) بحدة: لن تشرق عليهم شمس الغد إذاً لم تنفذي ما آمرك به!

(تلا): ماذا تريد مني؟!.. أخبرني وسأنفذ؟!

(باحر) وهو يخرج خنجراً من جيبه:

- أن يكون هذا الخنجر المسموم في قلب سيدتك (أنهار) الليلة!

(تلا) وعلي وجهها صدمة كبيرة: ماذا؟!.. هل ستقتل رسول الأسياد؟!

(باحر) يغضب: أخبرتك بأنها ليست الرسول المنتظر!

(تلا) وهي تدمع: تقصد بأنها ليست الرسول الذي يناسب أهواءك..

(باحر) وهو يبتسم: لا تضيعي الوقت يا (تلا) فبناتك وأحفادك سيذبحون مع أول إطلالة للفجر إذاً لم تنصاعي لما أمرك به.

نظرت (تلا) للخنجر الذي كان بيد (باحر) وهي تدمع..

(باحر) بصرامة: ما قرارك؟!

مدت (تلا) يدها وأخذت الخنجر بحزن ودموعها لاتزال تذرف..

(باحر) مبتسماً: قرار حكيم يا (تلا).. ادخلي الآن وخلصينا من هذه الدخيلة.

دخلت (تلا) منزلها وتوجهت للغرفة التي كانت (أنهار) نائمة بها وبعد مدة خرجت لـ(باحر) وفي يدها الخنجر وهو ملطخ بالدماء فقال لها وهو مبتهج:

هل أنجزتِ الأمر؟

لم ترد (تلا) وأكتفت بهز رأسها بالموافقة..

هم (باحر) بالرحيل وهو يبتسم ويقول: ستنامين مع بناتك وأحفادك الليلة..

بعد أن أخذ (باحر) بعض الخطوات مبتعداً عن (تلا) أحس بالخنجر

وهو يغرس في ظهره وصوت (أنهار) يحدثه في أذنه ويقول:

لا يوجد أسوأ ممن يتحدث فيك دون علمك إلا من يصدقه دون سؤالك.. خونة.. ستبقون دائماً خونة..

لم يرد (باحر) وسقط على الأرض ميتاً بعدما سحبت (أنهار) الخنجر من ظهره ورمته على الأرض وتخلت عن تشكلها بهيئة (تلا) وبدأت بالسير مبتعدة عن المنزل. في اليوم التالي حضر أتباع (باحر) لمنزل (تلا) ليجدوا سيدهم ملقىً على الأرض خارج المنزل مقتولاً و(تلا) أيضاً مقتولة في غرفة نومها ولم يجدوا أثراً لـ(أنهار) ولم يروها في «هجر» بعدها أبداً.

***

الجدعاء

في «هجر» عاش تاجر مع زوجته وابنته الوحيدة التي لم تتجاوز في عمرها الأحد عشر عاماً وكان هذا التاجر يحب ابنته حباً عظيماً بالرغم من أنه كان يتمنى أن يرزق بصبيٍ يرث تجارته من بعده لكن ذلك لم يقلل من حبه لابنته التي عاملها ورباها كصبي وكان ذلك يثير استياء زوجته والتي كانت تقول له دائماً:

«إن تربيتك لها بهذا الشكل وتلك الطريقة سوف يفسدها ويحرمها من أن تكون يوماً زوجة وأماً»

لكن التاجر لم يكن يكترث أو يلقي بالاً لكلام زوجته.

في أحد الأيام دخل التاجر منزله وسأل زوجته عن ابنته فقالت له بحسرة:

أين تظن أنها موجودة الآن؟.. ستجدها كعادتها تلعب مع الصبية وتتشاجر معهم.

ضحك التاجر بقوة من كلام زوجته التي تجهمت وقالت:

ما الذي يضحكك؟!.. إفسادك لابنتي ليس بالأمر المضحك!

(التاجر) وهو لايزال يضحك: ما بك؟.. ابنتي عن عشرة رجال يا (فيصاء)

(فيصاء): هل تظن أنك بهذا الكلام تمتدحها؟

(التاجر): نعم فالرجل أكمل من المرأة وهي بعشرة منهم.

(فيصاء) بحسرة: الرجال لا يتزوجون الرجال.

(التاجر) وهو يبتسم: حياة ابنتي لن تكون محصورة على زوج وأطفال.

(فيصاء) بسخرية: ماذا تريدها أن تفعل إذاً؟.. تحكم «هجر»؟

(التاجر): لو أرادت ستفعل ولقد ربيتها على ذلك.

(فيصاء) بغضب: لو كنت أعرف تفكيرك لما تزوجتك!

(التاجر) وهو يضحك بقوة: أنا الذي لم أكن أعرف أن بنات الجنوب بهذا الحنق وإلا لكنت تزوجت من هنا وأرحت نفسي من عناء مناكفتك لي كل يوم.

(فيصاء) بغضب: وما أجبرك يا ابن «هجر» على الزواج من الجنوب؟!

(التاجر) وهو يقترب من (فيصاء) ويعانقها ضاحكاً:

لأنهن الوحيدات اللاتي يستطعن تحمل برودي.

(فيصاء) وهي تحاول التفلت من زوجها بغضب: اتركني يا ابن النخيل!

(التاجر) وهو يمسك (فيصاء) بقوة ويضحك: حاولي الهرب يا ابنة الجبال!

خلال ممازحة التاجر لزوجته دخلت عليهم ابنتهم وعليها آثار العراك وجسدها مملوء بالخدوش وثيابها ممزقة وكانت تغطي بيدها أذنها التي كانت تنزف. هرعت (فيصاء) نحوها عندما شاهدتها بهذا المنظر وحاولت العناية بها لكن الصبية رفضت وقالت: ابتعدي يا أمي أنا بخير!

(فيصاء): ما الذي حدث؟!.. من الذي فعل بكِ ذلك؟!

(التاجر) وهو يفتح ذراعيه مبتسماً لابنته: تعالي وأخبريني بما حدث معك اليوم.

ابتسمت الفتاة ابتسامة عريضة واندفعت نحو أبيها وعانقته ولطخت ملابسه ببعض الدماء التي كانت تنزف من أذنها فقال وهو يضحك: ماذا حدث لأذنك؟

ابتسمت الفتاة وهي تمسح الدماء التي لطخت يدها وملابسها وقالت بحماس:

لقد قضم صبي أذني!

ضحك (التاجر) وقال: لماذا ماذا فعلتِ له؟!

(فيصاء) بغضب: لا تشجع ابنتك على ايذاء الناس فهي لا تقوم بذلك إلا بسبب سماحك لها!

(التاجر) وهو يبتسم وينظر في عين ابنته:

ابنتي لا تظلم أحداً ولا تعتدي إلا على من يستحق.. أليس كذلك؟

ابتسمت الفتاة وقالت: نعم يا أبي!

(فيصاء) بحسرة: انظر لأذنها لقد أصبحت جدعاء وغداً ستفقد عيناً وتصبح عوراء ووقتها انسَ أن ترى أحفادك.

(التاجر) وهو يجلس ويضع ابنته في حجره ويقول مبتسماً: أخبريني أيتها الجدعاء ما الذي حدث؟

(الفتاة): لقد كنت ألعب مع الصبية في السوق وجاء صبي يصغرنا بالعمر وحاول اللعب معنا لكن الصبية الآخرون رفضوا وضربوه.

(فيصاء) بغضب: وما دخلك أنتِ؟!.. لا تتدخلي فيما لا يعنيك!!

(الفتاة) وهي تنظر لأمها بعبوس: لكن ما قاموا به كان ظلماً وأبي علمني أن لا أسكت على الظلم!

(التاجر) وهو يضع سبابته على طرف أنف ابنته: ولا تنسي ذلك أبداً يا ابنتي.. ماذا حدث بعد ذلك؟

(الفتاة) مبتسمه بحماس: تناولت حجراً كبيراً ورميته على الصبية فأصابت الحجر أحدهم في رأسه.

(التاجر): وماذا حدث بعد ذلك؟

(الفتاة): تركوا الصبي الذي كانوا يضربونه وانهالوا علي أنا بالضرب.

(التاجر) وهو يبتسم: وهل هزموك؟

(الفتاة) مبتسمة ابتسامة عريضة: بالطبع لا لقد لقنتهم جميعاً درساً لن ينسوه!

(التاجر) مبتسماً: جيد.

(الفتاة) وهي تضع يدها على أذنها: لكن أحدهم تمكن من قضم أذني.

(التاجر): لدي إحساس أنك عاقبتِ هذا الفتى بالذات بشدة.

(الفتاة) وهي تبتسم: نعم!.. لقد قضمت أنفه في المقابل وعاد لمنزله وهو يبكي كالفتاة.

(فيصاء) وهي تجلس وتزفر بحزن: ليتك تتعلمين من هذا الصبي بعض الأنوثة

ضحك (التاجر) بقوة وقال لابنته: لا تنصتي لأمك يا (نافجة)!

(فيصاء): لا تقلق يا (أملج) فقد فات الاوان على ذلك.

(أملج) لـ(نافجة) مبتسماً: هيا لنذهب للحكيم كي يعتني بجرحك.

(فيصاء): غيري ملابسك قبلها أم تريدين الذهاب للحكيم بهذا الشكل؟

توجه (أملج) مع ابنته (نافجة) بعدما استبدلت ملابسها الممزقة لحكيم البلد والذي استقبلهم كعادته بابتسامة عريضة وعبارة: ما الذي أصابك هذه المرة يا (نافجة)؟

(أملج) وهو يرفع ابنته ويضعها في حجر الحكيم: انظر بنفسك.

(الحكيم) وهو يتفحص أذن (نافجة) النازف: متى ستتوقفين عن إيذاء نفسك هكذا يا ابنتي؟

(نافجة) بحماس: عندما ينتهي الظلم في العالم!

(الحكيم) وهو يضحك:إذاً لن تتوقفي حتى تخرج روحك!

(أملج): ماذا تقول أيها الحكيم إنها لاتزال صبية صغيرة ولا تفقه مثل هذا الكلام.

(الحكيم) وهو يغمس خرقة في محلول أصفر: ابنتك تملك عقلاً كبيراً.. أليس كذلك يا (نافجة)؟

(نافجة) وهي تنظر للخرقة المبتلة في يد الحكيم: ما هذا المحلول الأصفر؟

(الحكيم) وهو يمسح جرح (نافجة) بالخرقة المبتلة بالمحلول: بول.

(نافجة) وهي تتقزز: بول؟!

(الحكيم): نعم.. بول ناقة خرجت للتو من المخاض.

(نافجة): ولماذا تضع هذه القذارة علي؟!

(الحكيم) وهو لازال يمسح على الجرح بالخرقة:

لأنكِ بدونه ستصابين بالحمى وقد تموتين.

(نافجة): أموت؟!

(أملج) وهو يبتسم بتوتر: ما قصتك مع الموت اليوم أيها الحكيم هل فقدت أحداً مؤخراً؟

(الحكيم) وهو يضع الخرقة جانباً: لقد انتهينا.

قفزت (نافجة) من حجر الحكيم وهي تقول: شكراً يا عمي أراك لاحقاً!

(الحكيم) وهو يبتسم: لا أظن أن ذلك سيكون بعيداً.

(أملج) وهو يمسك بيد (نافجة) ويهم بالخروج مبتسماً: شكراً لك.

خرج الاثنان من دار الحكيم وتوجها للمنزل وقبل وصولهما رأيا مجموعة من الرجال الملثمين يمتطون الخيول ويتجولون في سوق المدينة. توقف (أملج) عن المسير وبدأ يراقبهم:

(نافجة) وهي تشد لباس أبيها: لماذا توقفت يا أبي؟

(أملج) وعيناه ما زالتا تحدقان بالرجال: هؤلاء غرباء عن «هجر» وشكلهم مريب

التفتت (نافجة) إلى الرجال الذين كان يتحدث عنهم أبوها وقالت:

ربما كانوا عابري سبيل وأتوا للتزود بالمؤن.. لنعد للمنزل يا أبي.

(أملج) وهو يسير باتجاه الرجال: لنتحقق من الأمر.

سارت (نافجة) خلف أبيها وعندما وصلوا إلى الرجال أشهر أحدهم سيفه وهو لا يزال على جواده وبدأ يهدد أحد التجار المسنين بينما كان رفاقه يسرقون دكانه على عجالة. اندفع (أملج) بلا تفكير نحو اللصوص واشتبك مع أحدهم و(نافجة) خلفه تصرخ وتستغيث بمن كانوا في السوق لكن أغلبهم فر من المكان ولم يساعدوهما.

سقط الرجل الذي اشتبك معه (أملج) من على صهوة جواده فتدخل البقية وغرس أحدهم سيفه في صدر (أملج) ليخلصوا صاحبهم وبالفعل تحرر وركب جواده وانطلق مسرعاً مبتعداً عن السوق وتبعه رفاقه. جن جنون (نافجة) عندما رأت أباها بين الحياة والموت والناس مجتمعة حوله تحاول مساعدته ولكونها تجيد ركوب الخيل بحثت بعينيها الدامعتين حولها فرأت فرساً مربوطة إلى أحد أعمدة السوق فحلت وثاقها وامتطتها وبدأت تلاحق اللصوص. استمرت ملاحقة (نافجة) لهم حتى بعد تجاوزهم أسوار المدينة ولم ينتبهوا لها إلا بعد ابتعادهم عن «هجر» مسافة بعيدة فقال أحدهم وهو ينظر خلفه:

هناك من يتبعنا!

(أحد اللصوص) وهو يحدق أمامه: لا تتوقفوا حتى نقترب من مخبأنا في الجبل وبعدها نحاصره ونقتله!

استمرت دواب اللصوص بالعدو و(نافجة) خلفهم بالرغم من أن فرسها لم تكن بسرعة جيادهم إلا أنهم لم يخرجوا من نطاق نظرها حتى وصلوا لسلسة من الجبال والتي كانت مكان تجمع بقية أفراد عصابتهم. استدار اللصوص على (نافجة) وحاصروها عندما وصلت إليهم ونزلت من على فرسها وتناولت حجارة من على الأرض وقذفتها باتجاه أحدهم والذي كان يقول ضاحكاً:

أنها مجرد طفلة!

لم يكمل اللص جملته إلا والحجر الذي قذفته (نافجة) يصيبه في أم

رأسه ليسقط صريعاً أمام زملائه الأخرين. لم تتوقف (نافجة) عن مهاجمة اللصوص الأربعة المتبقين والذين نزلوا من على دوابهم مشهرين سيوفهم. تمكنت (نافجة) من التشويش على أحدهم بقذف حفنةٍ من الرمال في وجهه تبعتها بخطف سيفه من يده وغرسه في بطنه وسط ذهول الثلاثة المتبقين. سحبت (نافجة) السيف من بطن اللص بسرعة وبدأت تلوح به في الهواء في إشارة منها بأنها ستجهز على البقية فقال أحدهم:

هل ستتفرجون على هذه الطفلة وهي تنكل بنا؟!.. اهجموا عليها!!

لم يتحرك أحد منهم وعلى وجوههم كانت علامات الخوف واضحة لكن صاحبهم الذي نهرهم توجه لجواده وامتطاه وبدأ يندفع نحو (نافجة) بسرعة لكن وبمجرد اقترابه منها ومحاولته اصابتها بسيفه انحنت ووجهت سيفها لقدمي دابته الأمامية مما تسبب في سقوطها وسقوط اللص من فوقها ليدق عنقه على الأرض ويفارق الحياة مباشرة.

وقفت (نافجة) تتنفس بثقل وهي تحدق بحدة بالرجلين المتبقيين وهما ينظران إليها بخوف، وقبل أن تندفع نحوهما أصابها سهم في كتفها سقط على أثره السيف الذي كانت تحمله وبسبب التعب من ملاحقة اللصوص والقتال معهم خرت قواها وأغمي عليها بجانب السيف الذي أسقطته.

استيقظت (نافجة) بعد غفوة طويلة في خيمة لوحدها وجرحها مطبب

وكان الوقت ليلاً ويمكنها رؤية نارٍ مشتعلة خارج الخيمة وسمعت مجموعة من الرجال يتحدثون ويتضاحكون بصوت مرتفع. نهضت بصعوبة وقاومت الألم الناجم عن إصابتها وسارت وهي تضع كفها على جرحها الملفوف حتى وصلت لباب الخيمة وأخرجت رأسها لترى مصدر تلك الضحكات فرأت عدداً كبيراً من الرجال يقدر عددهم بخمسين رجلاً بينهم اللصان اللذان نجيا من قتالها مع اللصوص الذين تعقبتهم وبمجرد رؤيتها لهم التهبت مشاعرها وتذكرت ما فعلوه بأبيها فخرجت جرياً من الخيمة وانقضت على أحدهم وبدأت بضربه بذراعها السليم لكن الرجل لطمها لطمة أسقطتها على الأرض وسط ذهول بقية الرجال الذين أحاطوا بها وأشهر بعضهم سيوفهم. نهضت وبدأت تحدق بهم بحدة كالذئب المحاصر وقبل أن يتحرك أحد سُمع نداء بصوت مرتفع يأتي من خلفهم يقول: ابتعدوا عنها!

أعاد الرجال سيوفهم إلى أغمدتها وتنحوا جانباً ليفسحوا طريقاً لصاحب الصوت بالتقدم نحو (نافجة) والذي تبين أنه زعيمهم. تقدم الرجل نحوها حتى أصبح بينه وبينها بضعة أقدام فتناولت حجراً من الأرض وقالت بغضب: لا تتقدم أكثر!

ابتسم زعيم العصابة وقال: هل أنتِ يا صبية من قتل رجالي؟

(نافجة) بغضب: وسأقتل البقية الذين شاركوا في قتل أبي!!

أشار الزعيم للاثنين الذين كانوا مع اللصوص في السوق وأمرهم بالوقوف أمام (نافجة) وقال: من منهم قتل أباك؟

(نافجة) بغضب: قاتل أبي مات عندما سقط من فرسه ودق عنقه!

(الزعيم): ماذا تريدين من هؤلاء إذاً؟

(نافجة) وهي تصرخ: هم مذنبون مثل صاحبهم وسيدفعون الثمن!!

ابتسم زعيم العصابة وأخرج سيفه وبحركة سريعة قتل الرجلين و(نافجة) تنظر بتعجب وبفم مفتوح. مسح الزعيم الدماء التي كانت على سيفه في ملابس رجاله القتلى وأعاده لغمده وهو يقول: هل انتهينا الآن يا صبية؟

(نافجة) وهي تحدق بجثة الرجلين بهدوء: نعم.

(الزعيم): عودي للخيمة لترتاحي الآن فجرحك لم يبرأ بعد.

(نافجة): أريد العودة للمدينة.

(الزعيم): ولِمَ العجلة؟

(نافجة): أبي مقتول وأمي لا تعرف عني شيئاً لن أستطيع النوم أبداً قبل أن أطمئنها وأطمئن عليها.

أشار زعيم العصابة لأحد رجاله بالاقتراب وعندما دنا منه قال له: خذها حيث تريد

(الرجل): أمرك.

امتطى الرجل جواده ومد يده لـ(نافجة) التي صعدت خلفه برشاقة بالرغم من جرحها الحديث وقبل أن ينطلق الرجل بها نحو «هجر» قال الزعيم:

ما اسمك يا صبية؟

(نافجة) دون أن تنظر للزعيم: الجدعاء.

(الزعيم) وهو يبتسم: اسم غريب لكنه يليق بك.

(نافجة) تتجهم وتحدق بظهر الرجل الذي ركبت خلفه دون أن تلتفت على زعيم العصابة..

(الزعيم): بعد خمسة أيام سوف نترك هذا المكان ونتجه للجنوب أنا ومن معي

(نافجة) بتجهم: وما شأني أنا بكم!

(الزعيم) وهو يبتسم: أحببت أن أعلمك عن المهلة التي أمامك كي تنضمي إلينا.

(نافجة) وهي تلتفت بغضب نحو زعيم العصابة: أنضم إليكم؟!.. أنضم لمن قتلوا أبي؟!! هل أنت مجنون؟!

(الزعيم): قتلة أبيك ماتوا أمامك بنصل سيفي وليس بيننا الآن من يضمر لكِ الشر.

(نافجة): ولماذا فعلت ذلك؟ لَمَ لم تقتلني وتبقي على رجالك؟

(الزعيم): لأنكِ بعشرة منهم وأريد شخصاً مثلك يقاتل بجانبي.

(نافجة) وهي تبتسم بسخرية: هل تسخر مني؟

(الزعيم): خمسة أيام وبعدها سنرحل للجنوب.. خذها الآن لأمها!

انطلق الرجل بجواده و(نافجة) تنظر لزعيم العصابة باستغراب وهو يبتسم وكأنه يعرف بأنها ستعود..

أوصل الرجل (نافجة) لحدود المدينة وأخبرها بأنه لا يستطيع الاقتراب أكثر لأنه من قطاع الطرق المعروفين وقد يتعرف عليه حراس البوابة فسألته وهي تنزل عن ظهر الجواد:

هل زعيمكم جاد فيما قاله لي؟

(الرجل) وهو يشد لجام دابته ليعود أدراجه: لقد قاتلت مع هذا الرجل أعواماً طويلة ولم أرّه يمتدح أحداً من قبل.

انطلق الرجل بعد هذه الجملة وعاد باتجاه الجبل..

وصلت (نافجة) لبوابة المدينة وعندما رآها الحراس سألوها: من أنتِ؟!

(نافجة): (نافجة بنت أملج) وقد اختطفني بعض قطاع الطرق بعدما قتلوا أبي في السوق صباح اليوم.

(الحارس) وهو يكلم صاحبه: أنها تقول الحق فقد قتل تاجر صباح اليوم على يد بعض اللصوص.

(الحارس) موجهاً كلامه لـ(نافجة): وأين هم الآن؟

(نافجة): لا أعرف لقد هربت منهم خلال الطريق ولا أعرف وجهتهم.

(الحارس): لا بأس تعالي وسنأخذك لمنزلك.

عادت (نافجة) للمنزل لتجد أمها جالسة تبكي وتنوح ظناً منها أنها فقدت زوجها وابنتها في يوم واحد لكنها وبمجرد رؤية (نافجة) عند باب الدار نهضت بسرعة وعانقتها ونسيت حزنها مؤقتاً.

(نافجة) خلال عناق أمها لها: أين أبي الآن..؟

(فيصاء) وهي تفك عناق (نافجة) وتمسح دموعها: لقد أحضروه مكفناً من الحكيم كي أراه قبل أن يدفنوه لكنني رفضت أن يدفنوه بعيداً عن المنزل.

(نافجة): أين دفنتِ أبي يا أمي؟

(فيصاء) وهي تشير لباب كان يقود لفناء خلف منزلهم: خلف المنزل تنفيذاً لوصيته بالرغم من أني عقدت العزم على الرحيل.

توجهت (نافجة) للمكان الذي دفن فيه أبيها وجلست عند قبره تدمع بصمت..

(فيصاء) وهي تجلس بجانب (نافجة): قررت بيع تجارة أبيك لأني لا أرغب في إدارتها وأفكر في الرحيل عن «هجر».

لم ترد (نافجة) على أمها وبقيت أمام قبر أبيها تحدق به بصمت..

بعد ثلاثة أيام سألت (فيصاء) (نافجة) وقالت:

ما بك يا ابنتي؟ أراك تسرحين كثيراً منذ عودتك.. هل تعرضتِ لأذى عندما كنتِ غائبة عن المنزل ولم تخبريني به؟

(نافجة): لو لم أعد يا أمي هل كنتِ ستفتقديني؟

(فيصاء) بتعجب يخالطه شيء من الغضب:

ما هذا الكلام؟!.. أنتِ ابنتي الوحيدة وكل ما تبقى لي في هذه الدنيا!

(نافجة): ما الذي سيحدث لنا الآن؟

(فيصاء): ماذا تقصدين؟

(نافجة): أقصد ما الذي يجب أن أتطلع له في حياتي المقبلة؟

(فيصاء) وهي تمسح على رأس (نافجة): سنترك هذه المدينة ونهاجر.

(نافجة): إلى أين؟

(فيصاء): إلى أهلنا في الجنوب بالطبع.

(نافجة): لكني لا أريد أن أترك «هجر»

(فيصاء) بحزن: ولا أنا يا ابنتي لكن لا يمكننا البقاء بعد موت أبيك.

(نافجة): ثم ماذا؟

(فيصاء): ماذا تقصدين؟

(نافجة): ماذا سأفعل بحياتي بعدها؟.. كيف ستكون في العشرين سنة المقبلة؟

(فيصاء): هذا كلام سابق لأوانه ما زلتِ صغيرة لتفكري في هذه الأمور.

(نافجة): أجيبيني فقط يا أمي.

(فيصاء): ستتزوجين وتنجبين أطفالاً وتربينهم و..

(نافجة): كفى يا أمي.. لقد ساعدتني في اتخاذ قرار حاسم.

(فيصاء): أي قرار؟

(نافجة): القرار بأن لا أعيش حياتي كبهيمة.

(فيصاء): بهيمة؟

(نافجة): نعم بهيمة تأكل وتشرب وتحبل وتنجب؟

(فيصاء) وعلى وجهها نظرات تعجب واستغراب من كلام ابنتها:

وما الذي يمكنك القيام به غير ذلك؟

(نافجة) وهي تعانق أمها وتدمع: أحبك يا أمي لكني لا أحب حياتك ولا أريد أن أعيشها.. لا أريد حياة مملة طريقها مسدود..

(فيصاء) وهي تفك عناق (نافجة): وكيف تتخلصين من ذلك الملل الذي تدعينه؟

(نافجة) وهي تقف عند باب المنزل وتنزل رأسها للأرض:

سمعت أبي يقول مرة.. «لا تُقتل الرتابة إلا بنصل الجنون..»

(فيصاء) وهي تدمع: وأين أخذ الجنون أباك؟

(نافجة): إلى حيث كان يريد..

(فيصاء) وهي تشاهد (نافجة) تفتح الباب: إلى أين؟

(نافجة) وهي تخرج من المنزل: إلى حيث أريد أنا..

خرجت (نافجة) من المنزل وأمها خلفها تناديها بصوت مرتفع لكنها لم ترد أو تلتفت إليها واستمرت بالسير حتى وصلت لبوابة المدينة التي كانت مفتوحة لدخول التجار من خارجها وخرجت وهي تقول في نفسها: لنرَ ما تخبئه لي هذه الحياة..

***

دموع التماسيح

شيطان أحمر لزج في أعماق كهف «خور روري» يقترب من أحد ثغورها المظلمة ويستأذن بالدخول وبعد حصوله على الإذن يتقدم بخطوات حذرة للداخل ثم يقول:

لقد تأكدنا من الخبر يا سيدة (تلمذ).. العاشق الكبير لقي حتفه في بلاد «فارس».

(تلمذ) وهي جالسة على عرش من الجماجم:

خان قبيلته من أجل أنسية ومات لأجل أخرى..

(الشيطان اللزج) وهو ينزل رأسه: هل تأمرينني بشيء آخر؟

(تلمذ) وهي تسند ذقنها على إبهامها وسبابتها وتحدق بالشيطان اللزج: ما رأيك أنت؟

(الشيطان اللزج) وهو يرفع نظره بحذر وينظر لـ(تلمذ): رأيي في ماذا يا زعيمة؟

(تلمذ) وهي تصرخ بقوة في (الشيطان اللزج): هل مات (ملاز) لشيء يستحق؟!!

(الشيطان اللزج) وهو ينتفض من الخوف: لا أعرف يا سيدتي!

(تلمذ) بهدوء مفاجئ: أين عظام معشوقته؟

(الشيطان اللزج): على حالها في المكان الذي كان يختلي فيه السيد العاشق.

(تلمذ) وهي تنهض من عرشها وتتقدم ببضع الخطوات نحو (الشيطان اللزج):

هل تألم (ملاز) عندما مات؟

(الشيطان اللزج) وهو مستغرب من السؤال ويرد بتردد: نعم.. أعتقد..

(تلمذ): لقد أحببت ذلك الأحمق وهو لم ينظر لي يوماً..

(الشيطان اللزج):...

(تلمذ): كنت أكره تلك الإنسية كرهاً شديداً.. لا أعرف ما الذي كان يرى فيها؟

(الشيطان اللزج): نحن لا نعشق القلوب سيدة (تلمذ) نحن نعشق الأجساد فقط ولا أظن أن العاشق الكبير أحبها بقلبه.

(تلمذ): من يؤمن بجمال الروح سيكفر بفتنة الجسد..

(الشيطان اللزج): لا أفهم قصدك يا سيدة (تلمذ).

(تلمذ) وهي تجلس على عرشها مرة أخرى: هذا لأنك قذر وتفكر بقذارة.

أنزل الشيطان اللزج رأسه ولم يتحدث..

(تلمذ): لكن بقدر كرهي لتلك الإنسية فحبي لـ(ملاز) أكبر ولن أترك قتلته حتى يدفنوا في الأرض التي مات عليها.

(الشيطان اللزج): ولكن يا سيدتي نحن لسنا بشياطين مقاتلة.

(تلمذ): لا فرق بين شغف الحب والحرب سوى النتائج..

(الشيطان اللزج): ماذا تقصدين؟

(تلمذ): أخبر جميع الشياطين القاطنة في هذا الكهف أنني أنوي التحرك نحو بلاد «فارس» للأخذ بثأر العاشق الكبير وأي واحدِ منهم لا يريد الانضمام إلينا فليرحل قبل بزوغ الفجر.

(الشيطان اللزج): قد تكون الأعداد الرافضة كبيرة ولا تستجيب لأمر الرحيل.

(تلمذ) وهي تبتسم: كم شيطان علوي في هذا الكهف يا قذر؟

(الشيطان اللزج): بعد موت العاشق الكبير لم يبقَ سواك؟

(تلمذ): وهل تعرف ما يمكنني القيام به؟

(الشيطان اللزج) وهو ينزل رأسه: نعم وأعتذر عن ما قلت.. اصفحي عني..

(تلمذ): اذهب ونفذ ما طلبته منك وأخبرني بعدد الرافضين الذين لم يرحلوا.

(الشيطان اللزج) وهو يهم بالخروج: أمرك يا سيدتي.

بعد خروج (الشيطان اللزج) نهضت (تلمذ) وتوجهت للمكان الذي كان (عاشق نورة) يمضي فيه كل وقته فوق جبل الجماجم واقتربت من هيكل (نورة) العظمي وبدأت تحدق به في صمت لمدة ثم قالت:

بالنسبة لي لستِ سوى جثة مهترئة لإنسية لا قيمة لها، ولكني على نهج من عشقت سأسير ولن أمس هذا الضريح الذي صنعه لك.. أغرقتهِ بالقبلات وأنا سأغرق قتلته بالدم..

جلست (تلمذ) أمام عظام (نورة) وبدأت تعود بذاكرتها للوراء وتحديداً للفترة التي التقت فيها بـ(ملاز) أول مرة..

كانت (تلمذ) الابنة الوحيدة لكبير شيوخ قبيلة (القنهان) وعلى الرغم من ضخامة تلك القبيلة من حيث عدد الشياطين المنتسبين إليها إلا أن الشياطين المحسوبة من طبقة الشيوخ والأمراء كانت محدودة ومحصورة في كبار القوم وأولادهم فقط وأبو (ملاز) كان واحداً من هؤلاء الشيوخ الكبار لكنه لم يكن أعلى شأناً من أبو (تلمذ) الذي كان على رأس الهرم في تلك القبيلة.

اعتاد شيوخ القبيلة من وقت لآخر الاجتماع فيما بينهم بحضور أبنائهم فقط دون تواجد أي من الشياطين الأخرى وكانوا في تلك الاجتماعات يناقشون أحوال القبيلة بشكل عام بينما كان أبناؤهم وبناتهم من

الأمراء يختلطون فيما بينهم ويمارسون بعض العادات المتوارثة مثل الرقص والغناء والتي غالباً ما تقود لزواج مبارك من شيوخ القبيلة.

لم يكن (ملاز) يحب هذه التجمعات وينتظر بفارغ الصبر انتهاءها على عكس (تلمذ) التي كانت تعشقها وتستغل كل تجمع لاستعراض زينتها وتفننها في الرقص أمام بقية أبناء وبنات شيوخ القبيلة لإثارة الغيرة في قلوب بناتها والفتنة في أعين أبنائها.

كانت (تلمذ) تمارس هواية الرقص مع أمير معين تختاره عشوائياً لتوهمه بأن لديه فرصة في الارتباط بها حتى توصله لمرحلة ما وتتركه بعدما تسمعه كلاماً جارحا. لم يكن أحد من الأمراء يستطيع رفض طلبها لجمالها ونسبها وفي نفس الوقت يقاومون رغبة الرد عليها عندما تحرجهم أمام أقرانهم لذات السبب حتى جاء اليوم الذي دنت فيه (تلمذ) واقتربت من (ملاز) الذي كان يتحدث مع أحد أخوته الكبار الذين كان يبلغ عددهم ثمانية هو أصغرهم وقامت بالتودد إليه ولكنه لم يعرها بالاً وكانت تلك سابقة في عهد (تلمذ)، ومع تكرار محاولاتها في لفت نظر (ملاز) واستمراره في تجاهلها بدأ الأميرات والأمراء الأخرين بالضحك عليها مما أثار غضبها ودفعها للتلفظ على (ملاز) الذي لم تجد منه إلا لطمة على وجهها أسقطتها أرضاً وسط ضحكات من كانوا حولها خاصة من الأميرات. أمسك أخو (ملاز) الأكبر به وقال له بغضب:

هل جننت؟!.. كيف تضرب ابنة زعيم القبيلة؟!

(ملاز) وهو ينظر لـ(تلمذ) مبتسماً: لعلها تفيق من غيبوبتها؟

نهضت (تلمذ) وهي تكيل لـ(ملاز) الشتائم ثم وجهت سبابتها نحوه مهددة بغضب:

لقد حكمت على نفسك بالموت أيها الوضيع!!

(ملاز) وهو ينظر لـ(تلمذ) بازدراء ويبتسم: وماذا ستفعلين يا مدللة؟

ضحكت الشياطين المحيطة بـ(تلمذ) منها مرة أخرى مما دفعها للبكاء والخروج من مكان تجمعهم والتوجه لِمكان تجمع شيوخ القبيلة وهي تبكي وتصرخ فما كان من أبيها إلا أن قطع حديثه وسألها: ما بك يا ابنتي؟!

حكت (تلمذ) ما فعله (ملاز) معها وبالغت في إظهار الاستياء كي يزداد غضب أبيها وهو ما حدث بالفعل فقد أمهل شيخ القبيلة أبو (ملاز) يوماً واحداً فقط كي ينزل به عقوبة ترضي ابنته فقال وهو ينهض:

سيلقى ابني العقاب الذي يرضيك ويرضي الأميرة (تلمذ)..

خرج أبو (ملاز) وذهب للمكان الذي كان الأمراء متجمعين فيه وهو غاضب وتوجه مباشرة لـ(ملاز) وصفعه وهو يقول: لقد ألحقت العار بي وبإخوتك!!

(ملاز) بغضب: هل تضربني لأجل تلك المدللة؟

(أبو ملاز) وهو يوجه صفعة ثانية لأبنه: وسأقتلك لو تطلب الأمر!

(ملاز) ووجهه بدأ ينزف: افعل ما يرضيك يا أبي.

أمر (أبو ملاز) أبناءه بربط أخيهم في شجرة معمرة كانت قريبة من الوادي الذي كانت القبيلة تستوطنه وقال:

ستبقى مربوطاً في تلك الشجرة حتى يصفح عنك شيخ القبيلة!

نفذ أخوة (ملاز) ما طلبه أبوهم منهم وقال أحد أخوته قبل رحيلهم عنه:

لا تقلق سنتحدث مع أبينا عندما يهدأ.

(ملاز): لا تتحدثوا معه أبداً!

(أخو ملاز): لماذا؟

(ملاز): إذا كان هو قد رضي على نفسه المهانة في إطاعة رغبات فتاة مدللة فالموت علي أهون من أصبح مثله!

(أخو ملاز): حسناً.. حسناً اهدأ الآن واترك لنا الأمر.

بقي (ملاز) مربوطاً في الشجرة المعمرة لأيام ولم يزره أحد حتى زارته (تلمذ) في إحدى الليالي وقالت له وهي تبتسم بسخرية: هل تعلمت الدرس جيداً يا (ملاز)؟

لم يرد (ملاز) على (تلمذ) واكتفى بالنظر إليها بنظرات اشمئزاز..

(تلمذ) بغضب: لماذا تنظر إليّ هكذا؟

(ملاز) يشيح بنظره عن (تلمذ)..

(تلمذ) وهي تبتسم: ألهذا الحد تكرهني؟

(ملاز) بتجهم دون أن ينظر لـ(تلمذ): الكره شعور لا تستحقينه أنا مشفق على حالك لا أكثر..

(تلمذ) وهي تبتسم: لست أنا المربوطة في شجرة كالدابة.

(ملاز) وهو يعيد نظره لـ(تلمذ): أنتِ المربوطة بقيد لن تتخلصي منه أبداً..

(تلمذ) وهي تبتسم بسخرية: عن أي قيد تتحدث؟

(ملاز): قيد الخواء..

(تلمذ): الخواء؟

(ملاز): حياتك تافهة وخاوية ولامعنى لها تنبهرين بالألون ووميض النار فقط.. مثل الذباب تماماً.. بل الذباب قد يكون أنفع.. لن تتذوقي حلاوة الحياة لأنك لم تتذوقي مرارتها وظلمها من قبل..

(تلمذ) وهي تضحك: وأنت أيها الأمير ماذا تعرف عن مرارة الحياة وظلمها؟!

(ملاز): أعرف أن أبي صفعني لأول مرة في حياته لأجل حشرة مثلك خوفاً من أبيك ولا مرارة أكثر من ذلك يمكن أن أتذوقها.

تغير وجه (تلمذ) بعد كلام (ملاز) وقالت: سأطلب من أبي أن يصفح عنك..

(ملاز): هذا لن يغير شيئاً فيك ولن يجعلك أقل تفاهة مما أنتِ عليه.

(تلمذ) وهي تصرخ: ماذا تريد مني أن أفعل إذاً؟!

(ملاز): أنتِ أحقر من أن أحتاج أو أريد منكِ شيء.. عودي إلى أمك قبل أن تفتقدك.

(تلمذ) بغضب: أنا لست صغيرة كي تنصحني!

(ملاز) وهو يبتسم: مسكين شيخ القبيلة كان يحلم دائماً بشيطان يقود القبيلة من بعده لكنه لم يرزق إلا بكِ.

(تلمذ) ودمعة بدأت تنزل من عينها: ماذا تقصد؟

(ملاز) وهو يبتسم بسخرية: أقصد أن كل من يتودد لكِ ويحاول الزواج منكِ يطمع في زعامة القبيلة فقط فنسل أبيك قد بتر بكِ ومن سيتزوجك سيقود القبيلة عاجلاً أم آجلا باسم عائلته.

بقيت (تلمذ) صامته تحدق بـ(ملاز) بعد كلماته التي كان لها أثر الصاعقة عليها وبعد ذلك رحلت ولم تتفوه بكلمة..

بعد رحيل (تلمذ) بأيام بدأت قوى (ملاز) تخور وبدأت الشياطين السفلية تقترب منه ليلاً في انتظار موته والتهامه لأن الشياطين كانت تملك معتقداً أن التهام الأمراء منهم يعطيهم قوة خاصة وفي أحد الليالي وخلال تحرش الشياطين السفلية بـ(ملاز) وهو مربوط ابتعدت جميعها عنه فجأة وكأن شيئاً أفزعها ليظهر أبو (ملاز) أمام ابنه:

(ملاز) وهو متعب: أبي؟

(أبو ملاز):...

(ملاز) وهو يبتسم وعلى وجهه أثر الإجهاد: هل أتيت لتعجل بموتي يا شيخ (قيطر)؟

(قيطر): أتيت لأعطيك فرصة أخيرة.

(ملاز): فرصة ماذا؟

(قيطر): شيخ القبيلة وافق على مسامحتك.

(ملاز): حل وثاقي إذاً.

(قيطر): هناك شرط يجب أن تنفذه كي يصفح عنك.

(ملاز) بغضب: لن أخضع لشروطه واتركني أموت هنا!

(قيطر): إذا رفضت تنفيذ شرط زعيم القبيلة سوف تموت بلا شك لكن سوف يتوجب علي أنا وإخوتك ترك القبيلة والتخلي عن ألقابنا وأخواتك سيجبرن على ترك أزواجهن والقدوم معنا.

(ملاز): ماذا؟.. وماشأنكم أنتم؟

(قيطر): شأننا أنك من دمنا وما فعلته من عار لحق بنا جميعاً.

(ملاز) بغضب: أنا لم أفعل شيئا!!

(قيطر): أنا لم آتِ هنا كي أجادلك.. أتيت لأسمع قرارك.

(ملاز): وما شرطه؟

(قيطر): لن تسمعه حتى توافق عليه.

(ملاز): كيف أوافق على شيء لا أعرفه؟

(قيطر): لأن رضاك ليس مهماً بل إحساسك بالمسؤولية تجاه أهلك هو الأهم

(ملاز):...

(قيطر): ما ردك؟

(ملاز):...

(قيطر): سأخبر الشيخ بأنك رفضت شرطه وسنرحل عن القبيلة فوراً.

(ملاز): لا.. سأوافق لأجل أخوتي فقط أما أنت فلا تستحق!

(قيطر): وأنت لا تستحق الشرف الذي ستناله.

(ملاز): عن أي شرف تتحدث؟.. هل يوجد مهانة أكثر مما أنا فيه؟

(قيطر): شرط شيخ القبيلة هو أن تتزوج من ابنته (تلمذ).

(ملاز) بصوت مرتفع وزمجرة غاضبة: أتزوج من تلك التافهة؟!

(قيطر): تلك التافهة هي التي اشترطت على أبيها ذلك الشرط وأخبرته أنها لن تتزوج غيرك.

(ملاز) وهو يحاول فك وثاقه بغضب: لست سلعة لتبيعني لإرضاء أسيادك!!

(قيطر) وهو يحل رِثاق (ملاز):

لقد وافقت وانتهى الأمر وإذا كنت تريد أن تحنث بوعدك فلن أستغرب ذلك منك.

اندفع (ملاز) نحو أبيه بقوة لكن (قيطر) أمسكه من عنقه ورفعه عالياً وقال:

لا تنسَ نفسك يا فتى فأنا ما زلت أحد أكبر شيوخ قبيلة (القنهان)

وأستطيع إنهاء حياتك بكل سهولة..

رمى (قيطر) ابنه على الأرض وهو يقول: استعد لزفافك على ابنة الشيخ ليلة اكتمال القمر..

انقطع سرحان (تلمذ) في ماضيها عندما دخل عليها (الشيطان اللزج) وقال:

لقد أبلغت الجميع بنيتنا للذهاب لـ«فارس» للثأر للعاشق الكبير.

(تلمذ) وهي تنهض من أمام عظام (نورة) وتمسح دموعها: وكم العدد الذي تبقى؟

(الشيطان اللزج): اخرجي وشاهدي بنفسك يا سيدتي الأعداد التي تنتظرك في الخارج

خرجت من الكهف ورأت حشوداً ضخمة من الشياطين العاشقة التي بدأت تهتف بصوتٍ واحد عند رؤيتها (تلمذ):

الثأر لـ(ملاز)!.. الثأر لـ(ملاز)!

ابتسمت (تلمذ) بينما كانت دموعها تتساقط وقالت للشيطان اللزج الذي كان يقف بجانبها: كم عدد الذين رحلوا؟

(الشيطان اللزج) وهو ينظر مبتسماً للحشود: لم يرحل شيطانٌ واحد يا سيدتي وكلهم ينتظرون إشارتك للزحف نحو «فارس».

***

الكنف الأسود

خلال تجديل (عِمرة) الضفيرة الثانية حكت (دعجاء) ما حدث لها بعدما افترقت عن عمتها (دخيمة) وأخيها (نهشل) وانطلقت مسرعة في الصحراء على ظهر ذلك الجواد..

استمر الجواد يجري بخطى متسارعة حتى قطع مسافة ليست باليسيرة و(دعجاء) متمسكة به بكل قوتها خوفاً من أن تقع. مع غروب الشمس خفف الجواد من سرعته وبدأ يسير ببطء حتى توقف تماماً. كانت (دعجاء) منهكة ولم تتماثل للشفاء تماماً وجروحها زادت من معاناتها وتعبها لذلك حاولت استغلال فترة التوقف لأخذ قسط من الراحة وبالفعل غفت وغطت في نوم عميق لكنها استيقظت عندما ارتطمت بالأرض جراء سقوط الجواد. لم تنهض (دعجاء) مباشرة وبقيت خلف دابتها الممددة على الأرض لأنها كانت متعبة جداً وبعد دقائق أحست بحركة غريبة آتية من بطن الجواد فتشبثت بالرداء الذي كان يغطيها لأنها تيقنت أن بعض الدواب المفترسة بدأت تنهش في جثته ولم تكن تريد أن تكون جزء من وليمتها.

استمرت حركة الجواد واهتزازات جثته وكأن شيئاً يحفر في بطنه و(دعجاء) مختبئة خلفه تغطي نفسها بذلك اللحاف. بعد مدة يسيرة توقفت الحركة وسمعت (دعجاء) صوتاً يقول: هذه ستكون مناسبة؟

استغربت (دعجاء) عندما سمعت هذه الكلمات لأنها ظنت أن الحركة كانت بسبب حيوانات الصحراء المفترسة لذا قررت اختلاس النظر من وراء ظهر الجواد فرأت امرأة عجوز تمسك في يدها قطعة من لحم الجواد وتتفحصها ولأن الوقت كان ليلاً لم تستطع (دعجاء) رؤية ملامح العجوز لكنها رأت أمعاء الجواد منثورة تحت قدميها والدماء حولها لتدرك أن تلك المرأة قامت بشق بطنه واستخراج شيء منه.

وضعت العجوز قطعة اللحم في حقيبة من الجلد وبدأت بالسير مبتعدة عن جثمان الجواد وفي تلك اللحظة استجمعت (دعجاء) شجاعتها وقالت: من أنتِ؟

التفتت العجوز بسرعة نحو (دعجاء) وقالت: من هنا؟!

أنزلت (دعجاء) رأسها واختبأت خلف جثة الجواد وغطت نفسها باللحاف وندمت أنها تحدثت ونادت على تلك المرأة لكن اختباءها لم يدم طويلاً حيث أن لحافها سحب بقوة من فوقها لترى العجوز واقفة عند رأسها تنظر إليها بحدة قائلة:

من أنتِ؟! ومن أين أتيتِ؟!

(دعجاء) وهي خائفة: لقد كنت أسير وحدي في الصحراء وهذا جوادي.

(العجوز) وهي تضع حقيبتها الجلدية على الأرض: كيف لطفلة مثلك أن تسافر وحدها؟.. قولي الحقيقة!

حكت (دعجاء) على عجالة كيف انتهى المطاف بها في هذا المكان فقالت العجوز:

و أين زوجة أبيك الآن؟

(دعجاء): لا أعرف.

(العجوز) وهي تحدق بجسد (دعجاء): هل زوجك من فعل بك ذلك؟

(دعجاء) تهز رأسها بالموافقة..

أخذت العجوز نفساً عميقاً ثم زفرته بقوة وقالت: هيا.. سأعيدك لأهلك.

(دعجاء) بخوف: لا لا.. لا أريد أن أعود!

(العجوز) بغضب: ألا تريدين العودة لأهلك؟!

(دعجاء) وهي تضع يديها على رأسها: لا!.. لا!

(العجوز) بغضب: ابقي هنا إذاً!

حملت العجوز حقيبتها وبدأت بالسير مبتعدة عن (دعجاء) التي بدأت بالبكاء..

سحبت (دعجاء) الغطاء وغطت نفسها وهي تبكي وبعد دقائق أحست بالغطاء يسحب مرة أخرى من فوقها لتجد العجوز تحدق بها

بوجه متجهم وهي تقول:

هيا تعالي معي..!

(دعجاء) وهي تغطي نفسها مرة أخرى: أخبرتك بأني لا أريد العودة لأهلي!

(العجوز) بهدوء: لن آخذك لأهلك..

(دعجاء) وهي تنزل الغطاء عن وجهها: إلى أين ستأخذينني إذاً؟

(العجوز) وهي تدير ظهرها لـ(دعجاء): سآخذك معي..

(دعجاء) وهي ترمي الغطاء جانباً وتتبع العجوز: تأخذيني معك إلى أين؟

سارت العجوز ولم ترد على (دعجاء) التي تبعتها بصمت..

بعد مسيرة ليست بالطويلة توقفت العجوز وبدأت تحدق بالنجوم.

(دعجاء) وهي تنظر بوجهها المليء بالجروح للسماء: عن ماذا تبحثين يا عمة؟

مدت العجوز يدها في حقيبتها الجلدية وأخرجت قطعة صغيرة من اللحم الذي أخذته من جثة الحصان ووضعتها في فمها وبدأت بمضغها وهي تقول: أنا أبحث عنه..

(دعجاء) وهي تلتفت على (العجوز): تبحثين عن من؟

لم ترد (العجوز) على (دعجاء) واستمرت في التحديق بالنجوم لدقائق حتى أشارت بإصبعها وقالت: هناك!.. هل تستطيعين رؤيته؟

أمعنت (دعجاء) النظر في الاتجاه الذي كانت تشير إليه العجوز لكنها لم ترَ شيئاً وقالت: لا أرى شيئاً يا عمة..

ابتسمت العجوز وعيناها مازالتا تحدقان بالنجوم وعقدت أصابعها وبدأت تتمتم ببعض الطلاسم فنظرت إليها (دعجاء) باستغراب وقالت: ما بك يا عمة؟

لم ترد العجوز على (دعجاء) واستمرت بالتمتمة حتى ظهر في السماء وهج كبير أثار رعب (دعجاء) ودفعها للاختباء خلفها، استمرت العجوز بقراءة الطلاسم وبدأت ترفع صوتها خلال القراءة والوهج يزداد نوراً وحجماً حتى بدأ يُصدر صرخات مخيفة.

(دعجاء) وهي تشد رداء العجوز: ماذا يحدث يا عمة؟!

صمتت العجوز فجأة وانطفأ البريق والوهج الذي كان ينير السماء ليسقط جرم أسود كبير أشبه بالصخرة الكبيرة على بعد يسير منهم. رفعت العجوز رأسها ونظرت للصخرة الكبيرة التي بدأت تنفلق وتتحطم ببطء وهي تقول:

اختبئي خلف تلك الهضبة الرملية يا صبية..

(دعجاء) بقلق وخوف: أخبريني ما الذي يحدث يا عمة؟!

(العجوز) وهي تصرخ في (دعجاء): اذهبي بسرعة قبل أن يخرج!!

جرت (دعجاء) مسرعة نحو الهضبة الرملية التي كانت خلفهم وصعدت فوقها واستلقت وظلت تراقب تلك الصخرة وهي تتفتت

والعجوز تقف أمامها وكأنها تنتظر شيئاً يخرج منها وبالفعل انفلقت وخرج منها كائن ضخم غريب الشكل يصرخ بقوة بصرخات كانت أشبه بالصياح. وضعت (دعجاء) يدها على فمها لتكتم رغبتها في الصراخ وراقبت بعينين دامعتين من الخوف ذلك الوحش المخيف الذي كان بجسم إنسان ضخم مفتول العضلات ورأس حصان بقرون ضخمة وعينين تشعان نوراً كالشمس. زادت رهبة وخوف (دعجاء) عندما بدأ ذلك المخلوق بالتحدث مع العجوز بقوله: ما الذي تريدينه يا (عانكة)؟

(عانكة) وهي تبتسم وتضع حقيبتها الجلدية جانباً:

أنت تعرف لماذا أطاردك يا (مدراس)..

(مدراس) وهو يصرخ بقوة: لا تتدخلي فيما لا يعنيك!!

(عانكة): الأمر لا يعنيني لكن القوافل التي تقطع طريقها استأجرتني للتخلص منك.

(مدراس) وهو يضحك بصوت مرتفع: تتخلصين مني؟!.. هل تعرفين مع من تتحدثين؟!.. أنتِ لستِ سوى ساحرة وضيعة!!

(عانكة) وهي تبتسم: ومع ذلك تعرف من انا.

تجهم (مدراس) واندفع نحو (عانكة) برأسه وكأنه يريد نطحها لكنها وبحركة سريعة تنحت عن طريقه ليتوقف ويعاود الكرة ويفشل مرة أخرى في إصابة (عانكة) التي كانت حركتها سريعة جداً مكنتها من

تفادي كل محاولات (مدراس) للإطاحة بها. في تلك الأثناء كانت (دعجاء) تراقب حركات (عانكة) السريعة باستغراب لأنها عندما كانت تمشي خلفها لاحظت أنها تمشي ببطء وثقل مثل أي امرأة في سنها لكن ما تراه الآن أمامها خالف كل توقعاتها. استمرت (عانكة) بمراوغة (مدراس) لبرهة من الزمن حتى بدأت بوادر التعب تظهر عليه وقالت وهي تبتسم:

هل انتهينا من اللعب الآن؟

(مدراس) وهو يتنفس بثقل والأبخرة تخرج من فمه ومنخاره الضخم: ليس بعد يا ساحرة..

أمسك (مدراس) أقرانه واقتلعها من رأسه ليخرج من نهايتها أنصال حادة وطويلة واندفع نحو (عانكة) وهو يصرخ ويلوح بتلك السيوف الضخمة وقبل وصوله إليها بخطوات بسيطة قفزت فوقه بسرعة خاطفة وقبضت كفيها ووضعتهما فوق بعضهما البعض لتخرج مطرقة كبيرة بين كفوفها أنزلتها على (مدراس) الذي صرخ صرخته الأخيرة قبل تحطم رأسه وتهشمه بالكامل. وقع (مدراس) صريعاً وهبطت بجانبه (عانكة) وعلى وجهها ابتسامة خفيفة وهي تقول:

أكبر خدمة يمكن أن تقدمها لعدوك هي التقليل من شأنه..

التفت (عانكة) نحو (دعجاء) لتجدها تنظر بفم مفتوح من التعجب فابتسمت ثم صرخت فيها وقالت: أحضري حقيبتي بسرعة قبل أن يضمحل!

قفزت (دعجاء) من مكانها وتوجهت نحو الحقيبة الجلدية وحملتها وجرت نحو (عانكة) ومدتها لها ونظرها على جثة (مدراس) الواقعة على الأرض برأسه المحطم وهي تقول: ما الذي حدث يا عمة؟

أخذت (عانكة) الحقيبة الجلدية دون أن ترد على (دعجاء) واخرجت منها خنجراً وبدأت بشق بطن (مدراس) و(دعجاء) تنظر لها بتعجب. بعدما فتحت بطنه استأصلت كبده ثم أخرجت قطعة اللحم التي أخذتها من الجواد الذي كانت تمتطيه (دعجاء) والذي اتضح أنها كانت كبده أيضاً ووضعتها داخل أحشاء (مدراس) بدل كبده التي استأصلتها للتو. وضعت (عانكة) كبد (مدراس) في حقيبتها وقالت وهي تنظر للشمس التي بدأت تشرق من الأفق: يمكنك الآن أن ترحل بسلام يا شيطان..

بدأت جثة (مدراس) بالتبخر و(دعجاء) تنظر لما يحدث بذهول كبير. وضعت (عانكة) حقيبتها الجلدية على كتفها وبدأت بالسير مبتعدة عن المكان. انقطع سرحان (دعجاء) ولحقت بـ(عانكة) وهي تقول:

أنا أحلم أليس كذلك؟.. أنا مصابة بالحمى لذلك أتوهم كل ما يحدث لي الآن!

توقفت (عانكة) ومدت يدها في حقيبتها:

تذكرت أني لم أعطك شيئاً لتداوي به جروحك.

(دعجاء):...

أخرجت (عاتكة) يدها من الحقيبة وبدأت تمسح مرهماً على وجه وأكتاف (دعجاء) وهي تقول: هذا المرهم سيساعدك على التماثل للشفاء سريعاً..

(دعجاء) وهي تستنشق رائحة المرهم الفواحة: رائحته كريهة يا عمة.

(عاتكة) وهي لاتزال تمسح المرهم على وجه (دعجاء):

ماذا تتوقعين من مرهم أحد مكوناته فضلات القرود؟

أبعدت (دعجاء) يد (عاتكة) بسرعة وهي تقول بعصبية: فضلات قرود؟!

(عاتكة) بتعجب: نعم قرود.. أعرق سلالة من قرود جبال الجنوب.

(دعجاء) بغضب: وهل هذا يجعل من الأمر أقل سوءاً؟!

(عاتكة) وهي تمسح ما تبقى من المرهم على صدرها:

لو كنتِ تعرفين قيمة هذا المرهم لأكلتيه أيضاً..

(دعجاء) بوجه متقرف: أنتِ غريبة يا عمة!

(عاتكة) وهي تكمل المسير مبتسمة: هيا كي لا نتأخر!

(دعجاء) وهي تتبعها: إلى أين؟

(عاتكة): لأحصل على أجري.

(دعجاء): تقصدين من الذين استأجروك لقتل ذلك الوحش؟

(عاتكة) وهي تضحك: وحش؟.. نعم..

(دعجاء): لماذا تضحكين؟.. ألم يكن ذلك وحشا؟

(عانكة): لقد كان شيطاناً.. شيطاناً عابثاً.

(دعجاء): عابثا؟.. ما معنى ذلك؟

(عانكة): هناك شياطين لا تحترم الخط المرسوم.

(دعجاء): أي خط؟

(عانكة) وهي تنظر للشمس الذي بدأت تشتد حرارتها: هل تستطيعين السير في هذا الحر وأنتِ متعبة؟

(دعجاء) والتعب ظاهر عليها: نعم لا بأس يا عمة.

(عانكة): لا تجاملي أحداً على حساب نفسك فمن لا يرحم نفسه لن ترحمه الناس أبداً.

(دعجاء) وهي تنزل رأسها للأرض: بصراحة أنا متعبة جداً يا عمة لكن لم أحب أن أخبرك كي لا تضيقي بي وتتركيني.

(عانكة) وهي تنزل على ركبها وتمسك بأكتاف (دعجاء):

قد لا تصدقيني لأننا التقينا للتو لكن أعدك بأني لن أتركك أبداً إلا إذاً طلبتِ مني ذلك.

(دعجاء): لكنك رحلتِ للتو دون أن تأخذيني معك.

(عانكة) وهي تبتسم: هل كنتِ تريدين مني أن أحملك على أكتافي.

(دعجاء): لا.. ولكن..

(عانكة): لن أتركك أبداً حتى تطلبي مني ذلك..

(دعجاء) وهي تنظر في عيني (عانكة) وتدمع: أصدقك يا عمة.

(عانكة) وهي تبتسم: هل تحبين الطيران؟

(دعجاء) باستغراب: الطيران؟

(عانكة) وهي تنهض وتعقد أصابعها: يمكننا الوصول لوجهتنا بطلسم الانتقال في لمح البصر لكني أريد أن أجعل رحلتك أكثر إمتاعاً.

(دعجاء) باستغراب: طلاسم الانتقال؟

خرج أمام (عانكة) ثلاثة شياطين انحنوا على ركبهم بمجرد رؤيتهم لها وقال أكبرهم حجماً: بماذا تأمرين يا سيدة (عانكة)؟

(عانكة) وهي تبتسم: اختاري دابتك يا صبية.

(دعجاء) وهي تنظر للشياطين الثلاثة بتعجب: دابتي؟

(عانكة): نعم دابتك التي ستركبين عليها.

(دعجاء) تنظر بفم مفتوح للشياطين الثلاثة...

(عانكة) وهي تمسك بيد (دعجاء) وتركبها أحد الشياطين: هذا الشيطان مناسب لك.

ركبت (عانكة) الشيطان الذي تحدث معها وأمرت الثالث بأن يسبقهم ويرصد لهم الطريق و(دعجاء) تشاهد ما يحدث حولها ويكاد يغمى عليها من التعب والاندهاش.

حلق الجميع في الهواء بعد أمر (عانكة) وكادت (دعجاء) تسقط من على ظهر الشيطان الذي امتطته لولا أنه ردفها بذراعه الضخمة وقال:

تشبثي جيداً يا سيدتي..

(دعجاء) بارتباك: أمرك يا سيدي.

ضحكت (عانكة) عندما سمعت كلام (دعجاء) وقالت بصوت مرتفع لشياطينها:

أريد أن أكون في «الحجاز» بأسرع وقت!

انطلقت الشياطين نحو «الحجاز» محلقة في كبد السماء..

***

عودة الملك

مجموعة من كبار الشياطين مجتمعة بجانب عرش كبير وفارغ يتناقشون بحدة في موضوع ما..

(الشيطان الأول): لقد ماتت (أديس) ومن قبلها أخيها (حزك) وبذلك انقطع نسل الملك ويجب أن نختار حاكماً جديداً!!

(الشيطان الثاني): الملك لم يمت!.. لقد تحرر من أسره!

(الشيطان الثالث): أين هو إذاً؟!

(الشيطان الرابع): سمعت أن من حررته ساحرة عربية قامت بربطه لخدمتها.

(الشيطان الثاني): هل أنت أحمق أم تتحامق؟!!.. لا يمكن لأحد تسخير الملك!

(الشيطان الأول): أين هو إذاً؟! ولماذا لم يعد ليحكم مملكته؟!

(صوت من ورائهم): لأنه لا يريد أن يحكم مجموعة من الخونة..

التفتت الشياطين مفزوعة بعدما تعرفت على الصوت الذي خاطبهم

ووقفت دون أن تنطق وهي تشاهد (الشيطان الأسير) وعلى جسده آثار قتال عنيف..

خرت الشياطين على ركبها عندما رأت ملكها خارج الأسر وقال أحدهم بعدما زحف واقترب من الملك وبدأ بتقبيل قدمه: عرشك بانتظارك أيها الملك..

(الشيطان الأسير) بازدراء: عن أي عرش تتحدث؟

(الشيطان الأول) بتوتر: عرشك ياسيدي وهل هناك غيره؟

(الشيطان الأسير) وهو يشير لعرشه: اذهب أنت واجلس عليه..

(الشيطان الأول) باستغراب وتوتر: أنا؟

(الشيطان الأسير) وهو يصرخ بغضب: نفذ ما أمرتك به!

نهض الشيطان مرعوباً وجلس على العرش وهو يرتجف من الخوف..

(الشيطان الأسير) وهو يتمعن في الشيطان وهو جالس على العرش:

كيف وجدت العرش يا خائن؟

(الشيطان الأول) وهو ينهض من العرش بخوف: أنا كنت وما زلت وفياً لك يا سيدي

تقدم (الشيطان الأسير) بضع خطوات نحو العرش ثم وضع راحة يده الكبيرة على رأس الشيطان وقبض على رأسه وفصله عن جسده وسط خوف ورعب استحوذ على بقية الشياطين.

(الشيطان الأسير) وهو يجلس على العرش:

اقتتلوا فيما بينكم ومن يبقى في النهاية سيُعطى فرصة لإثبات ولاءه..

في لمح البصر اشتبكت الشياطين الثلاثة بعضها مع بعض في قتال دموي بينما كان (الشيطان الأسير) يراقبها بصمت وبعد قتال لم يدم طويلاً بقي شيطان واحد وكان يدعى (خنبز) وبالرغم من إصابته البليغة في القتال مع الشياطين الأخرى إلا أنه انحنى أمام ملكه وقال: بماذا تأمرني يا سيدي؟

(الشيطان الأسير): أمرك بأن تقتل أهلك كلهم ولا تبقي من نسلك أحدا..

(خنبز) دون تردد: أمرك.

خرج الشيطان ونفذ ما أمره به (الشيطان الأسير) وبعد عدة ساعات عاد وانحنى أمامه مرة أخرى وقال: بماذا تأمرني يا سيدي؟

(الشيطان الأسير): أن تساعدني في إعادة مملكتي لسابق عهدها.

(خنبز) وهو منحني: مازال الجيش كما عهدت وينتظر إشارتك للبطش بأي مملكة تشاء.

(الشيطان الأسير): ليس قبل أن أستعيد كبريائي.

(خنبز): ومن يجرؤ على مس كبريائك أيها الملك؟

(الشيطان الأسير): حفنة من الشياطين الفارسية.

(خنبز): أعطنا الأمر وسأوجه الجيش بأن يتحرك الآن ويبيدهم جميعاً.

(الشيطان الأسير): لا.. ليس الآن.

(خنبز) وهو ينحني: كما تشاء أيها الملك.

(الشيطان الأسير) وهو ينهض من عرشه: أرسل في تقصي مصير إنسية..

(خنبز): إنسية؟

(الشيطان الأسير) بغضب: لا تجادل واستمع!!

(خنبز) وهو ينزل رأسه بخوف: أمرك.

(الشيطان الأسير): إنسية قاتلت في جبل «آريان» معي.. على الأرجح أنها ماتت لكني أريد التأكد ومعرفة حقيقة مصيرها.

(خنبز): سأرسل من يتقصى الأمر.. هل تاذن لي بالانصراف؟

(الشيطان الأسير) وهو يشير بيده: انصرف..

رحل (خنبز) تاركاً (الشيطان الأسير) وهو يناجي نفسه ويقول:

أعرف بأنكِ متِّ لكني أريد أن أعرف على يد من كي أمسحه من على وجه الأرض..

خلال ذلك دخلت شيطانة على عجالة وانحنت أمام (الشيطان الأسير) بابتسامة عريضة وقالت: افتقدنا ظلك أيها الملك!

(الشيطان الأسير) وهو ينظر للشيطانة بتجهم:

أين كنتِ عندما كان الخونة يتقاسمون عرشي ومملكتي يا (غنقا).

(غنقا) وهي لا تزال منحنية: كيف لقائدة بسيطة مثلي أن تتدخل بين وزرائك؟

(الشيطان الأسير) وهو يصرخ غاضباً: وزرائي خونة!!

(غنقا) وهي لا تزال منحنية:...

(الشيطان الأسير): أين كنتِ عندما قُتلت (أديس)؟

(غنقا): أهتم بالفيلق الذي وكلت به أيها الملك ثم أن السيدة (أديس) لم يكن مرحب بها من قبل وزرائك ولم تكن تتواجد في المملكة كثيراً.

(الشيطان الأسير): قتلهم لم يشفِ غليلي منهم..

(غنقا): بماذا تأمر أيها الملك؟

(الشيطان الأسير): وهو يقف ويدير ظهره لـ(غنقا): إبادة..

(غنقا) وهي ترفع رأسها: لمن؟

(الشيطان الأسير): لكل من خان وأرتد.. لكل من ذكرني أو أبنائي بسوء.. هم وأبناؤهم وأهلهم..

(غنقا) وعلى وجهها التوتر: ستكون مجزرة أيها الملك.. هذا يعادل نصف شعبنا.

(الشيطان الأسير): لا تقفي إذاً وإبدأي بالتطهير ولا تبقي صغيراً أو كبيراً منهم.

(غنقا) وهي تقف وتهم بالخروج: أمرك.

قادت (غنقا) حملة تطهير واسعة ومذابح بين صفوف شعب (الشيطان الأسير) واستعانت بالجيش الذي تولت قيادته مؤخراً لهذا الغرض والذي كان الأكثر ولاءً للملك وأكثر قدرة على تنفيذ رغبته. استمرت

تلك المذابح لأيام طويلة قبل أن تنتهي وتقضي على نصف شياطين المملكة ما بين شياطين بسيطة وشياطين محاربة في صفوف الجيش انقلبت بعد توجيهات (الشيطان الأسير) بإبادتها. بعد انتهاء الحملة وجه الملك بتجنيد جميع من تبقى ولم يستثن أحداً سواء كان صغيراً أم كبيراً ذكراً أو أنثى وحول شعبه بالكامل لجيش ضخم جزء منه متمكن وجزء منه ما زال تحت التدريب. دخلت (غنقا) يوماً بعد انتهاء حملة التطهير على (الشيطان الأسير) وفي يدها رأس أخر المرتدين وقالت وهي تنحني أمامه:

تم تنفيذ كل ما أمرت به أيها الملك!

(الشيطان الأسير) وهو واقف بجانب عرشه ويحدق به:

لم أعد أجد عزة في الجلوس على هذا العرش..

(غنقا) وهي ترفع رأسها: لماذا أيها الملك؟.. لا يوجد أحق منك ليعتليه.

(الشيطان الأسير) وهو يحدق بالعرش: لن أجلس عليه قبل أن أمسح بهم الأرض

(غنقا): أعطني الإشارة وسأحَرك جحافل جيوشنا نحوهم لكن أخبرني ماهي تلك المملكة التي آن وقت زوالها.

(الشيطان الأسير) بغضب: ليسوا بمملكة!!.. ليسوا حتى بقبيلة ذات نسل!!

(غنقا):...

(الشيطان الأسير): ليسوا سوى مجموعة من اللقطاء تكالبوا علينا كالكلاب!!

(غنقا) بتوتر واستغراب: عليكم؟

(الشيطان الأسير): هل عاد (خنبز) من المهمة التي أرسلته فيها؟

(غنقا): ليس بعد أيها الملك لكنه يرسل رسائل مع بعض الشياطين من وقت لآخر

(الشيطان الأسير) وهو يلتفت على (غنقا) باهتمام: ما فحواها؟

(غنقا): يقول أنه اقترب من الوصول للحقيقة لكنه يحتاج وقتاً أكثر.

(الشيطان الأسير): أرسلي له وأخبريه أنه إذا لم يعد قبل اكتمال القمر فليبقَ حيث يكون لأني سأقتله لو عاد بعدها.

(غنقا): أمرك.

(الشيطان الأسير) يحدق بعرشه بصمت..

(غنقا): هل تأمرني بشيء آخر أيها الملك؟

(الشيطان الأسير): هل ما زال سيفي مكانه؟

(غنقا): نعم أيها الملك فلا أحد يستطيع تحريكه من مكانه غيرك.. هل تحتاجه لأمر ما؟

(الشيطان الأسير): سأحتاجه عندما يصلني الخبر من (خنبز).. انصرفي الآن..

***

جمر العاقبة

في كهف عميق في أحد الجبال في سلسلة «جبال البرز» دار حوار بين اثنين من الجن الأزرق:

(زمرك): هل أخبرت الأمير برغبة (جهنم) مقابلته؟

(رسكل) وهو متوتر: لا.

(زمرك): لماذا؟

(رسكل): هذه ليست المرة الأولى التي ترسل فيها (جهنم) طلباً لمقابلة الأمير (أزرق) وفي كل مرة يفقد صوابه ويعاقبني لأني ذكرت اسمها أمامه.

(زمرك): لن نكسب شيئاً من معاداة هذه الساحرة فمملكتنا لا تحتاج لأزمات مع أحد وخصوصاً (جهنم) وجيشها.

(رسكل): لا أعرف لكن الأمير منذ أن قُتلت تلك الساحرة العربية واكتشافه أن أهله ماتوا في كهوف «جبال الملح» وهو متغير بدرجة كبيرة وأعتقد أنه فقد عقله

(زمرك): أين هو الآن؟

(رسكل): في مكانه المعتاد في الكهف الكبير يجلس على عرشه ولا يجرؤ أحد منا الدخول عليه والحديث معه في أي موضوع.. بالأمس قام بضرب (مازان) حتى كاد أن يفارق الحياة فقط لأنه طلب منه الإذن للقيام بمهمة لساحر في «بابل».

(زمرك): لا بأس.. سأذهب أنا للتحدث معه.

(رسكل): كما تشاء لكن لا تقل بأني لم أحذرك.

توجه (زمرك) للكهف الكبير الذي كان أميرهم (أزرق) يمضي معظم وقته فيه ودخل عليه وانحنى وقال: أستأذنك بالحديث أيها الأمير.

(أزرق) بوجه عابس: ماذا تريد يا (زمرك)؟

(زمرك): الساحرة (جهنم) تكرس جهودها مؤخراً للحصول على زنبقة نادرة تسمى بـ(الزنبقة المقلوبة) وهذه الزهرة لا تنمو إلا في «جبال البرز» وتحديداً في المناطق الباردة من مملكتنا.

(أزرق) بغضب: لا تذكر اسم تلك الساقطة أمامي يا (زمرك) وإلا دفعت ثمن ذلك غالياً!!

(زمرك): لقد أمرت شعبنا بجمع جميع الزنابق المقلوبة التي تنمو في بلاد «فارس» بعد معرفتي برغبة (جهنم) في الحصول عليها وقمنا بإعادة زرعها جميعاً في مكان واحد وقمت بتعيين حراسة مشددة عليها.

(أزرق) بتعجب: لماذا فعلت ذلك؟.. ولماذا تعطي أمراً كهذا دون الرجوع إليّ؟

(زمرك): أعرف أنك ترغب الانتقام من (جهنم) لأنها أجبرتك على قتل تلك الساحرة العربية التي تحمل الوسم الأعلى للجن الأزرق.

(أزرق) بغضب وصوت مرتفع: أنا لم أقتل أحداً!!

(زمرك) وهو منحنٍ وينظر للأرض: هل أعطي الأمر بإتلاف الزهور إذاً؟

(أزرق) يحدق بصمت بـ(زمرك)...

(زمرك) ورأسه ما زال للأرض:...

(أزرق): لماذا ترغب تلك الساقطة بالحصول على (الزنبقة المقلوبة).

(زمرك): لأنها العلاج الوحيد لأمها التي أصابها الخرف.

(أزرق): (أفسار)؟.. (جهنم) ابنة (أفسار)؟

(زمرك): هذا ما عرفته من مصادري.

(أزرق) وهو ينهض من مكانه ويتقدم نحو (زمرك):

هل أنت متأكد من هذه المعلومة؟

(زمرك) وهو يرفع رأسه ويقف أمام (أزرق): نعم يا سيدي.

(أزرق) وهو يبتسم: ارسل في طلب (كاظم) كي يقابلني وأخبره بأن الزنبقة التي تريدها سيدته معي وبحوزتي.

(زمرك): تقصد القائد العام لجيش (جهنم)؟

(أزرق): وهل هناك غيره؟

(زمرك): هل تسمح أيها الأمير بأن تشرح لي ماذا تنوي أن تفعل؟

(أزرق) وهو يدير ظهره لـ(زمرك):

سأذيق (جهنم) من نفس كأس الأمل الكاذب الذي جرعتني إياه..

(زمرك) وهو يهم بالخروج: سأبلغ رسالتك لهم..

بعد أيام من حوار (زمرك) و(أزرق) دخل (رسكل) على أميره بعد استئذانه ووقف أمامه بصمت وهو متوتر..

(أزرق) بوجه متجهم: ما بك؟!.. هات ما عندك!

(رسكل): قائد جيوش (جهنم) السيد (كامظ) بالخارج ومعه ألف شيطان ويطلب منك الخروج للقائه.

(أزرق) وهو يبتسم: أخبره أن أمير الجن الأزرق لا يخرج لمقابلة أحد وإذا كان يريد الحديث معي فليدخل لوحده دون حراسه.

(رسكل) وهو متوتر:...

(أزرق) بغضب: ما بك؟!.. نفذ ما أمرتك به!!

(رسكل) وهو يهم بالخروج مرعوباً: أمرك.

بعد دقائق من خروج (رسكل) دخل (كامظ) على (أزرق) وعلى وجهه ارتسمت معالم الغضب وقال: من أنت كي تفرض شروطك علي؟!

(أزرق) وهو يبتسم: أهلا بالسيد (كامظ) تفضل بالجلوس.

(كامظ) بغضب: أنا لم آتي للجلوس! أتيت فقط للحصول على الزنبقة! أين هي؟!!

(أزرق): تعرف أنه لا يوجد شيء بلا مقابل أيها الشيطان.

(كامظ): المقابل هو أن لا نبيد شعبك الهزيل.

(أزرق) وهو يضحك: هل ستحاربون مملكة الجن الأزرق الآن؟

(كامظ) وهو يبتسم بسخرية: مملكة؟.. أي مملكة؟!.. أنتم مجرد حفنة من الجن المتهالك ولا تتجاوز أعدادكم المئات.. مملكتكم انتهت بموت (وندل).

(أزرق) وهو يقف ويصرخ بغضب: لا تذكر اسم أبي على لسانك!!

(كامظ) وهو يبتسم: اسمع يا فتى.. لقد عشت على هذه الأرض سنين طويلة تفوق السنوات التي عشتها أنت وأخوتك مجتمعين وسوف أتجاوز حماقتك لأني كنت مندفعاً في شبابي مثلك لكن لو استمريت على هذا النهج سأدفنك أنت وشعبك في هذه الجبال.

(أزرق) وهو يجلس مبتسماً بهدوء: لكنك لو قمت بذلك فلن تحصل على الزنبقة التي تريدها سيدتك.

(كامظ) بصرامة: أنت قلتها.. هي من تريدها وليس أنا لذلك لا تعبث معي أيها الأمير الصغير.

(أزرق) يحدق بـ(كامظ) بحذر وتوتر..

(كامظ): السيدة (جهنم) لن تأخذ الزنبقة بلا مقابل.. اطلب ما تريد.

(أزرق): لا أريد شيئاً سوى أن تأتي هي بنفسها وتطلب حاجتها مني.

(كامظ) بتجهم: السيدة (جهنم) لا تترك جبل «آريان» أبداً!

(أزرق) مبتسماً بسخرية: ستتركها هذه المرة إذا كانت تريد الزنبقة.

(كامظ) وهو يهم بالخروج غاضباً: سأخبرها بطلبك لكن تحمل وزر ما تريد!

(أزرق) وهو يبتسم: لا تتأخر على سيدتك.

خرج (كامظ) من الكهف ورحل مع الألف شيطان الذين أحضرهم معهم وبعد رحيله بوقت قصير دخل (زمرك) على (أزرق) وقال بتوتر: ما الذي حدث أيها الأمير؟

(أزرق) بغضب: أين كنت عندما حضر (كامظ) وشياطينه؟!

(زمرك) بخوف: كنت معه بالخارج أحاول إقناعه بالدخول لوحده لذا أرسلت (رسكل) ليخبرك بقدومه.

(أزرق) وهو يضحك: سوف تأتي تلك الساحرة اللعينة إلى هنا وستتوسل لي كي أعطيها علاج أمها.

(زمرك): وهل وافقت على ذلك؟

(أزرق) وهو يصرخ بغضب: ومن هي كي لا تنفذ رغبة أمير الجن الأزرق؟!

(زمرك): العفو أيها الأمير لكن كهنة النار لا يتركون جبل (آريان) لأي سبب وهذا أمر معروف.

(أزرق) وهو يبتسم: أعرف لذلك كان هذا شرطي كي تحصل على زنبقتها.

(زمرك): هل قررت إعطاءها الزنبقة أيها الأمير؟

(أزرق): قم بإتلافها جميعاً..

(زمرك) بتعجب وقلق: ماذا؟!.. أتلفها؟

(أزرق) بغضب: نعم أتلفها جميعاً!!..ألم تسمعني؟!

(زمرك): لكن أيها الأمير هذا سيثير سخط (جهنم) علينا وسوف توجه جيشها نحونا لإبادة شعبنا!

(أزرق): لن تستطيع لأنها لن تخرج من هنا عندما تأتي لطلب الزنابق..

(زمرك) باندهاش: هل تنوي قتلها؟!

(أزرق) وهو يصرخ بغضب: نفذ ما أمرتك به ولا تجادلني!!

(زمرك) وهو ينزل رأسه: أمرك.

(أزرق) بتجهم: أعد شعبنا لمواجهة الحرس الذي ستأتي معهم تلك الساحرة لأنهم بلا شك سيحاولون النيل منا بعد أن أقضي عليها.

(زمرك) بتوتر: يجب أن أتحدث يا سيدي لا أستطيع الصمت حتى وإن أثار ذلك سخطك.

(أزرق) بهدوء وبوجه عابس: ماذا تريد؟.. تكلم!

(زمرك): تقييد الجن الازرق سهل على السحرة المتمكنين و(جهنم) من كبار السحرة وتقييدك لن يكون بالأمر الصعب عليها.

(أزرق) وهو يبتسم: أعرف ذلك..

(زمرك) بتعجب: لماذا تخاطر إذاً بإبادة شعبك بالكامل؟

(أزرق): ألا تثق بي يا (زمرك)؟

(زمرك) وعلى وجهه الحزن: بلى يا سيدي ولكن..

(أزرق): أنتهى النقاش إذا!.. نفذ ما أمرتك به حالاً وأعد شعبنا لمقاومة كلاب (جهنم)!.. تحرك!

(زمرك): أمرك.

***

قبلة القبائل

(عِمرة): انتهيت من الضفيرة الثانية يا عمة..

(دعجاء): ألن تنامي فالشمس أشرقت؟

(عِمرة): لا أريد النوم قبل معرفة ما حدث معك عندما ركبتِ ذلك الشيطان وحلّقتِ به في السماء.

(دعجاء) وهي تضحك: هو من حلق بي وأنا بالكاد كنت أتشبث به.

(عِمرة) وهي تضع رأسها في حجر (دعجاء): لقد كنتِ في عمري وقتها أليس كذلك يا عمة؟

(دعجاء) وهي تمسح على جبين (عِمرة) وتنظر لأشعة الشمس وهي تخترق كوة الخيمة: نعم تقريباً.

(عِمرة): كنت أتمنى أن أكون مكانك.

(دعجاء) وهي تنزل رأسها وتنظر لـ(عِمرة): لماذا؟

لم ترد (عِمرة) وغطت في نوم عميق.. ابتسمت (دعجاء) واستمرت بالمسح على جبينها..

بعد ساعات طويلة من النوم استيقظت (عِمرة) بكسل ولم ترَ (دعجاء) بجانبها فنهضت مفزوعة وخرجت من الخيمة تبحث عنها ظناً أنها رحلت وتركتها، لكن خوفها زال عندما رأتها في الخارج جالسة أمام نار أشعلتها عاقدة أصابعها تتمتم. اقتربت (عِمرة) منها وجلست بجانبها وقالت: ماذا تفعلين يا عمة؟

(دعجاء) وهي تقطع تمتمتها: أحاول استخدام طلاسمي لكن لا فائدة.

(عِمرة): هل نقوش الحناء بهذه القوة؟

(دعجاء): لا أعرف لكن هذه أول مرة منذ أن تعلمت السحر أعجز فيها عن استخدام طلاسمي.

(عِمرة): وكيف تعلمتِ السحر يا عمة؟

(دعجاء): هل أكلتِ؟

(عِمرة): لا لقد نفد الأكل في بيت الشيخ.

(دعجاء): لا تقلقي لقد أرسلت (شَبَث) لإحضار بعض الطعام.

(عِمرة) وهي تبتسم: أرى أنك بدأت تسمينه (شَبَث) بدل (الشيطان الأحمر).

(دعجاء) وهي تبتسم: الاسم يليق به مثلما اسم (الأفعى) يليق بك.

(عِمرة) بوجه عابس: أنا لست أفعى!

(دعجاء) وهي تضحك: سنرى..

(عِمرة) وهي تعتدل في جلستها بحماس: هل ستكملين قصتك مع (عانكة) يا عمة؟

(دعجاء): أكملي تجديل شعري وسأخبرك.

نهضت (عِمرة) واستقرت خلف (دعجاء) وبدأت بتجديل الضفيرة الثالثة من شعرها والتي استأنفت حديثها قائلة:

بقينا نحلق في السماء لفترة وجيزة حتى وصلنا لمشارف «الحجاز» وقبل نزولنا سألتني العمة (عانكة) وقالت: كيف وجدتِ التحليق في السماء؟

(دعجاء) وهي مبهورة بالمنظر أسفل منها: جميل جداً يا عمة.

(عانكة) وهي تبتسم: أنزلونا عند مدخل السوق بعيداً عن أنظار الناس.

نزلت الشياطين الثلاثة حيث أمرتهم (عانكة) وبمجرد نزولها مع (دعجاء) اختفوا..

(دعجاء): أين نحن يا عمة؟

(عانكة): خارج سوق الحجاز الكبير.. قبلة القبائل.

(دعجاء): قبلة القبائل؟

(عانكة) وهي تسير نحو مدخل السوق: نعم فهذا السوق هو أكبر سوق في الجزيرة وكل القبائل تقصده لعرض بضائعها أو التسوق منه.

دخلت الاثنتان للسوق وبدأتا بالسير بين حوانيته الكثيرة والكبيرة

وبين حشود الناس الغفيرة.

(دعجاء) وهي تنظر حولها بانبهار: لم أر في حياتي تجمعاً للبشر بهذا الحجم.

(عانكة) وهي تبتسم: اتبعيني..

(دعجاء): إلى أين؟

(عانكة): حانوتي ثم إلى منزلي.

(دعجاء) وهي تبتسم ابتسامة عريضة: هل تملكين حانوتاً في هذا السوق يا عمة؟

(عانكة): نعم.. هل ظننتِ أني أشحذ لقمة عيشي؟

(دعجاء): لم أقصد يا عمة..

(عانكة): ها قد وصلنا.. ساعديني على فتح الباب

(دعجاء) وهي تساعد عمتها: دكانك صغير جداً.

(عانكة): الأحجام ليست مقياساً للأهمية..

(دعجاء) وهي تتفحص بعض القوارير المصفوفة: وماذا تبيعين يا عمة؟

(عانكة) وهي تنفض الغبار عن المكان: أبيع الخلاص.

(دعجاء) وهي تلتفت على عمتها: الخلاص من ماذا؟

(عانكة) وهي تجلس أمام الدكان وتسحب صندوقاً صغيراً كان خلفها:

لِمَ لا تكونين مفيدة وتنظفين المكان؟

(دعجاء): أمرك يا عمة.

(عانكة): كيف هي جراحك؟

(دعجاء) وهي تتحسس خدها المتورم بحزن: بخير.

(عانكة) وهي تبحث في الصندوق الصغير: أعرف أن ما تعرضت له أمر قاسٍ لكن لا تسمحي لهذا الأمر بأن يدمر حياتك.

(دعجاء) وهي تبدأ بالتنظيف بحزن: سأحاول..

(عانكة) وهي تخرج قارورة صغيرة وترفعها أمامها وتمعن النظر بها: لا تكسري شيئاً من تلك القوارير خلال تنظيفك فمحتواها أثمن من أن أعوضه بسهولة.

(دعجاء): هل هي غالية يا عمة؟

(عانكة) وهي تعيد القارورة الصغيرة داخل الصندوق: ليست غالية لكنها ثمينة.

(دعجاء) وهي تلتفت لـ(عانكة) خلال تنظيفها: ومالفرق؟

(عانكة): الغالي يعوض بالمال إذا فقدناه أما الثمين لا مال يشتريه بعد فقدانه.

ارتطمت يد (دعجاء) بأحد القوارير وبدأت تلك القارورة بالترنح فاندفعت (عانكة) بسرعة خاطفة وثبتت القارورة مكانها وهي تنظر لـ(دعجاء) وتقول:

ركزي في عملك يا صبية فمحتوى هذه القارورة من دموع الجن لا يمكن تعويضه أبداً.

(دعجاء) بتعجب: دموع الجن؟

(عانكة): نعم.

(دعجاء) وهي تنظر للقوارير المصفوفة على رفوف الدكان:

ما نوع البضائع التي تعرضينها للبيع هنا يا عمة؟

(عانكة) وهي تعود لمكانها وتغلق الصندوق الصغير وتعيده مكانه:

لا شيء في هذا الحانوت معروضٌ للبيع.

(دعجاء) باستغراب: لماذا تفتحين حانوتاً في هذا السوق إذاً؟

خلال الحديث قاطعهما رجل وقال: عمتِ صباحاً يا سيدة (عانكة)..

(عانكة): أين كنت؟.. ظننت أنك لن تأتي أبداً.

(الرجل): أعتذر لكن رحلتي كانت طويلة ولم تخلُ من المصاعب.

(عانكة): أين بقية أجري؟

أخرج الرجل من جيبه صرة واعطاها لـ(عانكة) وهو يقول: هل انتهت مشكلة (مدراس)؟

(عانكة) بتجهم: لم أكن لآخذ المال ما لم تكن قد انتهت.

(الرجل) وهو يرحل بتوتر: أعتذر.. عمتِ مساءً يا سيدتي.

رحل الرجل و(دعجاء) تراقب ما حدث خلال تنظيفها بخلسة..

(عانكة) وهي تهز الصرة التي أخذتها من الرجل: هل عرفتِ ما أبيع الآن يا صبية؟

(دعجاء) وهي مستمرة في التنظيف: لا يا عمة.

(عانكة): ما اسمك بالمناسبة؟

(دعجاء): (دعجاء ابنة وصبان).

(عانكة) وهي تدخل الصرة في جيبها وتنظر في الأفق بنظرة تفكر: (وصبان)؟.. هذا الاسم ليس غريباً علي..

(دعجاء): هل تعرفين أبي؟

(عانكة): هل كان أبوك ساحراً؟

(دعجاء): لا.. لا أظن.

(عانكة): بلى بلى تذكرت.. (وصبان بن شرت).

(دعجاء): لا أعرف ربما..

(عانكة): ألا تعرفين اسم قبيلتك وأصولك؟

(دعجاء): لا لم يحدثني أبي من قبل عن ذلك.

(عانكة) وهي تبتسم: أبوك كان شاعراً معروفاً وساحراً مخضرماً.

(دعجاء): يبدو انك تتحدثين عن شخص آخر يا عمة.

(عانكة) وهي تبتسم وتأخذ قنينة نحاسية كانت بجانبها: ألم تكن أمك من الجنوب؟

(دعجاء): بلى.. لكن هذا ليس دليلاً على أنك تقصدين نفس الشخص.

(عانكة): هل كان أبوك معك عندما تزوجتِ من ذلك الشيخ الكهل؟

(دعجاء): نعم.

(عانكة): ربما أكون مخطئة إذاً.. (وصبان) الذي أعرفه لم يكن ليبيع ابنته بهذا الشكل.

(دعجاء) بغضب: أبي لم يبعني!

(عانكة) وهي ترفع القارورة النحاسية لتشرب منها: أكملي تنظيف المكان بصمت يا (دعجاء)..

أكملت (دعجاء) التنظيف بوجه عابس وتدريجياً تحول عبوسها لبكاء خفيف و(عانكة) تحدق بالمارة والتجار في السوق. بعد مضي فترة من الزمن بدأت الشمس بالمغيب وانتهت (دعجاء) من التنظيف وجلست بجانب (عانكة) بصمت.

(عانكة): هل انتهيتِ؟

(دعجاء) بوجه حزين: نعم.

(عانكة): ما بك؟

(دعجاء): أفكر بأبي.

(عانكة) وهي تنهض: لقد أعطيتك الفرصة للعودة ولم تقبلي.

(دعجاء): ما زلت لا أريد العودة.

(عاتكة): لم الحزن إذاً!

(دعجاء): لا أعرف.. اشتقت لأسرتي ربما.

(عاتكة) وهي تغلق الحانوت: اكتمي شوقك هذا حتى يتسنى لك رؤيتهم مرة أخرى.

(دعجاء) وهي تساعد (عاتكة) في إغلاق الحانوت: ومتى سيكون ذلك؟

(عاتكة): ليس قريباً بلاشك.

(دعجاء) بحزن: ربما من الأنسب أن لا أعود لهم الآن..

رجل غريب من خلف (عاتكة) يقول: هل تسمحين لي ببعضٍ من وقتك يا سيدتي؟

(عاتكة) وهي تلتفت إلى الرجل: لقد أغلقنا الدكان يمكنك العودة غداً.

(الرجل): أرجوك لقد قطعت مسافة طويلة كي أجدك.

(عاتكة) وهي تحمل حقيبتها الجلدية: وقد وجدتني..عد غداً وتحدث معي إذا رغبت

(الرجل) يسير مبتعداً وعلى وجهه خيبة الامل..

سارت (عاتكة) و(دعجاء) بعد ما أغلقتا الحانوت في السوق الذي بدأ الناس يرحلون عنه تزامناً مع غروب الشمس..

(دعجاء): ماذا كان يريد ذلك الرجل يا عمة؟

(عاتكة) وهي تسير وتنظر أمامها: عملا ما في الغالب.

(دعجاء): ما زلت لا أعرف طبيعة عملك يا عمة.. ألن تخبريني؟

(عاتكة): لنصل للمنزل أولاً.

(دعجاء): هل تسكنين هنا؟

(عاتكة): لدي منازل في أماكن كثيرة لكن هذا هو المفضل لدي.

(دعجاء): هل أنتِ ثرية يا عمة؟

(عاتكة): ماذا تقصدين بثرية؟

(دعجاء): أقصد هل تملكين الكثير من المال ليكون لكِ عدة منازل؟

(عاتكة): أنا غنية لكني لست بثرية..

(دعجاء): وما الفرق؟

(عاتكة): الغنى هو أن تملك شيئاً يغنيك عن المال والثراء هو مجرد امتلاك الكثير منه.

(دعجاء): مثل ماذا؟.. ما الذي قد يغنيك عن المال؟

(عاتكة): ما لا تستطيع شراءه بالمال.

(دعجاء): وهل هناك شيء لا يشترى بالمال؟

(عاتكة) وهي تبتسم: أغلب الأشياء التي تملك قيمة حقيقية لا يمكن شراؤها بالمال

(دعجاء): لم أفهم..

(عانكة) وهي تشير بإصبعها لمنزل صغير في أخر الطريق: ولن تفهمي.. لقد وصلنا.

(دعجاء) وهي تنظر إلى حيث كانت تشير (عانكة): هل هذا هو منزلك يا عمة؟

(عانكة) وهي تكمل المسير نحو المنزل: نعم.

(دعجاء): توقعته أكبر من ذلك.

(عانكة): وما حاجتي بمنزل أكبر؟

(دعجاء): لا أعرف تخيلته أكبر.

(عانكة) وهي تفتح باب المنزل مبتسمة: ألم تكوني تعيشين في خيمة قبل أن أجدك

(دعجاء): بلى.

(عانكة) وهي تدخل المنزل: إذاً فهذا المكان يعتبر قصراً بالمقارنة مع منزلك السابق.

(دعجاء) وهي تدخل خلف (عانكة): خيمتنا كانت أكبر من منزلك.

(عانكة) وهي تبتسم: أنتِ مزعجة يا صبية!

(دعجاء): مزعجة لأني أقول الحق؟

(عانكة) وهي تعلق حقيبتها الجلدية: مزعجة لأنك تظنين أن الحق معك.

(دعجاء) تنظر لـ(عانكة) باستغراب...

(عانكة) وهي تجلس: تعالي واجلسي أمامي.

جلست (دعجاء) أمام (عانكة) بصمت..

مدت (عانكة) قدميها وقالت: ادعكيهما لي فقد أرهقتهما من المسير.

(دعجاء) وهي تبدأ بدعك قدمي (عانكة): هل لي بسؤال يا عمة؟

(عانكة) وهي تتوسد الجدار خلفها وتغمض عيناها: ماذا؟

(دعجاء): عندما كنتِ تتقاتلين مع ذلك المخلوق في الصحراء..

(عانكة) وعيناها مازالتا مغمضتين: (مدراس)..

(دعجاء) وهي مستمرة بدعك قدمي (عانكة): نعم.. كنتِ تتحركين بخفة وسرعة خاطفة ولكن الآن تتحركين كـ..

(عانكة) وعيناها مغمضتان: كعجوز متهالكة..

(دعجاء) وهي تتوقف عن الدعك: لا.. لا.. لم أقصد ذلك يا عمة.

(عانكة): ماذا تقصدين إذاً؟

(دعجاء) بوجه تبدو عليه الحيرة:...

(عانكة) وهي تبتسم وعيناها ما زالتا مغمضتين: أكملي الدعك يا بلهاء.

(دعجاء) تبتسم وتعاود دعك قدمي (عانكة)..

توقفت (دعجاء) عن الدعك بعد فترة عندما بدأت تسمع شخير عمتها وسحبت غطاءً كان بجانبها وغطتها ونهضت وبدأت تتجول في ذلك المنزل الصغير. لم يكن هناك الكثير لتستكشفه في ذلك المنزل

فلم يكن به سوى المكان الذي استلقت به (عانكة) وغرفة مغلقة بباب خشبي. كانت الغرفة مقفولة بقفل حديدي كبير وكانت جدران المنزل مبنية على شكل رفوف وكانت تلك الرفوف مليئة بالقوارير والصناديق الصغيرة وبعض الأوراق الملفوفة.

تمكن الفضول من (دعجاء) وبدأت تفتح بعض تلك الصناديق الصغيرة التي انتشرت على الرفوف. فتحت صندوقاً لفت نظرها بسبب تصميمه الخارجي المميز والذي كان مصنوعاً من الخشب ومزيناً ببعض العظام الصغيرة. بمجرد أن فتحت (دعجاء) الصندوق خرجت منه رائحة زكية كانت ساحرة جداً لدرجة أن (دعجاء) جلست في أحد أركان المنزل وبدأت باستنشاقه حتى غلبها النوم.

استيقظت (دعجاء) على صفعة قوية من (عانكة) وهي تصرخ بغضب:

لماذا فتحتِ هذا الصندوق؟!

(دعجاء) وهي مفزوعة ولم تستيقظ تماماً: أي صندوق؟!

(عانكة): أنظري إلى نفسك!.. تبدين وكأنك قد شربتِ نهراً من الخمر!

(دعجاء) وهي تحاول الوقوف بصعوبة: لقد استنشقت عطرك فقط يا عمة.

(عانكة): عطر؟!.. هذ ليس بعطر يا حمقاء!.. هذا غبار الغواية!

(دعجاء) وهي تقف بترنح وكأنها مخمورة: سوف أنظف الغبار لا تقلقي يا عمة.

(عانكة) وهي تسحب (دعجاء) من يدها بقوة: تعالي معي!

أخذت (عانكة) بعض القوارير التي كانت على الرفوف ثم أحضرت إناء فارغ وبدأت تمزج بعض محتويات تلك القوارير بنسب مختلفة في الإناء ثم مدته لـ(دعجاء) وقالت: اشربي هذا!

(دعجاء) وهي تبتسم بعينين شبه مغمضتين: لا... شكراً

(عانكة) بغضب: هل تظنين أني أكافئك؟!.. أشربي!

فتحت (عانكة) فم (دعجاء) عنوة بيد وباليد الأخرى سكبت محتوى الإناء في فمها وأمسكت أنفها كي تبتلع الخليط. بعد ابتلاع (دعجاء) للخليط غطت في نوم عميق لم تستيقظ منه إلا منتصف الليل لتجد (عانكة) بجانبها نائمة أيضاً. تبسمت (دعجاء) ولم تنهض وعادت للنوم.

في الصباح فتحت (دعجاء) عينيها عندما سمعت صوت عمتها وهي تضع بعض القوارير في حقيبتها الجلدية فنهضت وقالت: ماذا حدث بالأمس يا عمة؟

(عانكة) وهي تضع الحقيبة على كتفها دون أن تلتفت إلى (دعجاء):

لا تعبثي بشيء هنا أو في الحانوت ولا تفتحي صندوقاً أو قارورة.. كان من الممكن ان تفقدي حياتك بسبب فضولك الأحمق.

(دعجاء) وهي تنزل رأسها: لن أكررها مرة أخرى.

(عانكة) وهي تهم بالخروج من المنزل: هيا لنذهب للسوق..

توجهت الاثنتان للسوق وفتحتا الحانوت وكما حدث بالأمس جلست (عانكة) تحدق بالمارة ومرتادي السوق و(دعجاء) تنظف وترتب المكان لكنها هذه المرة لم تستغرق وقتاً طويلاً لأن الدكان كان نظيفاً ومرتباً من اليوم السابق فجلست بجانب عمتها تحدق معها في المارة بصمت.

(عانكة) وعينها على المارة: هل أنتِ واثقة من أنك تريدين البقاء معي يا صبية؟

(دعجاء): وهل لي مكان آخر أذهب إليه؟

(عانكة): يمكنني أخذك لأحد المنازل لتعملي كخادمة عندهم.

(دعجاء): أنا أعمل عندك أم أنك لا تريديني وتريدين التخلص مني.

(عانكة) وهي تزفر وعينها على المارة: عالمي ليس مناسباً لطفلة مثلك.

(دعجاء): أنا لست طفلة يا عمة.

(عانكة): إذا كنتِ ترغبين العيش معي فلن تعيشي كخادمة.

(دعجاء): هل هناك شيء أدنى من ذلك؟

(عانكة) وهي تضحك: طموحك في الحياة محزن يا صبية.

(دعجاء): وما الذي يمكن أن أطمح له غير ذلك فأنا لا أملك شيئاً يستحق الإشادة به؟

(عانكة) تحدق في المارة وتبتسم..

(دعجاء) وهي تشير لأحد المارة القادمين نحوهم: انظري يا عمة إلى ذلك الرجل القادم نحونا.. أليس هو نفس الرجل الذي تحدث معك بالأمس عندما كنا نغلق الدكان؟

(عانكة) وهي توجه نظرها للرجل: نعم..

(دعجاء) وهي تنظر للرجل وهو يقترب منهما: ماذا تظنين أنه يريد؟

(عانكة): سنعرف الآن.

(الرجل): عمتِ مساء سيدتي.

(عانكة): اختصر في كلامك وهات ما عندك أيها الرجل فوقتي ثمين.

(الرجل): أريد التأكد فقط من أني أتحدث مع السيدة (عانكة).

(عانكة) وهي تشير لـ(دعجاء): هذه السيدة (عانكة) تحدث معها.

(دعجاء) تنظر باستغراب لـ(عانكة)..

صمت الرجل وهو ينظر (لدعجاء) بتعجب ثم قال: هل تهزأين بي؟!

(عانكة): أنت (خماب القويسي) وأتيت لأن قبيلتك أرسلتك لإيجاد طريقة للتخلص من شيء يفتك بشبابها والذي دلك علي هي ساحرة.. أليس كذلك؟

(الرجل) وهو منبهر: من أخبرك بذلك؟

(عانكة) وهي تبتسم وتشير لـ(دعجاء): السيدة (عانكة).

اندفع الرجل ونزل على ركبه وبدأ بتقبيل يد (دعجاء) وهو يقول:

أرجوك يا سيدة (عانكة) ساعدينا!

(دعجاء) وهي متفاجئة وتنظر باستغراب لـ(عانكة) التي كانت تضحك:

حسناً! حسناً! سنساعدك لكن ابتعد عني!

(الرجل) وهو يرفع رأسه وينظر لـ(دعجاء): حقاً يا سيدة (عانكة)؟

(عانكة) وهي تبتسم: لقد وافقت السيدة (عانكة).. عد غداً ومعك دواب لنرحل نحو مضارب قبيلتك.

(الرجل) وهو يقف مبتسماً: حسناً.. لكن لم نتفق على الأجر.

(عانكة): زعيم قبيلتكم خصص مئة قطعة ذهبية لمن يتخلص من تلك المشكلة هل أنا محقة؟

(الرجل) بانبهار: نعم كيف عرفتِ؟

(عانكة) وهي تبتسم: مئة قطعة ذهبية ستكون كافية.. نصفها الآن والنصف الآخر عندما نخلصكم من المشكلة.

(الرجل) وهو يشير لـ(دعجاء): ستكون السيدة (عانكة) معنا بالطبع.

(عانكة) وهي تضحك: لاشك فهي من سيخلصكم مما أنتم فيه.

(الرجل) وهو يبتسم ويهم بالرحيل: نلتقي غداً إذاً.

بعد رحيل الرجل خرجت (دعجاء) من صمتها وتعجبها مما كان

يحدث وقالت:

ما الذي حدث للتو يا عمة؟

(عانكة) وهي تبتسم: غداً سوف يكون أول يوم عمل لك.

(دعجاء): كخادمة؟

(عانكة) وهي مبتسمة: كنقطة.

(دعجاء): نقطة؟

(عانكة) وهي تلتفت على (دعجاء) وتحدق بعينيها: نقطة في بحر عالم لم تريه من قبل وسأكون معك حتى تصبحي موجة لاطمة في ذلك البحر.

(دعجاء) باستغراب: حسناً

ابتسمت (عانكة) ونهضت وهي تقول: لنغلق الحانوت.

(دعجاء): لكننا فتحنا للتو.

(عانكة) وهي تغلق الدكان: السلعة التي اشتراها ذلك الرجل ليست هنا.

(دعجاء): أين إذاً؟

(عانكة) وهي تسير: اتبعيني للمنزل.

وصل الاثنان للمنزل وبعد أن فتحت (عانكة) الباب توجهت مباشرة لتلك الغرفة المغلقة وفتحتها ودخلت إليها و(دعجاء) خلفها. بمجرد دخول (عانكة) للغرفة التي كانت أيضاً مليئة بالرفوف التي اصطفت

عليها القوارير والصناديق الصغيرة بدأت بجمع بعضها وهي تقول: سأحتاج هذه.. وهذه.. وبالتأكيد هذه.

(دعجاء) وهي تراقب عمتها: ماذا تفعلين يا عمة؟

(عانكة) وهي لاتزال تجمع من الرفوف الحاجيات: حان الوقت لأخبرك بطبيعة عملي يا صبية.

(دعجاء): من الواضح أنكِ ساحرة.

(عانكة) وهي ترفع سبابتها: ليس أي ساحرة يا فتاة!

(دعجاء):...

(عانكة) وهي تلتفت على (دعجاء): أنا التي جعلت من اسم الساحرات يلمع في سماء السحرة بعدما كان حصراً على الرجال.

(دعجاء): لم أفهم يا عمة.

(عانكة) وهي تخرج من الغرفة وتضع بعض الحاجيات في حقيبتها الجلدية:

السحر منذ قدم التاريخ كان محصوراً على الرجال في الجزيرة ولم يكن ذلك برغبتنا بل قهراً وفرضاً فرض عيلنا.

(دعجاء): من قبل من؟

(عانكة) وهي تشد وثاق حقيبتها بعصبية: من السحرة الذكور الذين يظنون أن الأرض تسير بمشيئتهم.

(دعجاء): وما علاقة كلامك فيما تقومين به؟

(عانكة) وهي تنظر لـ(دعجاء): عندما يكون أفضل طارد وساحر في الجزيرة امرأة تتغير نظرة الناس لنا.

(دعجاء): أنتم من؟

(عانكة): ساحرات الجزيرة!.. نحن الأقوى في ممارسة السحر ومع ذلك نمتهن كل يوم ونعامل كحثالة لا تستحق التقدير.

(دعجاء): وهل أنتِ يا عمة من سيعيد كرامة الساحرات؟

(عانكة): استعدتها وانتهيت يا صبية!

(دعجاء): ماذا بقي إذاً؟

(عانكة) وهي تجلس: حلمي لن يكتمل إلا عندما يكون للساحرات مملكة في قلب الجزيرة وتحديداً في «اليمامة».

(دعجاء): لما «اليمامة» بالذات؟

(عانكة): لأن أكثر السحرة الذين ألحقوا الأذى بالساحرات أتوا منها.. قتلوا الكثير من الساحرات فقط لأنهم نساء يزاولن مهنة حكموا بأنها محصورة على بني جنسهم

(دعجاء): ولماذا لم يقتلوك حتى الآن يا عمة؟

(عانكة) وهي تبتسم: لا تظني أنهم لم يحاولوا أو أنهم توقفوا عن المحاولة لكن كل من يرسلوه لقتلي يدفن حيث يقف.

(دعجاء): ألا تخافين أن ينجحوا يوماً في قتلك؟

(عانكة): ليس بقدر خوفي من موتي قبل أن أحقق حلمي.

(دعجاء):...

(عانكة): دعينا من هذا الموضوع الآن ولنتحدث في عملنا غداً.

(دعجاء) وهي تبتسم: نعم العصابة التي تهاجم القبيلة.

(عانكة) باستغراب: أي عصابة؟

(دعجاء): العصابة التي تفتك بشباب قبيلة ذلك الرجل!

(عانكة) وهي تضحك: ومن قال أنها عصابة؟!

(دعجاء): من يفعل ذلك إذاً؟

(عانكة) وهي تضطجع: دلكي قدميَّ وسأخبرك.

***

الحرباء

بدأت (دعجاء) بتدليك قدمي (عانكة) وتنصت لها وهي تحكي عن سبب اختفاء شباب تلك القبيلة وقالت: شباب تلك القبيلة يخطفون..

(دعجاء) وهي تدلك قدمي عمتها: يخطفون؟.. من يخطفهم؟

(عانكة): شيطانة عاشقة تلقب بـ(الحرباء)؟

(دعجاء): ماذا يعني شيطانة عاشقة؟

(عانكة): الشياطين العاشقة شياطين تُفْتَتَنْ بالبشر لأسباب مختلفة أغلبها شكلية وجسدية وتقع في حبهم ومع مرور الوقت تبدأ بالتقرب ممن يقع اختيارها عليهم وتبدأ بإيذائهم.

(دعجاء): وهل هذه الـ(حرباء) وقعت في عشق جميع الشبان الذين اختفوا؟

(عانكة): نعم.

(دعجاء): ولماذا تخطفهم؟

(عانكة): بعد فترة من التعذيب الجسدي وقبل أن يفارق الشاب

الحياة تقوم بخطفه وأخذه.

(دعجاء): تأخذه إلى أين؟

(عانكة): شيطانة مثلها لابد وأن تقطن في مكان قريب من مضارب تلك القبيلة كي تقوم بما تقوم به.

(دعجاء): لماذا تأخذه؟

(عانكة): لالتهامه.. تبدأ بالتهام القلب ثم العينين ثم اللسان وبعد ذلك تلتهم ما يتبقى منه.

(دعجاء) باستغراب: ما هذا الحب؟

(عانكة): ألا تحبين اللحم؟

(دعجاء): بلى.

(عانكة): وهل منعك ذلك من التهامه؟

(دعجاء): أنا أتحدث عن حب من نوع آخر.

(عانكة): لذلك أنتِ لا تفهمين كيف تفكر الشياطين العاشقة.. حبها دائماً ما يكون أذى.

(دعجاء):.. كيف يكون الأذى حباً؟

(عانكة): هي لا تعرف أنها مؤذية.. تعتقد أن ما تقوم به حب.. أغلب الشياطين العاشقة هكذا.

(دعجاء): وكيف عرفتِ هذه التفاصيل يا عمة مع أنكِ لم تقابلي الرجل إلا اليوم؟

(عانكة): هناك طرق كثيرة لأخذ العلم قبل أن يصل.

(دعجاء): كيف؟

(عانكة) وهي تضع يدها على رأس (دعجاء) وتهزه وتبتسم: لا تستعجلي.

(دعجاء) تكمل دعك قدمي عمتها مبتسمة..

بعد الظهر أخرجت (عانكة) من جيبها قطعة من النقود وأمرت (دعجاء) بشراء بعض الخبز وبعد عودتها من العجان لم تجد (دعجاء) عمتها في المنزل فجلست تنتظرها كي تتناول معها الغداء لكنها تأخرت وحل المساء ولم تعد فتناولت حصتها من الخبز ونامت. استيقظت (دعجاء) على صوت عمتها وهي توقظها أول الفجر وتأمرها بالاستعداد للرحيل.

(دعجاء) والنعاس في عينيها: أين ذهبتِ يا عمة؟ لقد انتظرتك طويلاً.

(عانكة): لا تكثري الكلام واستعدي للرحيل.

(دعجاء): إلى أين سنذهب يا عمة؟

(عانكة) وهي تضع بعض القوارير والصناديق في حقيبتها الجلدية: يبدو أنكِ ممن تمسح ذاكرتهم بعد كل غفوة.

(دعجاء) وهي تنهض: لا.. لا.. أذكر يا عمة أننا سنذهب مع ذلك الرجل، لكن كنت أظن أننا سنرحل في الصباح.

(عانكة) وهي تخرج من المنزل: لم يبقَ لشروق الشمس الكثير ولا نريد

أن نسير تحت حرها ثم إن الرجل ينتظرنا عند مدخل المدينة.. هيا اتبعيني وتأكدي من إغلاق الباب جيداً قبل رحيلك.

(دعجاء): أمرك.

سارت الاثنتان حتى وصلا لمدخل المدينة ليجدوا الرجل بانتظارهم ومعه ثلاثة دواب ليمتطوها نحو مضارب قبيلته.

(عانكة) وهي تتفحص الدواب بنظرها: هل تظن أن كمية المؤن التي أحضرتها ستكفي لرحلتنا؟

(الرجل): نعم فقد أحضرت طعاماً وماء يكفينا لأسبوع والرحلة لن تستغرق أكثر من ثلاثة أيام.

(عانكة): ثلاثة أيام إذا لم نواجه أية عقبات.

(الرجل): الطريق إلى وجهتنا آمن وغير محفوف بالخطر أو قطاع الطرق.

(عانكة) وهي تركب أحد الدواب مبتسمة: أنت لم تسافر معي من قبل.

(الرجل) وهو يركب دابته: ماذا تقصدين؟

(عانكة) موجِهَة كلامها لـ(دعجاء): هيا اركبي ماذا تنتظرين؟

(دعجاء): أنا لا أجيد ركوب الدواب جيداً يا عمة.

(عانكة) وهي تضحك بقوة: هل نسيتِ ما ركبنا كي نصل لـ«الحجاز»؟.. اركبي ولا تقلقي.

ركبت (دعجاء) الدابة والرجل ينظر لـ(عانكة) باستغراب ويقول:

ماذا ركبتم عندما أتيتم لـ«الحجاز»؟

(عانكة) وهي تضرب الدابة بقدميها: لا شأن لك ركز فقط في الطريق.

سار الثلاثة فجراً يتقدمهم الرجل نحو مضارب قبيلته..

بعد مسيرة يوم كامل وعند منتصف الليل تقريباً أشار الرجل عليهم بالتوقف واستغلال الليل كي يأخذوا قسطاً من الراحة ليستأنفوا المسير عند الفجر. نزل الثلاثة عن دوابهم وكان الإرهاق ظاهراً على (دعجاء) التي نامت أكثر من مرة خلال الطريق لكن بشكل متقطع لم يمنحها راحه كافية. أشعل الرجل ناراً جلس أمامها وانضمت إليه (عانكة) بعدما سقت (دعجاء) خليطاً ساعدها على النوم براحة. جلست (عانكة) أمام النار ورأس (دعجاء) في حجرها والرجل يجلس أمامها بصمت. كسر الرجل صمته بعد فترة وجيزة وقال لـ(عانكة): الن تنامي؟

(عانكة) بتجهم: لا.

(الرجل) مبتسماً: الطريق شاق وتحتاجين للراحة.

(عانكة) وهي تمسح على رأس (دعجاء) وتنظر بحدة للرجل:

لا أظنك حريصاً على راحتي أيها الرجل.

(الرجل) وهو يبتسم: معكِ حق.

(عانكة): أنا لا أنام في حضرة الغرباء.

(الرجل) مبتسماً: هل تخشين على ابنتك مني يا سيدة (عاتكة)؟ ألهذا أخبرتني بأنها أنتِ؟ لقد كنت أحمقاً عندما صدقتك.

(عاتكة) وهي تعبث في شعر (دعجاء) النائمة وتحدق بالرجل مبتسمة:

بل أخشى عليك أنت..

(الرجل) وهو يضحك: تخشين علي من ماذا؟

(عاتكة): لقد رأيت نظراتك لابنتي وهي لم تكن نظرات بريئة.

(الرجل): أنا في مهمة ولن أخاطر بها من أجل متعة عابرة.

(عاتكة): لا تقلل من شأن غباء الرجال فهم يبيعون الدنيا لأجل متعة سريعة.

(الرجل) بغضب خفيف: هل تتهميني بأني أحمل نية سيئة تجاه ابنتك؟!

(عاتكة) وهي تنظر لجبين (دعجاء) وتمسح عليه: أنا أحذرك فقط لأنك إذا حاولت مس شعرة من رأسها ستجد نفسك طعاماً لسباع الصحراء.

(الرجل) ينظر لـ(عاتكة) بقلق..

(عاتكة) وهي تلعب بخصلة من غرة (دعجاء) خلال نومها:

هل تعرف اسم ساحرة قبيلتكم التي دلتكم علي؟

(الرجل): لا أعرف اسمها لكن لقبها (خسوف)

(عاتكة) وهي تبتسم: (خسوف)..

(الرجل): هل تعرفينها؟

(عانكة): كانت من بناتي في السابق.

(الرجل): ساحرة القبيلة ناهزت الخمسين من العمر.. كم عمرك أنتِ؟

(عانكة) وهي تضع رأس (دعجاء) برفق على الرمال وتضطجع بجانبها:

أكبر عمراً وقدراً من أن تعبث معي.. اذهب ونم بجانب دابتك.

(الرجل): البرد قارس هناك!

(عانكة) وهي تغمض عينيها: قسوة البرد أخف وطأَ من قسوتي لو لم تنفذ ما أمرتك به.

نهض الرجل من أمام النار بعصبية وتوجه نحو دابته ونام بجانبها..

في الصباح الباكر وقبل الإشراق بقليل استيقظ الجميع وأكملوا مسيرتهم نحو القبيلة التي وصلوا إليها نهاية ذلك النهار.

(الرجل) وهو يحدق بالأفق ويشاهد مضارب قبيلته: غريبة.. لقد وصلنا في وقت مبكر.

(عانكة) وهي تبتسم: بعض المسافات يمكن اختصارها.

(دعجاء) وهي ترى مشارف القبيلة عن بعد: هذه القبيلة تبدو كبيرة يا عمة.

(عانكة): هذه القبيلة من أكبر قبائل الجنوب وفرسانها من أشد فرسان الجزيرة بأساً وقوة.

(دعجاء): لمَ يحتاجونك إذاً يا عمة؟

(الرجل): لأن خصمهم ليس بمخلوق يستطيع بشر عادي ردعه.

(دعجاء) تنظر للرجل باستغراب و(عانكة) تبتسم..

دخل الثلاثة بدوابهم مضارب القبيلة حيث كان في استقبالهم زعيمها ووفد من فرسانه بالإضافة لساحرة القبيلة التي ما ان رأت (عانكة) حتى جرت نحوها وبدأت بتقبيل قدميها المتدليتين من دابتها وهي تقول: مرحباً بك يا كبيرة!

(عانكة) تنظر للأفق وتبتسم و(دعجاء) تراقب الساحرة (خسوف) وهي تقبل قدم عمتها باستغراب. نزلت (عانكة) من على ظهر دابتها عندما وصلت للحشد الذي كان في استقبالها بقيادة زعيم القبيلة الذي قال: شكراً لتلبيتك دعوتنا يا سيدة (عانكة)!

(عانكة) وهي تُنزل (دعجاء) من على ظهر دابتها:

لا أريد تضييع الوقت أين المصاب؟

(زعيم القبيلة): لقد قتلت (الحرباء) تسعة من خيرة شبابنا ولم نستطع التصدي لها فهي تخطفهم ليلاً بالرغم من الحراسة المشددة التي نضعها حول القبيلة.

(عانكة) باستغراب: الشياطين العاشقة لا تخطف إلا بعد فترة من الاعتداء ثم أنها لا تعتدي على هذا العدد الكبير في وقت قصير.

(خسوف) وهي منحنيه أمام (عانكة): الاعتداءات جميعها حدثت خلال عام ومازالت مستمرة يا كبيرة.

(عانكة) باستغراب: ولماذا تطلبون مساعدتي الآن لَمَ لم تطلبوها في وقت أبكر؟

تغير وجه (خسوف) ولم ترد ووجهت نظرها لزعيم القبيلة الذي قال: المهم أنك أتيتِ الآن لتخلصينا منها..

(عانكة) وهي تتجاهل زعيم القبيلة وتوجه كلامها لـ(خسوف): كيف عرفتِ أنها (الحرباء) وليست شيطاناً أخر؟

(خسوف): لا أعرف.. شيطانة عاشقة غيرها تقوم بعض ضحاياها وشرب دمائهم.. الآثار على أجسادهم قبل اختطافهم تشير لذلك.

(عانكة): أين المريض الذي لم يخطف بعد؟

(زعيم القبيلة): تعالي من هنا فهو يرقد في تلك الخيمة.

تبعت (عانكة) زعيم القبيلة وفرسانه وهي تمسك بيد (دعجاء) وتشدها معها و(خسوف) تتبعهم. دخل الجميع خيمة انتشرت فيها رائحة نتنة بسبب الجروح الملتهبة على جسد الشاب الذي كان يتمدد وسطها على فراش فاخر. غطت (دعجاء) وبعض الفرسان أنوفهم من قوة الرائحة لكن (عانكة) حدقت به لفترة ثم قالت لزعيم القبيلة: هل هذا ابنك؟

(زعيم القبيلة): نعم.. كيف عرفتِ؟

(عانكة) وهي لاتزال تحدق بالشاب وعلى وجهها ارتسمت معالم الغضب:

أنت لم تستدعني إلا عندما أصاب الأذى أحد أبنائك لكن عندما كان يصيب بقية الشبان من عامة أهل القبيلة لم تكترث للبحث عن حل لهذه المشكلة.

(زعيم القبيلة) بتجهم: لا دخل لكِ بالسبب، المهم أن تنفذي المهمة التي استأجرتك للقيام بها.

(عانكة): ليس من العيب أن يكون العيب منك..

(زعيم القبيلة) بغضب: ماذا تقصدين؟!

(عانكة) وهي تمد يدها في حقيبتها الجلدية وتخرج المال الذي أخذته من الرجل في السوق وترمي به على الارض: ابحث عن من يساعدك غيري وليذهب ابنك للجحيم..

أشهر الفرسان الذين دخلوا الخيمة مع زعيم القبيلة سيوفهم مما دفع (خسوف) للركوع أمام الزعيم وهي تقول: أرجوك يا سيدي لا تتهور!

(زعيم القبيلة) بوجه عابس وهو يحدق بـ(عانكة):

هل تخافين على حياة هذه الساحرة؟

(خسوف): بل أخاف على حياة القبيلة بأكملها من سخطها.

نظر (زعيم القبيلة) باستغراب لكلام الساحرة التي كان يثق بها وقال وهو يهم بالخروج من الخيمة مع فرسانه: أمهلك ساعة لإقناعها..

(خسوف) وهي تتوجه نحو (عانكة) وتقبل يديها:

أرجوك يا كبيرة اغفري لزعيم القبيلة جهله.

(عانكة) وهي تسحب يدها من (خسوف) وتتوجه نحو فراش الشاب و(دعجاء) خلفها: سنة كاملة لم يفكر في طلب العون إلا بعدما أصيب ابنه الغالي.

(خسوف): لقد أمرني بإيجاد حل منذ أول هجمة وفكرة اللجوء إليك كانت فكرتي أنا عندما تقطعت بي السبل.

(عانكة) وهي تصرخ في (خسوف): ولماذا أرسلت في طلبي بعد انتظار سنة كاملة؟!

(خسوف) وهي تنزل رأسها للأرض: لأنه هددني بقطع رأسي إذا لم أجد حلاً يخلص ابنه.

(عانكة) بغضب:إذاً فأنتِ لا تختلفين عنه!

(خسوف) بوجه حزين: سامحيني يا كبيرة.

(عانكة) وهي تجلس أمام الشاب وتتفحص جروحه:هجماتها شرسة جداً وهذا ليس من عوائد الشياطين العاشقة.

(دعجاء) وهي تشد لباس (عانكة): هل سيموت يا عمة؟

(عانكة) وهي تَلْتَفِتْ على (دعجاء) وتبتسم: هل ترين أن حياته أغلى من الذين ماتوا قبله؟

(دعجاء) وهي تنظر للشاب: لا ولكن لا يجب أن يدفع ثمن أنانية أبيه فربما كان أفضل منه.

(عانكة) تبتسم وتوجه كلامها لـ(خسوف): اذهبي وأخبري ولي نعمتك بأني سأتخلص من الحرباء بشرط واحد.

(خسوف) وهي تمسح دموعها وتبتسم: ما هو يا كبيرة؟

(عانكة) وهي توجه نظرها للشاب: بأن يقدم مئة ناقة لأهل كل من مات بسبب (الحرباء) ويعتذر منهم على تقصيره.

(خسوف) وعلى وجهها ارتسمت معالم الخوف: لكن يا كبيرة..

(عانكة) بغضب: أخبريه الآن كي أرحل قبل الغروب إذا لم يوافق!!

خرجت (خسوف) من الخيمة وتركت (عانكة) مع (دعجاء)..

(دعجاء): لماذا مئة ناقة تحديداً يا عمة؟

(عانكة) وهي تبحث في حقيبتها الجلدية: لأن كل ما يملكه هذا الزعيم الأحمق ألف ناقة فقط.

(دعجاء): لن يبقى له إلا مئة ناقة.

(عانكة) وهي لاتزال تبحث في حقيبتها: يبدو أنكِ تجيدين الحساب.. هل تجيدين القراءة والكتابة أيضاً؟

(دعجاء): لا.. تعلمت العد فقط من عمتي (دخيمة) لذا علمت أنه لن يبقى لشيخ القبيلة سوى مئة ناقة.

(عانكة) وهي تخرج قارورة من حقيبتها وترشها على جسد الشاب: كرم مني أن أترك له شيئاً منها.

بدأت (دعجاء) تسمع صراخ زعيم القبيلة من الخارج لكن كلامه لم

يكن مفهوماً..

(دعجاء) وهي تنظر لباب الخيمة: يبدو أن زعيم القبيلة غاضب جداً من طلبك ولن يوافق عليه.

(عانكة) وهي تمسح على جسد الشاب وتبتسم: سيوافق لأن هذا الشاب هو ابنه الوحيد من بين أبنائه فكلهم إناث.

(دعجاء) باستغراب: وما علاقة ذلك بموافقته؟

(عانكة) وهي تنهض من أمام الشاب بعدما غطته: قيمة الولد عنده تعادل جميع بناته ودوابه وأفراد قبيلته فرداً فرداً ولن يضحي بفقدانه.

دخلت (خسوف) وجلست بجانب (عانكة) وقالت: لقد وافق الشيخ على طلبك يا كبيرة.

(عانكة): هل استلم الأهالي النياق؟

(خسوف): لا ليس بعد.

(عانكة): أخبريه أن الوقت ليس في صالِحِه وأن (الحرباء) ستأتي الليلة لأخذ ابنه وإذا لم يقدم النياق لأصحابها ويعتذر منهم فلن أستطيع إنقاذ ابنه الغالي.

(خسوف): لكن جروح ابنه لم تصل لتلك المرحلة التي تجعل (الحرباء) تأخذه معها.

(عانكة): المحلول الذي سكبته عليه سيجعلها لا ترحل بدونه الليلة.

(خسوف) تحدق باستغراب في (عانكة)..

(عانكة) بعصبية: كفي عن التحديق بي بغباء وأخبريه بأن يستعجل في إنهاء ما طلبته منه!

خرجت (خسوف) على عجالة للتحدث مع زعيم القبيلة وتركت (عانكة) أمام الشاب و(دعجاء) التي قالت: هل صحيح ما قلتِه يا عمة؟

(عانكة) وهي تزيل الغطاء عن الشاب وتنظر للجروح والكدمات التي غطت جسده: ماذا تقصدين؟

(دعجاء): أنكِ عجلتِ بالخطر الذي يطارد هذا الشاب بالمحلول الذي سكبتِه عليه

(عانكة) وهي تقلب الشاب على بطنه وتتفحص ظهره: نعم.

(دعجاء): لماذا؟

(عانكة) وهي تغطي الشاب مرة أخرى:

الخير لا يهزم الشر دائماً لذا نحتاج شراً أكثر ظلمة كي نقضي عليه أحياناً.

(دعجاء): وهل أنتِ هذا الشر؟

(عانكة) وهي تلتفت إلى (دعجاء) وتبتسم: هل تعرفين لماذا أبقيك معي يا صبية؟

(دعجاء): لا.

(عانكة): لأنك تذكرينني بسذاجتي عندما كنت صغيرة.

(دعجاء) بعصبية: أنا لست ساذجة!

(عانكة): لا تستعجلي في الحكم على نفسك ما زالت الحياة أمامك.

أمضت (عانكة) و(دعجاء) في الخيمة ساعات حتى دخلت عليهم (خسوف) بمائدة من الطعام وهي تقول: الزعيم انتهى من توزيع النياق كما أمرتِ.

(عانكة) وهي تجلس أمام المائدة وتشير لـ(دعجاء) بالجلوس: وهل اعتذر من أهالي الضحايا؟

(خسوف): نعم.

(عانكة) وهي تقطع قطعة من اللحم وتدفعها في فم (دعجاء): كلي ولا تحدقي بالطعام فقط..

(دعجاء) تحاول مضغ قطعة اللحم الكبيرة التي وضعتها (عانكة) في فمها بصمت..

(خسوف) وهي تهم بالنهوض: هل تأمرينني بشيء آخر يا كبيرة؟

(عانكة) وهي تشير لـ(خسوف) بالجلوس: اخبري سيدك بأن يبعد جميع الحراس عن خيمة ابنه الليلة.

(خسوف): أمرك.. هل تأمرين بشيء آخر يا كبيرة؟

(عانكة): نعم.. تناولي الطعام معنا ثم أرحلي.

(خسوف): لا يا كبيرة ليس من اللائق أن أفعل ذلك.

(عاتكة) وهي تضع لقمة أخرى في فم (دعجاء): هل معيشتك مع هؤلاء القوم أنستك بساطة العيش والتواضع مع الناس؟

(خسوف): العفو يا كبيرة أنا التي لست من مقامك كي أجلس معك على مائدة واحدة.

(عاتكة) وهي تتوقف عن الأكل: ما الذي حدث لك؟

(خسوف) تنزل رأسها وتصمت..

(عاتكة): هل نسيتِ كيف كنتِ أنتِ وأخواتك تأكلن معي على مائدة واحدة؟

(خسوف): لقد كان ذلك منذ زمن طويل ولم أكن أعرف قدرك وقتها.

(دعجاء) تأكل وتراقب الحوار و(عاتكة) تنظر لـ(خسوف) بازدراء..

(عاتكة) بغضب: اجلسي يا (سليمة) قبل أن أحطم هذه المائدة فوق رأسك!

جلست (خسوف) أمام (عاتكة) بخوف..

أكملت (عاتكة) طعامها وهي تقول: كيف حال بقية أخواتك؟

(خسوف): يقبلن يديك..

(عاتكة): لم يزرني أحد منهن منذ أن رحلن عن «الحجاز».

(خسوف) وهي تقضم أظافرها: تعرفين أنهن يخفن الخروج.

(عاتكة) وهي تتناول لقمة بوجه عابس: أعرف.. بسبب الأوغاد في «اليمامة».

(خسوف): نعم.. لقد حاصروا وقتلوا (رضيبة) قبل عدة أشهر عندما كانت تزور أهلها في الشمال.

(عانكة): اليوم الذي اتخلص فيه من سحرة «اليمامة» سيكون يوم عيد.

(دعجاء): لماذا تكرهينهم يا عمة؟

(عانكة) وهي تضع لقمة في فمها: أنا لا أكرههم أنا أحتقرهم لأنهم جعلوا من تصفية الساحرات أساساً لبقائهم.

(دعجاء): وماذا فعلتن لهم يا عمة؟

(عانكة) بتجهم: لا شيء سوى أننا ولدنا نساء!

(دعجاء): لماذا لا تجربين الحديث معهم؟

(عانكة) وهي تنهض من أمام مائدة الطعام بغضب:

الحوار يكون مضيعة للوقت عندما يكون أحد أطرافه ضيق الأفق ومعدوم الأخلاق

(خسوف) تشير لـ(دعجاء) بالتوقف عن الكلام..

(عانكة) وظهرها مدار للمائدة: هل حاولوا قتلك أنتِ ايضاً يا (سليمة)؟

(خسوف): نعم.. قبل شهر أرسلوا مجموعة من الفرسان بقيادة (آدم) كي يقوموا بتصفيتي لكن زعيم القبيلة توسط لي عند كبير السحرة في «اليمامة» كي يعفو عني بشرط ألا أترك مضارب القبيلة أبداً.

(عانكة): ألهذا السبب لم تأتي بنفسك لـ«الحجاز» لطلب مساعدتي؟

(خسوف): نعم فـ(آدم) يجوب المناطق حول مناطقنا وينتهز الفرصة لتصفيتنا دائماً.

(عانكة) بغضب مكظوم: سأنال من رأس الأفعى هذا يوماً ما.

(دعجاء): من (آدم) هذا؟

(عانكة): مرتزق كرس حياته لقتل الساحرات؟

(دعجاء): لماذ كرس حياته لقتل الساحرات؟.. ماذا فعلنا له يا عمة؟

(عانكة) وهي تضحك بقوة: وما دخلك أنتِ؟.. أنتِ لستِ بساحرة.

(دعجاء): أريد أن أكون واحدة منهن.

(عانكة) وهي تبتَسِم وتلتفت إلى (دعجاء): هل تعرفين معنى أن تكوني ساحرة؟

(دعجاء): لا.

(عانكة): لماذا تريدين أن تصبحي ساحرة إذاً؟

(دعجاء): ألم تقولي بأن أبي كان ساحراً؟.. أريد أن أسير على خطاه وأصبح مثله.

(خسوف): هل كان أبوك ساحراً؟

(عانكة) وهي تبتسم وتحدق بـ(دعجاء): نعم.. أبوها (وصبان بن شرت).

(خسوف) وهي تنظر لـ(دعجاء) بتعجب: الشاعر؟

(دعجاء): لا أعرف هذا ما تقوله العمة.

(عانكة) وهي تشير بيدها للطعام: خذي المائدة يا (سليمة) الليل أوشك على الحلول و(الحرباء) لاشك أنها في طريقها لأخذ ضحيتها.

(خسوف) وهي تحمل المائدة وتهم بالخروج: أمرك يا كبيرة.

(دعجاء): ماذا تنوين القيام به يا عمة؟.. هل ستواجهينها؟

(عانكة) وهي تتوجه لأحد زوايا الخيمة: مواجهة شيطانة مثلها مضيعة للوقت لأنها تستطيع الهروب بسهولة.

(دعجاء): ماذا ستفعلين إذا؟

(عانكة) وهي تجلس وتشير لـ(دعجاء) بالجلوس بجانبها: سننتظرها حتى تأتي وتأخذ الشاب..

(دعجاء): لكن إذا أخذته ستقتله.

(عانكة): لن تقتله حتى تصل لوكرها.

(دعجاء): وكرها؟

(عانكة): نعم وكرها.. الشياطين العاشقة التي تهاجم البشر مثلها لابد أن يكون لها وكر تلتهمهم فيه وفي الغالب أنه كهف أو جحر في الأرض.

(دعجاء): وكيف ستجدين هذا الوكر بعد هروبها من هنا مع الشاب.

(عانكة): سأتعقب أثرها.

(دعجاء): كيف؟

(عانكة): لا تسألي وشاهدي فقط.

دخلت (خسوف) الخيمة وأخبرت (عانكة) بأن زعيم القبيلة أتم ما طلبته منه وأمر بانصراف جميع الحراس الذين كانوا يحيطون بخيمتهم، فأشارت لها بالخروج وإخماد النار التي كانت تشتعل خارجها. نفذت (خسوف) كلام (عانكة) التي بقيت مع (دعجاء) في انتظار (الحرباء).

انتظرت الاثنتان مدة طويلة وكلما حاولت (دعجاء) الحديث مع عمتها التي كانت تحدق بباب الخيمة نهتها عن الحديث وطلبت منها الصمت فأصابها الملل ونامت.

استيقظت (دعجاء) منتصف الليل تقريباً على صوت ضرب قوي وعندما فتحت عينيها حاولت الصراخ من المنظر الذي رأته أمامها لكن (عانكة) كتمت صرختها بوضع يدها على فمها بسرعة وهي تراقب امرأة عارية بجلد زهري اللون وأعين صفراء وأنياب تسيل منها الدماء تضرب وتعض وتنهش في ذلك الشاب الذي كان فاقداً للوعي.

استمر عبث (الحرباء) بالشاب فترة من الزمن و(عانكة) تراقبها بصمت ويدها على فم (دعجاء) المصدومة وبعد ذلك قضمت (الحرباء) قدم الشاب وبدأت بسحبه خارج الخيمة وهي تجري بسرعة مبتعدة عن مضارب القبيلة إلى قلب الصحراء. رفعت (عانكة) يدها عن فم (دعجاء) التي وقفت متسمرة تنظر لفراش الشاب الخاوي

والذي لم يبقَ فيه سوى غطاء ملطخ بالدماء. خلال ذلك بدأت (عانكة) بقراءة بعض الطلاسم خرج بعدها شيطان قصير بقرن واحد وعينان واسعتان جداً ووضعت سبابتها على طرف قرنه وقالت: حدد مكان الوكر..

انطلق الشيطان بسرعة خاطفة من الخيمة تاركاً خلفه (دعجاء) المنبهرة و(عانكة) المترقبة. بعد دقائق من خروج الشيطان الأقرن دخلت (خسوف) وعليها معالم الحماس والتوتر وقالت: هل استطعتِ تقفي أثرها يا كبيرة؟

(عانكة) وعينها على فوهة الخيمة: سنعرف ذلك بعد قليل..

(دعجاء): ما هذا الشيطان يا عمة؟

(عانكة) وهي لاتزال تحدق بفوهة الخيمة: متقصي وهو الوحيد الذي يملك سرعة كافية لملاحقة شيطان مثل (الحرباء) وتحديد مكان سباتها.

(دعجاء): تتحدثين عنها وكأنها حيوان وليست شيطاناً.

(عانكة): الشياطين التي تسلك مسلكها تنبذ من أقوامها وتعيش وحدها كالحيوانات الضالة وتتشكل من وقت لآخر كي تقتات على ضحاياها.

(دعجاء): وما الذي يدفعها لمثل هذه الحياة؟

(عانكة): الهوى آفة النفس ومن يتبع هواه سيضل ولو بعد حين..

(دعجاء):...

(عانكة): صمتِّ لأنك لم تفهمي قصدي؟

(دعجاء) بوجه محبط: بل لم أفهم كلامك من الأساس.

(عانكة) وهي تبتسم وعينها ما زالت على فتحة الخيمة:

ستفهمين لاحقاً يا ابنة (وصبان)..

دخل الشيطان الأقرن الخيمة مسرعاً ولم يتوقف حتى أمسكته (عانكة) من قرنه وهي تقول:هل وجدت وكرها؟!

(الشيطان الأقرن): تحت التراب..

(عانكة) وهي تهز رأس الشيطان بقرنه: عد أدراجك نحوها بخطى بطيئة.

أطلقت (عانكة) الشيطان الذي أدار ظهره وبدأ يسير على أطرافه الأربعة حتى خرج من الخيمة..

(عانكة) وهي تضع حقيبتها الجلدية على كتفها وتخرج خلف الشيطان:

هيا لنلحق به قبل أن يبتعد ونفقد أثره.

أمسكت (خسوف) بيد (دعجاء) وخرجوا خلف (عانكة) وبدأوا بالسير خلفها وبعد مسافة ليست باليسيرة توقف الشيطان أمام جحر في الرمال بفتحة كبيرة وبعض الأعشاب البرية التي نمت فوقه وأصوات صرخات الشاب المتعالية تخرج منه.

(عانكة) وهي تضع حقيبتها على الرمال:

لقد وصلنا لوكر (الحرباء).. ارحل الآن أيها الشيطان..

اختفى الشيطان الأقرن مباشرة تاركاً (عانكة) تحدق بفوهة الجحر وصرخات الشاب تملأ المكان..

(خسوف) بقلق: يجب أن نسرع يا كبيرة فالشاب في خطر.

(عانكة) وهي تبتسم ببرود: لاتقلقي فهي لا تلتهم ضحاياها قبل أن تتسلى بتعذيبهم

(خسوف) تنظر لـ(عانكة) بتعجب..

بعدما توقفت صرخات الشاب بدأت (عانكة) تبحث في حقيبتها..

(خسوف): كيف أساعدك ياكبيرة؟

(عانكة) وهي تأخذ بعض القوارير الصغيرة من حقيبتها وتضعها في جيبها وتتوجه نحو الجحر الكبير: قومي بحماية الصبية فقط.

(دعجاء) بقلق: هل ستدخلين وحدك يا عمة؟!

(عانكة) وهي تدخل الجحر: لن أتأخر.

بعد دقائق من دخول (عانكة) للجحر بدأت أصوات صراخ عالية تصدر منه ولم تكن تلك الأصوات صوت (عانكة) فقالت (خسوف) وهي تضم (دعجاء) لبطنها وتنظر للجحر: يبدو أن الكبيرة وجدتها.

(دعجاء) وهي تنظر لفوهة الجحر بقلق: أنا خائفة على العمة.

(خسوف) وهي تنظر للجحر وتبتسم: منذ متى وأنتِ تعيشين مع العمة؟

(دعجاء) وعينها على فوهة الجحر: أيام معدودة فقط.

(خسوف) مبتسمة: خوفك على الكبيرة مبرر إذاً.

(دعجاء) وهي ترفع نظرها وتوجهه نحو (خسوف): لماذا؟

قبل أن تجيب (خسوف) خرجت (الحرباء) من الجحر وهي تصرخ بشكل مخيف وذراعها مبتور والدماء والجروح تغطي جسدها وما أن رأت (خسوف) و(دعجاء) أمامها حتى انقضت عليهما بمخالب يدها المتبقية وأصابت (خسوف) التي دفعت (دعجاء) بعيداً عن طريق (الحرباء) لتتلقى الضربة بدلاً عنها وتسقط على الأرض مصابة. دنت (الحرباء) من (خسوف) وهي واقعة على الأرض وكشرت عن أنيابها وانقضت عليها لكن وقبل أن تصل إليها تمزقت إلى مئات من قطع اللحم وتناثرت أشلاؤها في المكان كله.

التفتت (دعجاء) لترى (عانكة) عند فوهة الجحر عاقدة أصابعها تحدق بأشلاء (الحرباء) المتناثرة وتبتسم. اندفعت (دعجاء) باعين دامعة نحو عمتها وعانقتها وبدأت بالبكاء وهي تقول: عندما رأيتها تخرج من الجحر وحدها ظننت أنكِ متِّ!

(عانكة) وهي تبتسم: خرجت لتنجو بحياتها مني لكنني أدركتها بطلسم قبل أن تفر.

(دعجاء) تستمر في معانقة (عانكة) وتبكي..

(عانكة) وهي مبتسمة وتوجه كلامها لـ(خسوف): هل أنتِ بخير يا (سليمة)؟

(خسوف) وهي تنهض: نعم يا كبيرة لم أصب إلا بخدش بسيط.

(عانكة) و(دعجاء) ما زالت تعانقها: جيد.. ابحثي بين أشلاء هذه الساقطة عن أحدى عينيها.

(خسوف): أمرك.

بدأت (خسوف) بتقليب أجزاء لحم (الحرباء) المتناثرة بحثاً عن رأسها و(عانكة) تضحك وتحاول تخليص نفسها من عناق (دعجاء) بقول:

اتركيني فأنتِ أشد ضراوة من تلك الشيطانة!

(دعجاء) وهي تتشبث بـ(عانكة) أكثر وتقول: لنعد إلى «الحجاز» لقد سئمت هذا المكان؟

(عانكة) وهي تبتسم: حسناً يا ابنة (وصبان) لكن لنحصل على عين (الحرباء) أولاً.

تركت (دعجاء) عناق (عانكة) وبدأت تبحث كالمجنونة بين الأشلاء المتناثرة على الرمال حتى وَجَدَتْ نصف رأس (الحرباء) فغرست يدها فيه واقتلعت عينها ومدتها لعمتها وهي تقول: هيا لنعد إلى «الحجاز»؟

أخذت (عانكة) عين الحرباء وهي تضحك وتقول: حسناً.

بدأت (عانكة) بالقراءة على العين ثم أمرت (دعجاء) بإحضار حقيبتها الجلدية لتضع العين فيها وبعد أن وضعتها أخرجت قارورة صغيرة وقالت:

أعطِ هذا لأختك (سليمة) كي يلتئم جرحها بسرعة.

جرت (دعجاء) نحو (خسوف) وناولتها القارورة وعادت مسرعة لـ(عانكة) وقالت بعصبية: هل يمكننا الرحيل الآن يا عمة؟!

ضحكت (عانكة) وقالت لـ(خسوف): هل يمكنك العودة وحدك للقبيلة؟

(خسوف) وهي تضع يدها على جرحها: نعم يا كبيرة وشكراً لكِ لإنقاذ رقبتي من بطش زعيمها

(عانكة) وهي تتقدم ببضع خطوات نحو (خسوف): اشكريني عندما أتخلص من الأوغاد في «اليمامة».

(خسوف) وهي تنحني بصعوبة وتقبل يد (عانكة): لن أخرج من القبيلة إلا للاحتفال بنصرك عليهم.

(عانكة) وهي مبتسمة: لاتنسي عندما تأخذين الشاب معك أخذ ما تبقى من رأس (الحرباء) لزعيمكم كأثبات على إنجاز المهمة

(خسوف): وماذا عن بقية أجرك يا كبيرة للتخلص من (الحرباء)؟

(عانكة): خذيه فأنتِ أحوج مني إلى تلك الأموال.

(خسوف) وهي تنزل رأسها: شكراً يا كبيرة.

رحلت بعد ذلك (خسوف) متوجهة نحو مضارب القبيلة تاركة خلفها (دعجاء) وهي تشد لباس (عانكة) وتقول بغضب: هيا لنعد لـ«الحجاز»!

(عانكة) وهي تعقد أصابعها وتبتسم: هل جربتِ الانتقال بطلاسم الانتقال من قبل؟

***

السم والترياق

امرأة تسير بخطوات متسارعة في أحد أسواق «بابل» المزدحمة تغطي نفسها بخمار مزركش ولا تظهر سوى عينيها اللتين كانتا تتفحصان الحوانيت والباعة المفترشين للأرض بحثاً عن شيء أو شخص ما. توقف بحثها عندما وقعت عيناها على رجل في الثلاثين من عمره يفترش أحد أركان السوق واضعاً أمامه بعض الخرق المعقودة وبعض الحلي النحاسية. دنت المرأة من الرجل وسألته:

هل أنت (عقربة البابلي)؟

(عقربة) وهو يرفع رأسه وينظر للمرأة: من يسأل؟

(المرأة): أنا التي أخبرتك عنها (حجيبة)

(عقربة) وهو يبتسم: أنتِ العقيمة التي ترغب في الانجاب.

(المرأة) وهي تعدل خمارها: نعم.

(عقربة): وصلت لمرادك.. بماذا يمكن أن أساعدك يا سيدتي؟

(المرأة) وهي تقترب أكثر من (عقربة) وتتحدث بصوت خافت:

ألم تخبرك (حجيبة) بالمشكلة؟

(عقربة): بلى لكنني أريد سماعها منك.

(المرأة) وهي تلتفت خلفها ثم أمامها: أنا متزوجة منذ عام ولم أحبل حتى الآن.

(عقربة): وما المشكلة ما زال الوقت مبكراً على ذلك؟

(المرأة): أنا الزوجة السابعة وزوجي هددني بأنه سيتركني كما فعل مع الأخريات إذا لم أحبل قريباً.

(عقربة) وهو يضحك: ألا تعتقدين أن المشكلة منه وليست منك؟

(المرأة): وهل أجرؤ على إخباره بذلك أو حتى مناقشته في الأمر؟ زوجي تاجر كبير وأنا مجرد جارية مسكينة اختارها لينجب منها ولم يفلح كما لم يفلح مع غيري.

(عقربة) وهو يحدق بالمرأة بخبث: وكم ستدفعين مقابل أن تحبلي؟

(المرأة): سأدفع مثلما دفعت (حجيبة).

(عقربة): أريد الضعف.

(المرأة): الضعف؟!.. لكن هذا كثير جداً.

(عقربة): عودي إذا لزوجك وانتظري حتى يرميك في الشارع كبقية زوجاته.

(المرأة): وهي تخرج صرة معقودة من جيبها: لا لا.. خذ هذا فهي أكثر مما طلبت لكن ساعدني.

(عقربة): وهو يأخذ الصرة مبتسماً: كم تستطيعين التغيب عن المنزل؟

(المرأة): إلى آخر النهار فقط لأن زوجي يعود في المساء.

(عقربة): وهو ينهض ويجمع حاجياته التي كانت مفروشة على الأرض: هذا وقت كافٍ.. اتبعيني

(المرأة): أتبعك إلى أين؟

(عقربة) وهو يعقد حاجياته في خرقة كبيرة ويضعها على ظهره: علاجك في منزلي الحقي بي كي تأخذيه.

تبعت المرأة (عقربة) حتى وصلت منزله الذي كان خارج حدود السوق بمسافة بسيطة وعند وصولهما فتح الباب وقال وهو يشير لها بالدخول: تفضلي.

(المرأة) وهي تعدل خمارها: لا.. سأنتظرك في الخارج حتى تحضره لي.

(عقربة) وهو يبتسم: أنتِ لن تأخذي الدواء معك بل ستتناولينه عندي.

(المرأة) وهي مرتابة: لماذا؟

(عقربة): لأنك ستصابين بالدوار بعده لفترة وجيزة ولا أريد أن يراك أحد وأنتِ بتلك الحالة أمام منزلي.

(المرأة): لا تقلق سأتناوله في منزلي.

(عقربة): إما أن تتناولينه هنا أو لن أعطيك إياه.

(المرأة): لن أخاطر بالدخول إلى منزلك وتناول شيء أجهله.

(عقربة) وهو يدخل ويغلق الباب خلفه: كما تشائين.

بقيت المرأة عند باب منزل (عقربة) تفكر بالرحيل ونسيان الأمر لكن كلما تذكرت تهديد زوجها لها ترددت وبعد صراع مع أفكارها طرقت الباب ففتح (عقربة) بوجه متجهم وقال: ماذا تريدين؟!

(المرأة): كيف أضمن بأنك لن تغدر بي؟

(عقربة) بعصبية: اسألي صاحبتك التي أرسلتك فهي تناولت الدواء مثلك!

(المرأة) وهي تعدل خمارها: حسناً موافقة.

(عقربة) وهو يبتسم ويتنحى عن مدخل المنزل ويشير لها بالدخول: تفضلي.

بعد ساعة خرجت المرأة من منزل عقربة وهي في حالة من الخدر وقالت:

أنت لم تقل أني سأنام.

(عقربة) وهو مبتسم: تأثير الدواء يختلف من شخص لآخر.

(المرأة): وهي تضع خمارها على رأسها وتحاول التركيز في الطريق أمامها:

هل أنت متأكد من مفعول هذا الدواء؟

(عقربة) وهو يغلق الباب مبتسماً: هذا الدواء لم يخذلني قط.

دخل (عقربة) منزله واستلقى على فراشه وأغمض عينيه لكن خلوته

بنفسه تعكرت بطرق قوي دفعه للنهوض بعصبية وفتح الباب بغضب وهو يقول: من؟!

(بُليس): لماذا رحلت عن السوق باكراً اليوم؟

(عقربة) وهو يعود لفراشه: هذا أنت؟.. ماذا تريد؟!

(بُليس) وهو يدخل ويغلق الباب خلفه: الجن الأزرق بدأوا يضايقوننا في عملنا والناس بدأت تلجأ إليهم أكثر منا.

(عقربة) وهو يستلقي على فراشه: وماذا تريد مني؟

(بُليس): أنت كبيرنا ويجب أن تجد حلاً لأن مواردنا بدأت تنضب والناس لم تعد تلجأ الينا كالسابق.

(عقربة): منذ دخول سحرة «فارس» لـ«بابل» واستخدام الجن الأزرق أصبح منتشراً بشكل كبير ولا نستطيع مقاومة هؤلاء السحرة وردع استحلالهم لبلدنا وأسواقنا.

(بُليس): لن تفعل شيئاً إذاً؟

(عقربة) وهو يجلس من استلقائه: هناك حل لكنه سيستغرق وقتاً.

(بُليس): ما هو؟

(عقربة): أن نقضي على الجن الأزرق بأكملهم بعدما نكسب ثقتهم مؤقتاً قبل أن يعودوا للتعامل مع الفرس

(بُليس) وهو يضحك بقوة: هل بدأت تتناول تلك الأدوية التي تسقيها لضحاياك من النساء.

(عقربة): اسمعني يا أحمق ولا تقاطعني.

(بُليس) وهو يبتسم: تفضل أكمل.

(عقربة): الجن الأزرق يتعامل مع سحرة الفرس دون غيرهم

(بُليس): وما علاقة ذلك في تدمير مملكتهم؟

(عقربة): أنا لم أتعامل معهم من قبل لكني ملم بتاريخهم.. (وندل) له من الأبناء ثلاثة.. (فردك) و(قيرن) وأصغرهم (أزرق) وهو أفضلهم.

(بُليس): أنا منصت.. أكمل.

(عقربة): نحتاج أولاً أن نكسب ثقتهم.

(بُليس): كيف؟

(عقربة): بالتعامل معهم.

(بُليس): لكن سحرة الفرس لن يسكتوا على ذلك فهم دخلوا أرضنا ليُسطروا على حصتنا في سحر الأعمال والربط وكل ما قاموا وسيقومون به لن يكون إلا لأضعافنا.

(عقربة): الجن الأزرق لا يأخذ الإذن من أحد في التعامل فهم يتعاملون مع من يريدون فقط.

(بُليس) وكيف سنغريهم بالتعامل معنا؟

(عقربة) مبتسماً: بدأت تفكر الآن..

(بُليس): أنا لست أحمقاً وتراودني أفكار مذهلة دائماً!

(عقربة): الأفكار التي تجتاح وتسكن عقلك ستموت إذا لم ترَ النور من خلال عملك..

(بُليس): وماذا تنوي أن تعمل مع مملكة الجن الازرق؟

(عقربة): لو كسبنا ثقة (وندل) سنكسب ثقة شعبه بالكامل.

(بُليس): وكيف سنفعل ذلك؟

(عقربة): بأن نحل له مشكلة.

(بُليس): وماهي المشكلة التي قد يعاني منها ملك مملكة الجن الأزرق؟

(عقربة) وهو يبتسم: مشكلة نختلقها نحن ولا يكون حلها إلا بيدنا.

(بُليس): مثل ماذا؟

(عقربة): ابنته (قيرن)..

(بُليس): ما بها؟

(عقربة): ستهرب من كنف أبيها وتلحق به العار.

(بُليس) وهو يحك رأسه: لا أفهم.

(عقربة) وهو يشير لمجموعة من الكتب: منذ متى وأنت تستخدم عقلك؟.. أحضر لي ذلك الكتاب.

(بُليس) وهو يناول (عقربة) الكتاب: ماذا ستفعل؟

(عقربة) وهو يفتح الكتاب: سأستدعي من سيخطف قرة عين (وندل) من أحضانه.

بدأ (عقربة) بقراءة بعض الطلاسم من الكتاب وبعد انتهائه ظهر أمامه شيطان بعين واحدة وجسد مملوء بالأشواك وقال: ماذا تريد يا (عقربة)؟

(عقربة) وهو يبتسم: كيف حالك يا (غامر)؟

(غامر) بغضب: اختصر في كلامك ولا تطلِ الحديث!

(عقربة):.. (قيرن ابنة وندل)..

(غامر): أميرة الجن الأزرق.. ما بها؟

(عقربة) مبتسماً: أريدها بين أحضانك مفتونة بك في أسرع وقت..

(غامر): هل أقتلها؟

(عقربة) وهو يضحك: لا لا.. ما حكايتكم مع القتل يا معشر الشياطين العاشقة؟

(غامر): لا يضاهي متعة العشق سوى قتل من تعشق بيديك..

(بُليس) ينظر لـ(غامر) بخليط من التوتر والاشمئزاز..

(عقربة) مبتسماً: لا.. أريد فقط أن تهجر مملكتها في «فارس» لفترة من الزمن وتقيم معك حتى أطلب منك إعادتها.

(غامر): وما المقابل فأنت تعرف بأني لست شيطان مسخر؟

(عقربة): ماذا تريد؟

(غامر): أنت تعرف ماذا أريد؟

(عقربة) وهو يبتسم: لك ذلك، لكن أنجز مهمتك أولاً.

(غامر) وهو يختفي: ستكون ابنة (وندل) أسيرة لي خلال شهر.

(بُليس) وهو متوتر: أنت تلعب بالنار يا (عقربة).

(عقربة) وهو يغلق الكتاب مبتسماً: اللعب بالنار خير من أن نتركها تلعب بنا..

بعد أقل من شهر انتشر بين السحرة خبر هروب (قيرن) من مملكة الجن الأزرق وكيف أن (وندل) أوقف التعامل مع جميع السحرة وكرس جهود مملكته للبحث عنها.

(بُليس) وهو يدخل على (عقربة) في منزله مبتهجاً: لقد نجحت خطتك والناس بدأت تعود للتعامل معنا بعدما توقف الجن الأزرق عن مساعدة سحرة «فارس».

(عقربة) وهو مستلقٍ واضعاً ساقاً على ساق: أنا لم أبدأ بتنفيذ الخطة بعد.

(بُليس): أنا أقترح أن نتوقف عند هذا الحد فقد حصلنا على مرادنا.

(عقربة) وهو ينهض ويحضر الكتاب الذي حضر به (غامر):

أحمق وستظل دائماً أحمقَ يا (بُليس)..

ظهر (غامر) أمامهم بعدما انتهى (عقربة) من قراءة طلسم تحضيره وبمجرد ظهوره قال: لقد أنجزت المهمة وحان وقت الإيفاء بنصيبك من الاتفاق..

(عقربة) وهو يعيد الكتاب للرف: مهمتك لم تنتهِ بعد.

(غامر): ماذا تبقى؟

(عقربة): أن تخبرني أين أخذت (قيرن).

(غامر): إلى قمة الجبل الأسود عند البحر الأحمر.

(عقربة): ألن يستطيع الجن الأزق إيجاها بسهولة هناك؟

(غامر): ما لا تعرفه عن الجن الأزرق أنهم يستطيعون إيجاد أي شخص عدا بنوا جنسهم الذين لا يرغبون في ذلك

(عقربة): ماذا تقصد؟

(غامر): الجن الأزرق يملكون قدرة عالية على الاختباء من بنوا جنسهم لو رغبوا بذلك و(قيرن) لا ترغب في أن يجدها أحد منهم لأنها تعرف بأنهم سيبحثون عنها ولن يتمكنوا من معرفة مكانها إذا أخفت أثرها عنهم

(عقربة) وهو يجلس: جيد.. اذهب وقيدها فوق قمة الجبل وابقَ بجانبها.

(غامر): لماذا؟

(عقربة) بتجهم: هل بدأت تسأل الآن أيها الشيطان؟.. نفذ ما أمرتك به وغداً سأكون عندك مع ما طلبت وسأخذها معي وبذلك ينتهي دورك.

(غامر):إذا لم تأتِ بنهاية مغيب الشمس غداً وتفِ بوعدك سأحررها

وأخبرها بأنك أنت من طلب مني القيام بها فعلت وعندها لن يحميك أحد من سخط (وندل).

(عقربة) وهو يبتسم ويشوح بيده: لا تقلق، ارحل الآن.

اختفى (غامر) وترك (عقربة) مبتسماً و(بُليس) قلقاً وهو يقول: ماذا ستفعل الآن؟

(عقربة) وهو ينهض ويعقد أصابعه: سأذهب لـ«جبال البرز» بالطبع.

(بُليس) بتوتر: «جبال البرز» هي حدود مملكة الجن الأزرق ولا يدخلها إلا المخول لهم ولو رأوك سيقتلونك.

(عقربة) يقرأ بعض الطلاسم ويختفي..

انتقل (عقربة) بطلاسم الانتقال إلى «جبال البرز» وتحديداً أحد قمم الجبال هناك، وبمجرد وصوله بدأ بتفحص المكان بنظره وبدأ يشاهد الثلوج التي غطت المكان بالكامل وقبل أن يتحرك خرج له مجموعة من الجن الأزرق وخاطبه أحدهم بالفارسية وقال: ما الذي أتى بك إلى هنا أيها الساحر؟!

(عقربة) لم يكن يجيد الفارسية بطلاقة لكنه كان يعلم أن معظم الجن الأزرق يجيد العربية فقال بالعربية:

أنا رسول من «عربستان» وأتيت بخبر عن (قيرن) ابنة زعيمكم (وندل)!

نظر مجموعة الجن الذين كانوا يحيطون بـ(عقربة) ثم قال أحدهم بالعربية:

ما الخبر الذي أتيت به؟

(عقربة) وهو يبتسم ويعانق نفسه من البرد: الخبر للملك فقط وكل وقت تضيعونه في الجدال سيكون على حساب حياة أميرتكم المفقودة.

تناقش الجن فيما بينهم بالفارسية ثم قال أحدهم بالعربية: ابقَ هنا وسنعود لك لاحقاً!

(عقربة) وهو يبتسم ويشاهد مجموعة الجن وهم يختفون: لا تتأخروا فالبرد في بلادكم قارس!

بعد فترة قصيرة عاد واحدٌ من الجن الذين حاصروا (عقربة) آنفاً وقال:

الملك لن يقابلك لكن الأمير (فردك) والأمير (أزرق) سيقابلانك.

(عقربة) وهو ينفخ في يديه ويمسح بعضهما ببعض لينشر في جسده بعض الدفء: لا بأس.

انحنى الجني الأزق أمام (عقربة) وقال: اركب.

ركب (عقربة) على ظهر الجني وخلال ثوانٍ وجد نفسه في كهف عميق وأمامه جلس (فردك) على عرش ثلجي كبير وبجانبه (أزرق) وهما يحدقان به فقال مبتسماً بالعربية: تشرفت بكما يا أبناء (وندل).

(أزرق) بالعربية بغضب: أين (قيرن) أيها الساحر الخبيث؟!

تغيرت معالم وجه (عقربة) بعد حديث (أزرق) معه بهذه الطريقة ولم يرد بل اكتفى بالتجهم والتحديق بـ(أزرق) بغضب.

(فردك) بالعربية بهدوء: اعذر أخي الأصغر على اندفاعه لكن قلقه على أختنا أفقده أعصابه.

(عقربة) بتجهم وهو لايزال يحدق بـ(أزرق) بغضب: وسيفقد أكثر من ذلك إذا لم يعاملني بالاحترام الذي أستحقه.

(أزرق) يحدق بـ(عقربة) بتجهم..

(فردك) وهو يبتسم: المعذرة يا..

(عقربة) بصوت مرتفع وهو لايزال يحدق بـ(أزرق) بغضب:

(عقربة)!.. (عقربة البابلي)!!.. كبير السحرة في أرض الفراتين!!

(فردك) وهو يبتسم: تشرفنا يا سيد (عقربة).. تفضل وأخبرنا عن الخبر الذي تحمله عن (قيرن).

(عقربة) وهو يدير نظره لـ(فردك) ويحدق به بصرامة وبصوت مرتفع:

ليس قبل أن أخبركم بشروطي!

(أزرق) بغضب: من تظن نفسك؟!

رفع (فردك) يده في وجه (أزرق) وأسكته وقال بهدوء: تفضل ما شروطك؟

(عقربة): أن يتوقف تعامل الجن الأزرق مع سحرة الفرس.

(فردك) بهدوء: وماذا أيضاً؟

(عقربة): أن يكون لي حق التعامل معكم وقتما أشاء!

(فردك) بهدوء: وماذا أيضاً؟

(عقربة): بعد عودة أختكم إليكم أريد أن أحظى بلقاء مع الملك (وندل).

(فردك) بتعجب: لأي غرض؟

(عقربة): لا شأن لك بذلك.. أختكم ستموت مع غروب الشمس ولا وقت للتفكير.

(فردك): شروطك السابقة يمكنني أن أمنحك إياها لكن مسألة عدم التعامل مع سحرة الفرس ستكون محصورة فقط مع الذين يقطنون في «بابل» ولا علاقة لك بغيرهم وشرطك الأخير ليس بيدي فمقابلة الملك تأتي بموافقه منه فقط.

جلس (عقربة) على الأرض وقال: سأنتظرك حتى تأتي لي بالخبر..

نظر (فردك) بتجهم لثقة (عقربة) وغطرسته لكن لم يكن يستطع اتخاذ القرار دون الرجوع لأبيه (وندل) لذا نهض من عرشه الثلجي وقال: ابقَ معه يا (أزرق) ريثما أعود..

رحل (فردك) وترك (عقربة) جالساً على الأرض و(أزرق) يحدق به بغضب..

عاد (فردك) بعد مدة تجاوزت الساعة وعندما رآه (عقربة) صرخ فيه وقال:

لماذا تأخرت؟! كدت أموت من البرد!!

(فردك) وهو يجلس على عرشه: الملك وافق على شروطك.. أين (قيرن)؟

(عقربة) وهو يبتسم: خطفها شيطان عاشق اسمه (غارم) وحبسها في قمة الجبل الأسود عند البحر الأحمر جنوب «عربستان».

ما أن سمع (أزرق) كلام (عقربة) حتى صرخ بغضب واختفى في ثوان..

(عقربة) مبتسماً بسخرية: ما بال أخيك؟

(فردك): لقد ذهب حيث قلت أن (قيرن) موجودة وأنت ستبقى هنا حتى يعود وإذا كان كلامك غير صحيح ستدفع حياتك ثمن خداعك لنا.

(عقربة) وهو يجلس مبتسماً: أنا لم أخاطر وأدخل مملكتكم لأكذب.. أتمنى فقط أن لا يتأخر كي لا أموت من البرد.

(فردك) وهو يحرك سبابته ويشعل ناراً أمام (عقربة): أنت ضيفنا حتى يعود أخي مع (قيرن).

(عقربة) وهو يمسح كفيه ببعضهما البعض أمام النار: أخوك ليس نداً لذلك الشيطان فـ(غارم) شيطان قوي وقد يقتل أميركم الصغير بسهولة.

(فردك): (أزرق) ذهب مع خمسة آلاف من جنودنا وهذا أكثر من كافٍ كي يتولوا أمر ذلك الشيطان.

(عقربة) وهو ينفخ في كفيه ويبتسم: ستقتلونه إذاً؟

(فردك): ماذا تظن أننا سنفعل بمن خطف ابنة الملك؟.. نزوجها له؟!

(عقربة) وهو يبتسم: بالطبع لا فالشرف شيء عظيم ولا يحق لأحد التلاعب به.

(فدرك): لكن هناك أمر محير في قصتك.

(عقربة) وقد بدأ بالتوتر: ماذا تقصد؟

(فردك): كيف عرفت بكل هذه التفاصيل الدقيقة؟.. الشياطين العاشقة شياطين حذره وتعقبها ليس بالأمر الهين.. نحن قمنا بالبحث مطولاً في «فارس» و«عربستان» ولم نجد لـ(قيرن) أثراً وأنت أيها الساحر البسيط حددت مكانها وهوية مختطفها بكل سهولة فكيف لشخص مثلك أن يقوم بما لم يستطع شعب الجن الأزرق بأكمله القيام به.

(عقربة) وهو يبتسم ويمسح يديه أمام النار: مجرد صدفة قادتني إليها.

(فردك) بتجهم: أنا لا أومن بالصدف!

(عقربة): هل تحاول التملص من اتفاقنا بالتشكيك في مصداقيتي؟

(فردك) بهدوء: لا.. المهم أن تعود (قيرن) لنا ولو اكتشفنا أنه كان لك يد في ما حدث لها ستلحق بذلك الشيطان.

(عقربة) مبتسماً: لا تقلق أنا لا أجرؤ على خداع مملكة الجن الازرق.

دخل (أزرق) وهو يشد (قيرن) بعنف ويرميها أمام (فردك) وهي تبكي..

(فردك) وهو ينهض من عرشه مصدوماً ويقول: ما بك يا (أزرق) لماذا تعاملها هكذا؟!

(أزرق) بغضب وهو يحدق بـ(عقربة): لم أجدها مأسورة عند ذلك الشيطان بل وجدتها بين أحضانه بكل إرادتها!!

(فردك) بغضب وتعجب: ماذا؟!

نهض (عقربة) من مكانة والخوف بدأ يتسلل في قلبه..

(قيرن) وهي تبكي: لماذا قتلته؟!

(أزرق) وهو يصرخ في (قيرن) بغضب: وماذا كنتِ تريدين أن أفعل يا أميرة؟!.. لقد دنستِ شرف الملك وجلبتِ لنا العار ويجب ان تلحقي به!!

تنفس (عقربة) الصعداء عندما سمع أن (غارم) قد مات لكن قلقاً ما زال يساوره حول ما ستؤول إليه الأمور لأن خطته لم تسر حسب ما كان يريد فمن الواضح أن (غارم) لم يتقيد بالشق الأخير من الخطة ولم يقيد (قيرن) كما كان الاتفاق..

(فردك) بهدوء لـ(أزرق): هل رأى أحد من الذي اصطحبتهم معك (قيرن) وهي مع ذلك الشيطان؟

(أزرق) بعبوس: لا.. لقد وصلت قبلهم ومزقته قبل أن يصل أحد ممن كانوا معي فقد كان غارقاً في عينيها ولم يرني وانا أهاجمه.

(فردك): جيد.

(أزرق) وهو يصرخ: وما الجيد في الأمر؟!.. شرف عائلتنا تلطخ وأنت تتصرف بكل هدوء!!

(فردك) بغضب: لا ترفع صوتك في وجهي يا (أزرق)!!

(أزرق) يصمت والغضب يتفجر من عينيه..

(فردك) موجهاً كلامه لـ(قيرن): اذهبي إلى أبي ليطمئن عليك ولا تخبريه بأنك رحلتِ مع ذلك الشيطان طوعاً.

(قيرن) وهي تنهض وتبكي: ماذا أخبره إذاً؟

(فردك): أخبريه أنه خطفك و(أزرق) خلصك منه.

(قيرن) بعصبية والدموع تملأ عينيها: لكنه لم يفعل ذلك!

(فردك) بغضب وصرخة مخيفة: لو قلتِ شيئاً غير ذلك فأنا من سيقتلك بيديّ!!

خرجت (قيرن) من المكان وهي تبكي..

دنا (فردك) من (أزرق) الغاضب ووضع يده على كتفه وقال: انتهت الحكاية يا (أزرق)..

(أزرق) بغضب وأعينه تدمع: كيف انتهت؟!.. والعار الذي لحق بنا؟!

(فردك) بهدوء: العار الذي لا يخرج سره من دائرة الملطخين به ليس بعار.

(أزرق) بعصبية: ماذا يكون إذاً؟!

(فردك): مجرد مشكلة فلا تصر على تضخيمها.

خرج (أزرق) من المكان وهو غاضب وترك (فردك) واقفاً وعلى وجهه حسرة..

(عقربة) بتوتر: هل يمكنني الرحيل الآن؟

(فردك): نعم والجن الأزرق منذ اليوم مدين لك.

(عقربة) مبتسماً: شكراً أيها الأمير وسنتحدث لاحقاً عن لقائي مع الملك لكن عندما تهدأ الأجواء قليلاً.

(فردك) وهو يجلس على عرشه والهم يعتريه: ارحل الآن.

(عقربة) وهو يعقد أصابعه: كما تشاء أيها الأمير.

خلال السنوات التي تلت هذه الحادثة أصبح (عقربة) من المقربين من مملكة الجن الأزرق خاصة بعد اللقاء الذي جمعه مع الملك (وندل) وأصبح (أزرق) هو الموكل بتلبية طلبات (عقربة) بأمر من الملك وكان (أزرق) وبالرغم من علاقة (عقربة) القوية مع مملكة الجن الأزرق في تلك الفترة غير متقبلٍ أبداً لـ(عقربة) وكان ينفذ طلباته على مضض. لم ينس (عقربة) هدفه الأساسي من التقرب من مملكة الجن الازرق وهو الإطاحة بها لإضعاف قوة وهيمنة سحرة الفرس على «بابل» والتي

كان لدعم الجن الأزرق لهم دور كبير فيها وفي امتدادهم وتوغلهم في مناطق عملهم ونفوذهم لذا عندما قرر (عقربة) البدء في عملية الإطاحة بمملكة الجن الأزرق قام بتلفيق جريمة قتل التاجر لـ(أزرق) وجمع المال من أهله الأثرياء لحشد الجيوش من السحرة والشياطين للقضاء على مملكة الجن الازرق بأكملها وقد نجح في مسعاه.

بعد انهيار مملكة الجن الازرق وبيع (عقربة) لـ(أزرق) بعد أن أمضى سنوات طويلة قضاها في الأسر توارى (عقربة) عن الأنظار لتقدمه في العمر ولم يظهر إلا عندما سمع بنية ذلك الساحر تصفية أعماله وبيع (أزرق) فخشي (عقربة) على نفسه من انتقام ابن (وندل) الساخط منه لما فعله به وبشعبه فقرر التوجه مع مجموعة من أتباعه لمنزل ذلك الساحر لقتله مع (أزرق) قبل أن يفكر بتحريره لكنه فوجئ عندما رأى (أزرق) محرراً ويمشي مع أخي (ضنة) في السوق فعلم أن حياته أصبحت في خطر لأن (أزرق) بلا شك سيكرس حياته للبحث عنه والاقتصاص منه فقرر مراقبتهما حتى يفترقا وبالفعل وبعد عدة أشهر من مراقبة أتباعه لمنزل أخي (ضنة) جاءه خبر خروج (أزرق) وحده للبحث عن (ضنة) بطلب من أخيها فانتهز (عقربة) تلك الفرصة وتوجه مع أتباعه لمنزل الساحر وقتلوه.

كانت خطة (عقربة) تكمن في قتل (أزرق) بعد موت أخي (ضنة) لكنه قرر أن يختفي مرة أخرى والتخلص من ملاحقة (أزرق) له بإطلاق شائعة موته كي تنشر بين السحرة لعلها تصل لـ(أزرق)

ويكف عن البحث عنه خاصة وأن (عقربة) وقتها قد ناهز الثمانين من العمر وخبر موته لم يكن شيئاً غير قابل للتصديق وكانت (دعجاء) من السحرة الذين وصلهم خبر موت (عقربة) وهي من أخبر (أزرق) بذلك عندما كانت تريد أن يعاهدها على الولاء.

انتقل (عقربة) بعد إطلاقه لشائعة موته للعيش في «لخمو» مبتعداً عن جميع المناطق التي كان معروفاً فيها.

***

غبار النجوم

استيقظت (مهرناز) من إغمائها الأخير بعد إطاحة (كلكامش) لها لتجد نفسها مكبلة بجدار الزنزانة مرة أخرى وجسدها يؤلمها وآثار الحرق منتشرة وملتهبة عليه. رأت أمامها قليلاً من الطعام وبعض الماء الذي بدأت في تناوله بدافع الجوع الشديد وليس الرغبة وخلال ذلك سمعت صوتاً يحدثها:

(ليناز) بقلق: هل استيقظتِ يا (مهرناز)؟

(مهرناز) وهي تتناول طعامها بصعوبة: نعم..

(ليناز): حمداً للآلهة ظننت أنك فارقتِ الحياة.

(مهرناز): كم بقيت غائبة عن الوعي؟

(ليناز): يوما ونصف تقريباً.

(مهرناز): لماذا يفعل بنا ذلك؟

(ليناز): السيد (كلكامش)؟

(مهرناز): نعم السيد مجنون..

(ليناز): أخبرتك سابقاً.

(مهرناز): أخبرتني ولم أفهم.

(ليناز): هل أشرح لك مرة أخرى كي تفهمي؟

(مهرناز) بغضب: لا أريد أن أفهم شيئاً!!

(ليناز):...

(مهرناز):...

(ليناز): الألم أحياناً يكون الطريق الوحيد الذي يجب أن نسلكه لنصل للراحة.

(مهرناز): أنا لم أطلب أن أكون مميزة أبداً.

(ليناز): هل تفضلين الموت؟

(مهرناز): الموت بدأ يصبح خياراً جميلاً.

(ليناز): لا تقولي هذا أبداً.. تذكري آخر مرة كنتِ فيها سعيدة وتمسكي بهذا الشعور حتى تتجاوزي محنتك.

(مهرناز): هل تعرفين كم مرة كنت سعيدة في حياتي البائسة؟

(ليناز): لا...

(مهرناز): مرتين فقط.. الأولى عندما غنيت أول مرة في ماخور (ليوش).

(ليناز): والمرة الثانية؟

(مهرناز): عندما كنت معه..

(ليناز): مع من؟.. (ليوش)؟

(مهرناز): لا.. مع (أبان)

(ليناز):...

(مهرناز): بدأت أدرك أن قدري هو التعاسة مهما حاولت.

(ليناز): أرجوك لا تقولي هذا الكلام وإلا ستصدقينه.

(مهرناز): ومن قال لكِ أني لست مؤمنة به؟

(ليناز): هل تعرفين ماذا كنت أفعل قبل أن يأتي بك السيد (كلكامش) هنا؟

(مهرناز): ماذا؟

(ليناز): كنت أفكر بطريقة لقتل نفسي.

(مهرناز) باستغراب: قتل نفسك؟

(ليناز): نعم لأني لم أتحدث مع أحد لأكثر من عام سوى مع السيد (كلكامش) وكانت حواراتنا قصيرة وتنتهي بتعذيبي.. كنت على وشك الجنون وبدأت أتكلم مع نفسي كثيراً وقررت أن أنهي حياتي هروباً من هذه الحياة لكن بمجرد أن سمعت صوتك وتحدثت معك لا أعرف ما حدث لي.. تجدد أملي في الحياة وأصبحت راغبة فيها وعقدت العزم على أن استمر واخرج من هذا المكان وأن أعود لأمي وأخوتي.

(مهرناز) وهي تبتسم: أنتِ تقولين ذلك لتجعليني أحس بالراحة.. شكراً.

(اليناز): أقسم لك أنكِ من أعاد لي الثقة والرغبة في الحياة ولا تسأليني كيف..

(مهرناز) تتوسد الحائط وتبتسم..

(اليناز) تتوسد الحائط وتقول: عديني يا (مهرناز)..

(مهرناز): أعدك بماذا؟

(اليناز): أننا سنخرج سوياً من هذا المكان وعندما نخرج ستعانقينني.

(مهرناز) وهي تبتسم: أعدك بواحدة منها..

صوت باب زنزانة (اليناز) وهو يفتح..

(مهرناز) تضع أذنها على الجدار بينها وبين زنزانة (اليناز) بقلق..

(كلكامش): اليوم أتممتِ عامك الثاني هنا يا (اليناز) ولم أرَ منك سوى البكاء والنحيب.

(اليناز) بقلق: أطلق سراحي إذاً يا سيد (كلكامش) واتركني أعود لأهلي.

(كلكامش): أنتِ ستتركين هذا المكان اليوم.. إما للانضمام لزملائك في السطح أو لزملائك في السماء.

(اليناز) وهي تبكي: أرجوك.. أرجوك ارحمني!

لم يرد (كلكامش) على (اليناز) لكن (مهرناز) بدأت تسمع صوت

صراخها وبكاءها بسبب ما كان يبدو أنه تعذيب (كلكامش) لها.

بدأت (مهرناز) تصرخ وتضرب جدار الزنزانة الحجري بقبضتها بقوة وهي تقول: اتركها أيها الوضيع!!

لم يرد (كلكامش) واستمر بما كان يقوم به واستمر معه صراخ وبكاء (اليناز) حتى توقف بكاؤها وعم الهدوء المكان..

(مهرناز) بصوت مرتفع: (اليناز)!.. هل أنتِ بخير؟!.. أجيبيني!!

لم يرد أحد على (مهرناز) لكنها سمعت صوت (كلكامش) وهو يقول:

موتك خسارة فقد كانت قدرتك مميزة..

عندما سمعت (مهرناز) هذه الكلمات بدأت تزمجر غضباً وتحولت عيناها للبياض أتبعتها بصرخة قوية حطمت قيودها وهدمت الجدار الفاصل بين زنزانتها وزنزانة (اليناز) لترى (كلكامش) وهو يحمل جثتها ويهم بالخروج فقالت له بغضب وعيناها تتوهجان بشعاع أبيض: اتركها أيها السافل!!

ابتسم (كلكامش) عندما رأى (مهرناز) بهذه الحالة وقال:

لقد ولدت من جديد.. لقد وجدتِ قدرتك أخيراً!

(مهرناز) وهي تتنفس بثقل وتحدق بـ(كلكامش) بغضب: ضعها على الأرض!

وضع (كلكامش) جثة (اليناز) أرضاً وهو يبتسم ويقول:

كنت أعرف أنكِ ستكونين مفتاح العزة للطائفة الجنتية..

تقدمت (مهرناز) وجسدها متوهج بالكامل وانحنت أمام جثة (اليناز) وعانقتها..

(كلكامش) وهو يبتسم: طاقتك المتوهجة لم أرَ مثلها من قبل ستكونين شيئاً عظيماً يا فتاة!

(مهرناز) وهي تدمع وترفع كفها المتوهج في وجه (كلكامش): دافع عن نفسك!

(كلكامش) بتوتر واستغراب: ماذا تفعلين؟!.. لقد انتهى الأمر وسموتِ بنفسك.. لم يعد للقتال غرض الآن!

أطلقت (مهرناز) وميضاً أحرق (كلكامش) وحوله لغبار تطاير في الهواء لكن ذلك الوميض القوي أصاب جدار الكهف إصابة أدت لسقوط سقفه عليها ودفنها تحت أنقاضه وهي تعانق جثة (اليناز).

***

القلب المكسور

(سقر) يستأذن بالدخول على (جهنم) في كهفها بجبل «آريان»..

(جهنم): ماذا تريد يا (سقر)؟

(سقر) وهو ينحني أمام (جهنم): لقد عاد أتباعي بأخبار من «عربستان».

(جهنم) وهي تنهض من عرشها وتدير ظهرها لـ(سقر) وتشعل ناراً في تجويف بجدار الكهف: هات ما عندك.

(سقر): لقد تأكد خبر حشد الشياطين العاشقة لجيوشها بقيادة (تلمذ) للهجوم علينا.

(جهنم) وظهرها مدار لـ(سقر): ماذا نعرف عن (تلمذ) هذه؟

(سقر): ابنة شيخ قبيلة (القنهان) السابق.

(جهنم):إذاً فهي شيطانة علوية؟

(سقر): نعم

(كامظ) وهو يدخل الكهف: لكنها نُبذت من قبيلتها وسحبت منها جميع الألقاب.

(جهنم) وهي تلتفت على (كامظ): لماذا؟

(كامظ): لا أعرف.

(جهنم) باستغراب: لماذا إذاً تبحث عن الثأر؟

(كامظ): معشوقها هو الشيطان الذي سقط على يدنا في معركة الساحرة العربية ويقال أنها كانت زوجته.

(جهنم) وهي تبتسم وتجلس على عرشها: يبدو أن المسألة معقدة..

(كامظ): بماذا تأمرين يا سيدتي؟

(جهنم): أين (حاجب)؟

(سقر): هل أرسل في طلبه؟

(جهنم): نعم فلدي سؤال يخص الشياطين السفلية وهو الوحيد الذي يستطيع الإجابة عليه.

(سقر) وهو يخرج: سأرسل في طلبه.

(كامظ): بماذا تفكرين يا سيدتي؟

(جهنم): الشياطين العاشقة شياطين سفلية والشياطين السفلية لا تحتشد لأي غرض خصوصاً القتال إلا إذا كان هناك من يقودها ويحفزها على ذلك.

(كامظ): نعم صحيح فلولا قيادة (حاجب) لشياطيننا السفلية لتفرقت مثل الذباب.

(جهنم): أريد التأكد من هذه المعلومة.

دخل (حاجب) مع (سقر) وانحنى أمام (جهنم) وقال: بماذا تأمرين سيدة (جهنم)؟

(جهنم): الشياطين العاشقة في كهف «خو روري» احتشدت استعدادا لغزونا وهذا الحشد تقوده شيطانة علوية تدعى (تلمذ).

(حاجب): نعم أخبرني (سقر) بذلك قبل قليل.. لا تقلقي يا سيدتي فالشياطين العاشقة شياطين هزيلة وليست معدة للحرب ونستطيع التغلب عليها بسهولة.

(جهنم): لكن أعداها كبيرة جداً وحتى لو تغلبنا عليها ستتكبد خسائر في صفوفنا ونحن في غنى عن ذلك.

(حاجب) وهو منحنٍ: بماذا تأمرين يا سيدتي؟

(جهنم): لو تخلصنا من قائدتهم قبل وصولها بذلك الحشد لـ«فارس» هل ستكمل شياطين كهف العشاق مسيرتها نحو «فارس».

(حاجب) وهو يبتسم: من المستبعد ذلك يا سيدتي

(جهنم): إذاً حسم الأمر.. (تلمذ) يجب أن لا تطأ أرض «فارس» ويجب أن تموت في «عربستان».

(سقر): أوكلي لي هذه المهمة يا سيدتي ولن أخذلك.

(كامظ): لا!.. أنا من سيقوم بهذه المهمة.

(حاجب): أنا أكثركم دراية بالشياطين السفلية وانا أحق بهذه المهمة.

(سقر): (تلمذ) شيطانة علوية وليست سفلية وأنا الوحيد الذي يستطيع التعامل معها لذا فالمهمة يجب أن توكل لي!

(جهنم) وهي تبتسم: ولاؤكم جميل لكني أحتاجكم جميعاً هنا معي في «فارس»

(كامظ): من سيقوم بهذه المهمة إذاً؟

(جهنم): أين (طرمد)؟

(كامظ) وقد بدا على وجهه الاستياء: هل ستوكلين هذه المهمة لـ(طرمد)؟

(جهنم): (طرمد) هو قائد المردة في جيشي وأهميته لا تقل عنكم ولن أرسله لـ«عربستان» ليخاطر بنفسه مهما كان متمكنا.

(سقر): ماذا تريدين منها إذاً يا سيدتي؟

(جهنم) وهي تقف بغضب وتصرخ في شياطينها:

هل ستجادلونني؟!!.. أين (طرمد)؟!!

انحنت الشياطين الثلاثة أمام (جهنم) وهي مرعوبة وبعد صمت قصير قال (كامظ):

ما زال يبحث في أمر ذلك المارد الذي كان في المعركة مع العربية.

(جهنم) وهي تجلس على عرشها: هل ذهب إلى «عربستان»؟

(حاجب): لا يا سيدتي لكنه استقر جنوب «فارس» ليشرف على الشياطين التي أرسلها لتقصّي الأمر ويجند المزيد من المردة.

(جهنم): أرسلوا في طلبه حالاً.

(الشياطين الثلاثة) وهي تهم بالخروج من الكهف: أمرك!

بعد فترة من الزمن دخل (طرمد) على (جهنم) وانحنى أمامها ثم قال: بماذا تأمرين سيدة جهنم؟

(جهنم) بعبوس: أين كنت؟!

(طرمد): كنت أبحث في أمر ذلك المارد الذي كان في أرض المعركة يقاتل بجانب العربية.

(جهنم): وإلى ماذا توصلت؟

(طرمد): هذا المارد ليس مارداً عادياً؟

(جهنم): ماذا تقصد؟

(طرمد): أمضيت الفترة الماضية في جمع معلومات عنه واكتشفت أنه ليس مجرد مارد علوي بل ملك من ملوك الحرب وبطش بالكثير من ممالك الجن والشياطين وقضى على الكثير من القبائل.. هذا المارد يا سيدتي يعشق الحرب ولو هاجمنا بجيش تحت أمرته فلن نصمد أمامه طويلاً.

(جهنم) والقلق على وجهها: منذ أن رأيته في أرض المعركة وأنا متيقنة بانه ليس بشيطان عادي لكن كيف تمكنت ساحرة بسيطة مثل تلك العربية أن تسخره للقتال معها.

(طرمد): هذا كان من الأمور التي بحثت فيها مطولاً ولم أجد لها جواباً لكني حصلت على معلومة غريبة.

(جهنم): ماهي؟

(طرمد): متوسط أعمار الشياطين لا تتجاوز السبعمئة عام والبعض منها قد يعمر لألف وخمسمائة عام.

(جهنم): نعم أعرف وما الغريب في الأمر؟

(طرمد): هذا المارد تاريخ حروبه وغزواته يعود تاريخها لأكثر من خمسة الاف عام.

(جهنم) بتعجب: مستحيل.. الشياطين لا تعمر لهذا الحد.

(طرمد): أقسم لك يا سيدة جهنم أني تأكدت من هذه المعلومة لأني لم أصدقها عندما نقلت لي لكن تواتر الأخبار من عدة مصادر أكد لي هذه المعلومة.

(جهنم) وهي تقف بقلق: يجب أن لا يأتي هذا المارد الينا مرة أخرى.

(طرمد): لقد استطعنا قبل أسابيع تحديد مكان مملكته وأرسلنا شياطين للاستطلاع

(جهنم): وما الخبر الذي أتوا به من هناك؟

تغير وجه (طرمد) ولم يرد..

(جهنم) بغضب: أجب! لماذا سكت؟!!

(طرمد) وهو منحنٍ ورأسه للأرض: طبول الحرب تدق في مملكة (الشيطان الأسير) ويبدو أنه يستعد لغزوة كبيرة.

(جهنم) والتوتر والقلق ظاهر عليها: أنت قلت أنه ملك حرب.. ربما يعد لغزو مملكة أو قبيلة ما في «عربستان» لماذا تظن أنه قادم إلينا؟

(طرمد): لا أظن أن هذه الطبول قرعت لغيرنا.

أخذت (جهنم) بعض الخطوات مبتعدة عن عرشها وتوجهت لأحد جدران الكهف وأشعلت في تجويفه ناراً وظلت تحدق بها لثوانٍ ثم قالت:

جيش الشياطين العاشقة كذلك يستعد للتحرك نحونا..

(طرمد): لا تقلقي يا سيدتي سنقاتلهم جميعاً

(جهنم) وهي تحدق بألسِنَة اللهب وهي تتراقص أمامها:

القوة ليست كل شيء أيها الشيطان..

(طرمد):...

(جهنم): لننسَ أمر المارد الآن ولنركز على تلك الشيطانة المدعوة (تلمذ).

(طرمد): ما بها؟

(جهنم): اذهب واستدع (سقر) فأنا أحتاج أحد شياطينه العلوية في مهمة خاصة.

في هذه الأثناء وفي كهف «خور روري» تحديداً كانت (تلمذ) تعد العدة للزحف نحو «فارس»..

(الشيطان اللزج) وهو يدخل على (تلمذ) ويقطع خلوتها: سيدة (تلمذ)..

(تلمذ) وهي متربعة في وسط أحد الكهوف العميقة المظلمة بعينّين مُغّمَضَتين:

ماذا تريد يا (ناب)؟

(ناب): الشياطين تتساءل عن موعد تحركنا نحو «فارس»؟

(تلمذ) وهي تفتح عينيها اللتين كانتا حمراوين كالدم: لَمَ التساؤل الآن؟.. سنتحرك قريباً عندما آمر بذلك.

(ناب): بعضهم بدأ يفقد حماسه لذا أرى أننا يجب أن نتحرك بسرعة.

(تلمذ) وهي تكشر عن أنيابها: هل بدأت طباعكم السفلية تتمكن منكم؟!

(ناب) وهو يرتعد: لا لا يا سيدة (تلمذ) لكننا لم نخض حرباً من قبل ولا نعرف ما المطلوب منا.

(تلمذ) وهي تغمض عينيها: اخرج قبل أن أصب جام سخطي عليك يا أحمق..

(ناب) وهو يتراجع للخلف بتوتر: لكِ ذلك.

عادت (تلمذ) لخلوتها وبدأت تسترجع ذكرياتها مع (ملاز) وتحديدا الأيام الأولى بعد طلبها من أبيها إرغامه على الزواج منها..

(قيطر) وهو يدخل على ابنه (ملاز): هل أنت مستعد لزفافك اليوم؟

(ملاز) يحدق بوجه أبيه بتجهم..

(قيطر) وهو يبتسم: ستحكم عائلتنا قبيلة (القنهان) بعدما يموت الشيخ الكبير.

(ملاز) بتجهم: وهل هذا ما يهمك؟

(قيطر): وماذا غير ذلك قد يشغل بالي ويحظى باهتمامي؟.. راحتك مثلاً؟!.. لا تفكر بغباء وانظر لهذا الزواج كفرصة لتصبح شيئاً لم تكن لتصل إليه مهما فعلت!

(ملاز) بسخرية: ومن قال لك أني أريد هذا الشرف؟

(قيطر): أعرف بأنك لا تريده لأنك أحمق لكني لن أسمح لحماقتك بأن ترمي بأسرتنا في وحل الذل.

(ملاز): ماذا تريد مني الآن؟.. لقد وافقت على الزواج وانتهى الأمر.

(قيطر): لا أريد منك شيئاً سوى إتمام الزواج بـ(تلمذ).

(ملاز): لا تقلق، لن أعرض إخوتي للمهانة.

خرج (قيطر) ودخل بعده الأخ الأكبر لـ(ملاز) وقال وهو يبتسم:

أنت محظوظ جداً يا (ملاز).

(ملاز): أعرف.. أعرف لأني سأتزوج من ابنة شيخ القبيلة.

جلس أخو (ملاز) بجانبه والابتسامة مازالت على وجهه وقال:

بل ستتزوج أجمل شيطانة في قبيلتنا.. يبدو أن (تلمذ) لم تظهر كامل زينتها في السابق.

(ملاز): ماذا تقصد؟

نهض أخو (ملاز) وقال: اخرج وانظر بنفسك.

خرج (ملاز) وذهب للمكان الذي كانت مراسم الزواج ستعقد فيها وعندما وصل وجد حشوداً من أعضاء القبيلة بانتظاره لتبارك له وكان من عادات الشياطين بعد الزواج الانعزال لشهر كامل في مكان بعيد ثم العودة مرة أخرى لأهلهم وإكمال حياتهم معهم، فالشياطين كائنات تعيش في عشائر ولا تتفرق إلا نادراً خاصة القبائل المعروفة منها. بعد انتهاء مراسم الزواج خرجت (تلمذ) وسط انبهار الحضور بجمالها الاخاذ وكان الانبهار قد عم الجميع بمن فيهم (ملاز). وقفت (تلمذ) بجانب (ملاز) وأمام أبيها الذي قال:

عزلتكم ستكون في كهف (الرماد) غرب الجزيرة وبعد شهر من الآن تعودون للقبيلة ويحرم عليكم العودة قبل ذلك.

رحل (ملاز) مع (تلمذ) نحو كهف (الرماد) وعند وصولهم ليلاً دخل الاثنان وبمجرد جلوس (تلمذ) قال (ملاز): أنا سأبقى خارج الكهف..

(تلمذ) بتعجب: لماذا؟

(ملاز) وهو يخرج من الكهف: أنا مجبر على العزلة معك وليس بجانبك.

تغير وجه (تلمذ) من السعادة للحزن الذي خالطه بعض الدموع وباتت وحدها تلك الليلة في الكهف..

مرت الأيام واستمر (ملاز) في المبيت خارج الكهف ليلاً والجلوس سارحاً داخله نهاراً وبالرغم من محاولات (تلمذ) المتكررة للتودد له واستمالة قلبه إلا إنها كانت تفشل لأن (ملاز) كان يصدها دائماً.
استيقظت (تلمذ) يوماً ولم تجد (ملاز) بجانبها في النهار مما أثار استغرابها في البداية وتدريجياً قلقها. عاد (ملاز) ليلاً وكان مبتهجاً على غير عادته فتناست (تلمذ) استياءها من غيابه وحاولت استغلال ابتهاجه المفاجئ بالتقرب منه مرة أخرى لكنه عبس وتجهم وصدها وخرج للمبيت خارج الكهف كما اعتاد.
بكت (تلمذ) تلك الليلة بكاء أشد من السابق لكنها لم تجد أحداً يواسيها أو يمسح دموعها. بعد انقضاء نصف مدة العزلة قررت (تلمذ) عدم النوم في أحدى الليالي ومراقبة (ملاز) حتى يرحل في الصباح. كان هدفها من تلك المراقبة هو اللحاق به ومعرفة أين يذهب خاصة وأنه مؤخراً بدأ يعود مبتهجاً ولا تزول تلك البهجة إلا عندما يراها. في الصباح استيقظ (ملاز) ورحل كعادته لكن هذه المرة تعقبته (تلمذ) واستمرت في تعقبه حتى توقف في أحد المروج وجلس على الأرض يحدق بالسماء بعد تشكله بهيئة بشرية. استغربت (تلمذ) من (ملاز) وكيف كان مبتسماً وحده وهي تقول في نفسها:

لماذا يبتسم هكذا؟.. ما الذي يسعده؟ ولماذا يتشكل بهيئة بشرية؟

بعد فترة وجيزة ظهرت في الأفق فتاة تمشي باتجاه (ملاز) فارتبكت (تلمذ) وخشيت أن ترى تلك الفتاة زوجها وبالرغم من رغبتها

الملحة لتحذيره إلا أنها لم تستطع لأن قوانين الشياطين كانت تحرم خروجها من مكان عزلتها دون إذن زوجها ولم تكن تريد الحاق العار بابيها لذا بقيت تراقب الفتاة بقلق وهي تقترب من (ملاز) وهي تقول في نفسها:

من الجيد أنه متشكل بهيئة بشرية كي لا تجزع تلك الحمقاء.

وصلت الفتاة لـ(ملاز) وعندما استقرت خلفه غطت عينيه بيديها و(تلمذ) تشاهد المنظر بتعجب وتقول في نفسها:

ماذا تفعل هذه الإنسية؟

تحول تعجب (تلمذ) لصدمة خالطتها دموع منهمرة عندما رأت (ملاز) يقف ويحتضِن تلك الفتاة ويقبلها. بدأ قلبها بالخفقان ودمها بالغليان لكنها كظمت غيظها وعادت للكهف. بعد عودة (ملاز) ليلاً جلس خارج الكهف كعادته فخرجت (تلمذ) وجلست بجانبه وصمتت لفترة ثم قالت بهدوء: منذ متى وأنت تعرفها؟

(ملاز) وقد أدرك أن (تلمذ) عرفت بأمر (نورة): منذ عدة أشهر..

(تلمذ): لكنها أنسية

(ملاز): وأنا شيطان.

(تلمذ):...

(ملاز):...

(تلمذ) والدمع بدأ ينزل من عينيها: سأعود للقبيلة الليلة.

(ملاز) ببرود: كما تشائين.

(تلمذ) وهي تمسح دموعها: لقد أحببتك يا (ملاز)..

(ملاز): لم أطلب هذا الحب.

(تلمذ) وهي تمسح دموعها وتبتسم: معك حق.. قلوبنا لا تختار إلا من يُشقيها..

(ملاز): قلبي اختار (نورة) ولم أرَ الشقاء معها.

(تلمذ) وهي تدمع: أتمنى أن تجد معها السعادة التي لم تجدها معي.

نهضت (تلمذ) بنية العودة للقبيلة لكن (ملاز) استدركها وقال:

عندما تخبرين القبيلة بما حدث سوف أطرد منها بلا شك لكن أرجو ألا يتعرض أبوك لأهلي فهم غير مسؤولين عن ما قمت به.

(تلمذ) وهي تدمع وتبتسم: لا تقلق يا (ملاز).. من يحب لا يؤذي حبيبه وإن كان الأذى لم يصبه إلا منه.

(ملاز): ولا تكرهي نفسك بسببي..

(تلمذ) تضحك وتدمع: لا تعط نفسك قدراً أكبر من القدر الذي أكنه لك.. قد أكون أحببتك لكني ما زلت أحب وأعشق نفسي.

(ملاز) وهو يبتسم: ما زلت متغطرسه ومغرورة بالرغم من ألمك.

(تلمذ) وهي تمسح دموعها:

حب الذات ليس عيباً العيب هو كره نفسك لأنها لم تعجب غيرك..

اختفت (تلمذ) وعادت للقبيلة وتركت (ملاز) أمام الكهف يحدق بالنجوم..

بقي (ملاز) في الكهف واستمر في مقابلة (نورة) في تلك الفترة وبعد انقضاء فترة العزلة عاد ليلاً للكهف ليجد أخوه الأكبر في انتظاره. وعندما رَأه عانقه مبتسماً وهو يقول: كيف حالك يا (ملاز)؟

(ملاز) وهو يجلس أمام الكهف: هل أتيت يا (بكتو) لتسخر مني؟

(بكتو) باستغراب وهو يجلس بجانب (ملاز): أسخر منك؟.. ولماذا أسخر منك؟.. لست أول شيطان يفترق عن زوجته.. ما الذي حدث بينكما؟

(ملاز): لا شيء.. لم نكن منسجمين منذ البداية وما حدث أمر طبيعي.

(بكتو) وهو يحدق بالأفق: المسكينة نالت عقاباً قاسياً من أبيها.

(ملاز) باستغراب: ماذا؟.. لماذا؟

(بكتو): ماذا تقصد بلماذا؟.. لقد تخلت عن زوجها في منتصف العزلة وألحقت العار بابيها.. ماذا كنت تتوقع أن يحدث لها؟

(ملاز): لكن..

(بكتو): لقد اعترفت لأبيها بكل شيء وقالت أنها هي من يرغب بالانفصال عنك وأنك متمسك بها لكنها لا تريد الاستمرار معك.

(ملاز) وعلى وجهه نظرة تعجب كبيرة: هي من قالت ذلك؟

(بكتو): نعم وأجبر أبيها على الاعتذار لأبينا أمام القبيلة كلها قبل أن يطردها.

(ملاز): طردها؟!

(بكتو): لَم أنت مستغرب؟.. هذا أقل ما يمكنه أن يقوم به.. لقد عاقبها وعذبها لأيام ولولا تدخل أبي وتوسطه لإنقاذ روحها لكانت في عداد الاموات.

(ملاز) والضيق بدأ يظهر على وجهه: وماذا عني؟

(بكتو): أنت رفعت رأس أبيك عالياً لدرجة أنك لم تقطع عزلتك والتزمت بعهدك وهو الآن بانتظارك ليباهي بك أمام القبيلة.

صمت (ملاز) وأنزل رأسه للأرض ثم قال: أخبره بأني لن أعود.

(بكتو) بتعجب: ماذا؟ لن تعود؟!.. لماذا؟!

(ملاز): لأني لا أستحق العودة.

(بكتو): أنت لم تذنب بشيء.. (تلمذ) هي من دنست شرف أبيها وقد عوقبت على ذلك.

(ملاز): أين هي الآن؟

(بكتو): لا أعرف.. كل ما أعرفه أنها طردت من القبيلة.

(ملاز) وهو ينهض: عد للقبيلة وأخبرهم بأني سأنشق عنهم.

(بكتو) بعجب شديد: لماذا؟!

(ملاز): لأكون بقرب من أعشق.

(بكتو): لاتهن نفسك فـ(تلمذ) لا تريدك وملاحقتك لها ستلحق العار بابيك.

(ملاز) وهو يقف: أنا لا أقصد (تلمذ).

(بكتو) وهو ينهض: عن من تتحدث إذاً؟

(ملاز): لقد عشقت فتاة من الإنس وسوف أقضي ما تبقى من حياتها معها.

(بكتو) وهو يلطم (ملاز) بغضب شديد ويصرخ فيه:

أنت مصر على الحاق العار بأبينا؟!

(ملاز): بل هو من يصر على ذلك بالبحث عن أتفه الأسباب.

(بكتو) وهو يصرخ بغضب: هل عشق البشر سبب تافه؟!

(ملاز): بالنسبة لي نعم.

(بكتو) بعصبية وصوت مرتفع: لن أتستر عليك وأحميك لقد سئمت من ذلك!.. سوف أخبر أبانا بما فعلت وسوف تنبذ من القبيلة وتطرد منها إلى الأبد!!

(ملاز) وهو يختفي: هذا ما كنت أريده منذ زمن طويل.

رحل (ملاز) واستمر في مقابلة (نورة) حتى تقدم لخطبتها من أبيها وتعاقبت الأحداث بعدها وانتهت بموتها على يده خنقاً. بعدما قتل (ملاز) أبا (نورة) حمل جثمانها واستقر في كهف «خور روري) والذي كان خاوياً في تلك الفترة ومع مرور السنوات انتشرت بين الشياطين قصة (عاشق نورة) وبدأت الشياطين السفلية العاشقة تهاجر لكهف «خور روري» لتلقي نظرة على ذلك الشيطان الذي تحدى الجميع

لأجل معشوقته وبالرغم من أن (ملاز) كان منعزلاً في كهف عميق يقضي فيه معظم وقته في البكاء والنحيب إلا أن معظم الشياطين التي كانت تزور الكهف تبقى ولا ترحل حتى جاء يوم ودخلت (تلمذ) الكهف وسمعت صوت صدى بكاء (ملاز) وقبل أن تتعمق أكثر داخل الكهف اعترض طريقها أحد الشياطين السفلية وقال: هل أتيتِ لزيارة كهف الشياطين العاشقة؟

(تلمذ) وهي تنظر لذلك الشيطان اللزج باشمئزاز:

هل أسميتموه كهف الشياطين العاشقة؟

(الشيطان اللزج) مبتسماً: نعم.. فهذه مملكتنا الآن.

(تلمذ): لا يوجد مملكة بلا ملك.

(الشيطان اللزج): ملكنا هو العاشق الكبير.. ألا تسمعين صدى بكائه يصدع في كل جوانب الكهف.

(تلمذ): أين (ملاز)؟

(الشيطان العاشق) مبتسماً: تقصدين (عاشق نورة)؟

(تلمذ) وهي تصرخ في وجه (الشيطان اللزج): لا تذكر اسمها أمامي!!

(الشيطان اللزج) وهو يرتعد من الخوف: أمرك يا سيدتي!

(تلمذ) بهدوء وهي تحدق بعمق الكهف المظلم: هل هو بخير؟

(الشيطان اللزج) بحذر: تقصدين العاشق الكبير؟

(تلمذ) وهي لاتزال تحدق أمامها: نعم.

(الشيطان اللزج): نعم على ما أعتقد.. لا أحد منا يجرؤ على الاقتراب منه لأنه يقتل أي شيطان يدخل عليه ويقطع خلوته مع تلك الجثة.

(تلمذ): منذ اليوم لن يدخل عليه أحد سواي وأنا من ستقودكم يا حفنة العشاق القذرين.

(الشيطان اللزج) بتوتر وحذر: لكن من أنتِ؟

(تلمذ): ضحية من ضحايا عاشقكم الكبير..

انقطعت خلوة (تلمذ) بأفكارها مرة أخرى بدخول (ناب) عليها وهو يقول:

عذراً يا سيدة (تلمذ) على مقاطعتك..

(تلمذ) وعيناها مازالتا مغمضتين: ماذا تريد يا (ناب)؟

(ناب) بتوتر: هناك من يريد مقابلتك؟.. شيطان يقف خارج الكهف.

(تلمذ) وهي تفتح عينيها باستغراب: مقابلتي؟.. منذ متى كنت أحظى بالضيوف ومنذ متى كان أحد يستأذن قبل الدخول لكهف «خور روري».

(ناب) بقلق: لا أعرف.. لكنه يبدو من خارج «عربستان».

(تلمذ): كيف عرفت؟

(ناب): لغته العربية ركيكة.

(تلمذ) وهي تحدث نفسها باستغراب: من هذا؟.. وماذا يريد؟

(ناب): هل اسمح له بالدخول يا سيدة (تلمذ)؟

(تلمذ): لا لا.. خذه إلى الصخرة الكبيرة عند البحر هل تعرفها؟

(ناب): نعم يا سيدة (تلمذ).

(تلمذ): حسناً خذه إلى هناك واخبره أني قادمة للحديث معه.

(ناب): لكن يا سيدة (تلمذ)..

(تلمذ): ما بك؟

(ناب): أليس من الآمن لكِ أن تقابليه هنا؟

(تلمذ) وهي تبتسم: هل تظن أني أخاف من الموت؟

(ناب): لا يا سيدتي ولكن..

(تلمذ): عندما تسيطر على مخاوفك ستسيطر على حياتك..

(ناب): أخاف عليك من الغدر.

(تلمذ): كهف الشياطين العاشقة لا يدخله إلا الشياطين العاشقة وهذا قانون وضعناه قديماً ولن نكسره الآن.. ثم هل نسيت بأني شيطانة علوية؟

(ناب): لا يا سيدتي.

(تلمذ):إذاً اذهب وخذ ضيفك للصخرة الكبيرة وعد أنت واتركه وحده هناك.

(ناب): كما تأمرين يا سيدة (تلمذ).

بعد أقل من ساعة توجهت (تلمذ) للمكان الذي طلبت من (ناب) أن يأخذ هذا الزائر المجهول إليه وهو صخرة كبيرة عند شاطي البحر حيث كانت الأمواج تتلاطم وتضرب بقوة في تلك الصخرة.

(تلمذ) وهي تقف عند حافة الصخرة: أين ذلك الزائر الذي تحدث عنه (ناب)؟

(صوت من خلف تلمذ) بعربية ركيكة: أنا هنا يا سيدة (تلمذ).

التفتت (تلمذ) لترى خلفها شيطان أخضر وقصير يبتسم لها..

(تلمذ) وهي تبتسم بسخرية: من أنت؟

(الشيطان الأخضر): أنا رسول من «فارس» وقد أتيت لك بخبر عن (ملاز).

تغير وجه (تلمذ) من الابتسام للتوتر والحماس الشديد وقالت:

أي خبر؟!.. هل (ملاز) مازال على قيد الحياة؟!

(الشيطان الأخضر): نعم وقد أرسلني لأبلغك بأنه لم يمت لكنه توارى عن الأنظار بعد معركته الخاسرة في «فارس».

(تلمذ) وهي تقترب من (الشيطان الاخضر) والدموع بدأت تنهمر من عينيها:

لا تهمني التفاصيل المهم أن (ملاز) ما زال على قيد الحياة!

(الشيطان الأخضر) وهو يبتسم: حي يرزق ويريد مقابلتك.

(تلمذ) وهي تضع يدها على فمها وتبكي: أين يريد مقابلتي؟

أشار (الشيطان الأخضر) بسبابته للأعلى..

(تلمذ) وهي تمسح دموعها باستغراب: ماذا تقصد؟.. أين هو خذني إليه فوراً؟!

بعد نطق (تلمذ) لهذه العبارة أحست بألم حاد في ظهرها انتقل تدريجياً لصدرها الذي خرج منه نصل سيف كبير تغطى بدمائها..

نزلت (تلمذ) على ركبتيها ونظرها إلى رأس السيف الذي تغطى بالدماء بعد اختراق قلبها وقالت بأنفاس ثقيلة: أين (ملاز)..؟

ضحك (الشيطان الأخضر) وهو يتقدم نحو (تلمذ) بجسده الصغير وهي تنزف بغزارة من صدرها وقام بتقبيلها والحديث بالفارسية مع من طعنها من الخلف وهو يضحك ويقول:

لم أكن أعرف أن شيطانات «عربستان» بهذا الجمال ما رأيك أن ننتقل للعيش هنا؟

ضحك الاثنان بقوة وخلال ضحكهما فارقت (تلمذ) الحياة وهي جاثية على ركبتيها فرحلوا عنها وتركوها فوق الصخرة الكبيرة وأمواج البحر تضرب بقوة خلفها.

***

الضرد والعنقاء

مجموعة من اللصوص مجتمعون يتسامرون عند نار كبيرة في الصحراء ليلاً بالقرب من أحد الجبال الواقعة خارج حدود «هجر».. يقترب منهم في الأفق شخص مشياً على القدمين..

نهض أحد اللصوص وإسّتَلّ سيفه من غمده وهو يقول: هناك من يقترب منا!

رد عليه آخر بعدما وقف وإسّتَلّ سيفه هو أيضاً: هل كشف أحد مكان اختبائنا؟!

اتكأ زعيمهم على سيفه وهو يحدق بالشخص الذي يقترب منهم من بعيد وقال:

أعيدوا سيوفكم إلى أغمادها.

نفذ اللصان اللذان وقفا أمر زعيمهما لكن أنظارهما كانت لاتزال تراقب ذلك الشخص الذي كان يقترب من أفراد العصابة الذين لم يرفعوا أيديهم عن أغماد سيوفهم ولا أنظارهم عن ذلك الشخص حتى وصل واتضحت معالمه. لم يكن ذلك الشخص سوى (نافجة)

أتت سيراً على قدميها من «هجر». ابتسم زعيم العصابة عندما رآها وعند وصولها لمكان تجمعهم والإرهاق واضح عليها قال مبتسماً:

قررتِ العودة إذاً؟

جلست (نافجة) مع اللصوص بصمت وهي تتنفس بعمق فمد لها أحد اللصوص قربة ماء فشربت منها وقالت: ما المطلوب مني الآن؟

رد عليها أحد اللصوص ضاحكاً: ما الذي يمكن أن تقدمه طفلة لعصابتنا؟

لم ترد (نافجة) عليه ووجهت نظرها لزعيم العصابة وحدقت به في انتظار كلامه. نظر زعيم العصابة لـ(نافجة) وهو يبتسم وقال: ما اسمك يا صبية؟

(نافجة): (نافجة ابنة أملج)

(الزعيم): نحن هنا لا نستخدم الاسماء بل الألقاب.

(نافجة): إذاً فليكن (الجدعاء)..

رد أحد اللصوص بسخرية وقال: لما لا نلقبك بـ(السحلية) بما انكِ أتيتِ زحفاً الينا.

ضحك اللصوص من كلام زميلهم فيما عدا زعيمهم الذي كان يتبسم وينظر لـ(نافجة) التي قالت: كنت سأقبل بهذا اللقب لو لا استحواذ أمك عليه قبلي..

ضحك جميع اللصوص بمن فيهم زعيمهم عدا ذلك اللص الذي

اقترح اللقب والذي تجهم ونهض في بادرة منه للرد على (نافجة) لكن زعيم العصابة رفع يده في وجهه وهو يضحك وقال: اجلس يا ابن السحلية ولا تثر المشاكل!

ارتفعت أصوات الضحك وزاد غضب اللص من ضحك زملائه عليه فقال بغضب: هل أصبحنا نضم الأطفال لعصابتنا الآن؟!!

صمت جميع أفراد العصابة ووجهوا أنظارهم لزعيمهم الذي ابتسم وقال للص الغاضب: هل تظن أنك أفضل منها؟

(اللص) بغضب: يكفي بأني رجل راشد وهي طفلة لاتزال تلعب بالدمى

التفت زعيم العصابة إلى (نافجة) وقال لها: هل تجيدين استخدام السيف!

(نافجة) وهي تحدق باللص الذي أهانها: حتى لو كنت أجيد استخدامه فلست بحاجته.

(الزعيم): لو تغلبتِ عليه ستأخذين مكانه في العصابة.

نظر أفراد العصابة لزعيمهم بتعجب وهمس في أذنه نائبه وقال:

أعرف مدى ثقتك برأيك في هذه الصبية لكنها لن تتغلب على (سحيم) خاصة وهي بلا سلاح.

(الزعيم) وهو يتجاهل كلام نائبه وموجها كلامه لـ(سحيم) الذي أهان (نافجة):

هل تظن أن باستطاعتك هزيمتها يا (سحيم)؟

(سحيم) بغضب: أنا لا أقاتل الأطفال!

(نافجة) بسخرية: قرار حكيم يا ابن السحلية.

انفجر (سحيم) غضباً وإسّتَلّ سيفه واندفع نحو (نافجة) ليطعنها لكنها وبحركة سريعة تفادت طعنته ليسقط على الأرض ويمتلئ فمه بالرمال وسط ضحكات زملائه الذين وقفوا جميعاً يشاهدون صراعه مع (نافجة). نهض (سحيم) ونار الغضب تثور من عيناه وبصق الرمال التي امتلئ بها فمه وأمسك سيفه الذي سقط منه وتجهز للانقضاض على (نافجة) مرة أخرى والتي كانت تقعد القرفصاء بانتظار تقدمه.

النائب وهو يهمس في إذن الزعيم المبتسم: أوقف هذا القتال يا سيدي فالفتاة متعبة جداً من رحلتها إلى هنا وستموت بلا شك.

(الزعيم) يراقب النزال مبتسماً دون أن يرد على نائبه..

اندفع (سحيم) مرة أخرى إلى (نافجة) وهو يمد سيفه نحو صدرها ليطعنها لكنها تفادته مرة أخرى وقبل سقوطه قفزت على أكتافه وغرست أناملها في عينيه وفقأتهما وسط ذهول أفراد العصابة وابتسامة زعيمهم العريضة.

رمى اللص سيفه وغطّى عينيه النازفتين وهو يصرخ ويسب من الألم ولم يسكت حتى أحس بسيفه مغروساً و(نافجة) تقف فوقه تتنفس بثقل والسيف في يدها. ساد الصمت في المكان بعد موت (سحيم)

حتى خرج الزعيم عن صمته وقال:

منذ اليوم أنتِ واحدة منا ولقبك سيكون (الجدعاء)..

مضت الأيام وأصبحت (نافجة) جزءاً من عصابة اللصوص التي هاجرت جنوباً للبحث عن القوافل لنهبها وقطع الطريق عليها. كونت (نافجة) علاقة جيدة مع معظم أفراد العصابة وكانت تتعلم من كل واحد منهم مهارة ما، فبعضهم كان يجيد استخدام السيف والبعض الأخر الخناجر والسهام فأصبحت مع مرور الوقت تتقن استخدام معظم تلك الأسلحة. بعد سنوات من بقاء (نافجة) مع العصابة قُتل زعيمها في غارة على إحدى القوافل المسلحة وكان تنصيب زعيماً جديداً للعصابة يتم بالترشيح أو القتال على ذلك المنصب فرشح الجميع (عتبة) نائب الزعيم السابق لكنه تخلى عن تلك الرئاسة لـ(نافجة) وقال:

أنا أرشح (الجدعاء) لتكون زعيمتنا ومن يرى أنها لا تستحق فليقاتلها على الزعامة.

في تلك الفترة كانت (نافجة) قد أتمت عامها الثامن والعشرين وكان من غير المألوف أن تتولى امرأة قيادة مجموعة من الرجال وخاصة في تلك السن الصغيرة. لكن لا أحد من أفراد العصابة رفض ترشيح (عتبة) لها واحتفلوا بذلك. في الليلة التي تلت تولي (نافجة) زعامة العصابة وقفت خلال اجتماعهم في قلب الصحراء ليلاً حول نار كبيرة وقالت:

تعلمت الكثير منكم ومن سيدنا السابق لكن يجب أن نغير بعضاً من طرقنا في الغزو والإغارة على القوافل.

(عتبة) باستغراب: ماذا تقصدين يا (جدعاء)؟

(نافجة): من الآن وصاعداً عندما نغير على قافلة أو قبيلة لنهبها يجب أن لانقتل طفلاً أو امرأة أو نحرق خيامهم دون حاجة.

رد أحد اللصوص على (نافجة) بغضب: وأين المتعة في ذلك؟!

(نافجة) بصرامة: نحن لصوص وهدفنا الأول والأخير هو المال وعدا ذلك لا شأن لنا به!

(عتبة): الزعيم السابق لم ينهنا عن ذلك وأسر النساء والأطفال من المتع التي نتوق إليها.

(نافجة) بغضب: الزعيم السابق مات وانا زعيمتكم الآن!.. ثم أنكم لا تأسرون النساء لخدمتكم!. أنتم تستمتعون بهن لفترة ثم تقتلونهن! والأطفال تبيعونهم كعبيد في أسواق النخاسة!

رد أحد اللصوص بتجهم: وما المشكلة؟!

(نافجة): أنا لا أرضى بالظلم.

(عتبة) بسخرية: والسرقة أليست من الظلم؟

(نافجة): التنكيل بالبشر ظلم أسوأ ولن أقبل بذلك.

صمت أفراد العصابة وعلى وجوه معظمهم تجهم واستياء من كلام (نافجة) لكن لم يتجرأ أحد على معارضتها. دنا (عتبة) من (نافجة)

بعد انصراف بقية أفراد العصابة وقال: الرجال مستاؤون من قراراتك وسيتحدثون فيما بينهم وقد يؤدي ذلك للتمرد على قيادتك.

(نافجة) بسخرية وعدم إهتمام:

لا يتحدث خلفك إلا من خشي الوقوف أمامك..

(عتبة): ماذا تقصدين؟

(نافجة): أقصد بأن كلامهم لن يكون ذا قيمة إلا عندما يكون أمامي وموجهاً لي عدا ذلك فهو مجرد ثرثرة.

(عتبة): كما تشائين.. أحببت أن أنبهك فقط.

خلال الأيام التي تلت ذلك وجه (عتبة) مجموعة من أفراد العصبة للإغارة على مجموعة من رعاة الغنم وسلب مواشيهم وطلب منهم عدم التعرض لهم إذا لم يقاوموا وبعد نصف يوم عاد اللصوص بقطيع الغنم فاستقبلتهم (نافجة) وقالت:

هل أذيتم أحدا من الرعاة أو أهلهم؟

رد أحد اللصوص وهو يبتسم ويرمق أحد زملائه بنظرة:

لا تقلقي يا زعيمة لم نمس أحداً منهم.

لمحت (نافجة) أحد اللصوص العائدين مع القطيع وهو يبتسم من كلام زميله فدب الشك في قلبها وقالت: خذوني إليهم!

(اللص) بتوتر: إلى أين؟

(نافجة) وهي تمتطي أحد الخيول: إلى حيث تركتم الرعاة.

(اللص) بتوتر: لابد أنهم رحلوا الآن.

(نافجة) وهي تنظر للأفق: هل أذيتم الرعاة؟

أنزل معظم اللصوص رؤوسهم ولم يردوا على (نافجة)...

(نافجة) بغضب مكظوم محدثة نفسها: هذه ليست الحياة التي أبحث عنها.

شدت (نافجة) لجام الجواد الذي كانت تمتطيه وتركت العصابة بلا عودة..

سارت (نافجة) في الصحراء لأيام ولأنها لم تتزود بالماء والزاد اضطرت لقتل جوادها وأكله كي لا تهلك من الجوع ولكن تناولها للحمه النيء لم يرو عطشها الذي اخذ بالازدياد حتى سقطت من الإرهاق والتعب.

استيقظت (نافجة) ووجدت نفسها مربوطة على ظهر بعير يسير مع قافلة كبيرة وعندما أفاقت تماماً بدأت بالنداء بصوت عالٍ فانتبه أفراد القافلة لها وحلوا وثاقها وقال لها أحدهم:

المعذرة يا سيدتي اضطررنا لربطك على الدابة كي لا تسقطي من عليها.

نزلت نافجة من الدابة وهي تقول بتوتر: أين أنا؟.. من أنتم؟!

تقدم أحد أفراد القافلة نحو (نافجة) وهو على دابته وكانت مظاهر الثراء ظاهرة عليه وقال: لا تقلقي نحن قافلة متوجهة لـ«الحجاز» وسنأخذك معنا.

(نافجة): لماذا؟.. هل أنا أسيرة؟

(الرجل) مبتسماً: لا لكننا وجدناك في الصحراء ولم يكن من المروءة تركك لتموتي

(نافجة) وهي متوجسة:...

(قائد القافلة): اركبي دابتك وعندما نصل للحجاز يمكنك الرحيل.. لقد جردناك من السلاح الذي كان معك وسوف نعيده لك عندما نصل.

ركبت (نافجة) البعير الذي كانت مقيدة عليه وبدأت تسير مع القافلة..

خلال الطريق دار حوار بين (نافجة) وبين رجل عجوز كان يسير بجانبها ببغلته وكان متشحاً بالسواد وحافي القدمين:

(نافجة): هذه ليست الطريق «للحجاز»؟

(الرجل العجوز): صحيح فبعض القوافل بدأت تسلك طرق مختلفة للوصول إليها

(نافجة): لماذا؟

(الرجل العجوز): بسبب قطاع الطرق.

(نافجة):...

(الرجل العجوز): أنا سلكت الطريق بين «اليمامة» و«الحجاز» عشرات المرات خلال حياتي وهذا الطريق ليس من الطرق التي يقطعها اللصوص لأنه ليس ملائماً لهم.

(نافجة): صحيح فهذا الطريق سيرهق دوابهم ومصادر المياه فيه شحيحه وقد لا يستطيعون العودة بالغنائم بسهولة.

(الجل العجوز) مبتسماً: أنتِ أصغر من أن تعرفي مثل هذه المعلومات.

(نافجة) بتوتر: أبي كان تاجراً وقد أخبرني بذلك.

(الرجل العجوز): مثل هذه المعلومات الدقيقة ليست من علم التجار وإلا لما احتاجوا شخصاً مثلي لمرافقتهم خلال سفرهم.

(نافجة) مبتسمة: لا يبدو عليك مظاهر الثراء فلا أظنك تاجراً أيها العجوز فلماذا قطعت الطريق بين «اليمامة» و«الحجاز» عشرات المرات هل أنت مرشد؟

(الرجل العجوز) وهو يشير لرجل يمتطي فرساً أمامهم: هذا هو مرشد القافلة.

(نافجة) وهي تنظر للرجل الذي أشار إليه العجوز: من أنت إذاً؟

(الرجل العجوز): أنا صُرد.

(نافجة) وهي تضحك: اسمك غريب

(الرجل العجوز): هذا ليس اسمي بل وظيفتي في هذه القافلة.

(نافجة): لم اسمع بهذه الوظيفة من قبل.. أعرف أن هناك مرشداً ومتقصياً للماء وفي بعض الأحيان حراس إذا كانت القافلة كبيرة أو تضم شخصيات ملكية أو شيوخ قبائل لكن وظيفة الصُرد هذه لم أسمع بها من قبل.

(الرجل العجوز) وهو يبتسم: مرة أخرى تدلين بمعلومات مفصلة تفوق سنك.. هل أخبرك بها أبوك أيضاً؟

(نافجة) بتوتر: نعم.. نعم

(الرجل العجوز): لماذا كنتِ تحملين سلاحاً معك؟ هذا ليس منظراً مألوفاً على النساء وخاصة في عمرك.

(نافجة) وهي تضع يدها على غمد سيفها الفارغ بتجهم: السيف مصدر قوة وحماية لي وأنا أجيد استخدامه لو استدعى الأمر.

(الرجل العجوز) وهو يبتسم وينظر أمامه: الصُردان في القوافل هم أشخاص يعينون لحمايتها مثل الحراس تماماً لكن قوتهم وقدرتهم ليست بالسيوف أو السهام.

(نافجة) تنصت للرجل العجوز بصمت..

(الرجل العجوز): تكلفتنا عالية جداً ولا يتم الاستعانة بخدماتنا إلا مع القوافل الكبيرة التي تضم بضائع ثمينة أو أشخاصاً مهمين.

(نافجة):...

(الرجل العجوز): لكن أنتِ كقاطعة طريق بسيطة لا تعرفين ذلك فضحاياك غالباً ما يكونوا من القوافل الصغيرة التي لا تستعين بحماية، أو الرعاة المغلوبين على أمرهم والذين لا يملكون وسيلة للدفاع عن أنفسهم.

نظرت (نافجة) بقلق وتوتر للعجوز بعد كلامه وبدأت تشد لجام دابتها في استعداد منها للهروب..

(الرجل العجوز) وهو يبتسم: لا تقلقي يا (جدعاء) لن أفضح سرك.

(نافجة) وهي ترخي قبضتها من لجام دابتها: كيف عرفت هويتي؟

(الرجل العجوز) وهو يبتسم: أبي التاجر أخبرني بذلك.

ابتسمت (نافجة) عندما مازحها الرجل العجوز وعلمت أنه لا يضمر لها شراً..

استأنف الرجل العجوز كلامه وقال:

جزء من مهام عملي كصُرد للقوافل هو أن اكون ملماً بأبرز قطاع الطرق في المناطق التي نسلكها مع القوافل التي نوكل بحمايتها.

(نافجة): لكنك قلت أننا عصابة بسيطة ولسنا في دائرة اهتمامك.

(الرجل العجوز): كل قطاع الطرق في دائرة اهتمامي وليس جميعهم سيكونون في نطاق عملي.

(نافجة): لِمَ الاهتمام بهم إذاً؟

(الرجل العجوز): كي تتقن عملك يجب أن تلم بكل شيء يتعلق به حتى وإن كنت لا تحتاجه في الوقت الحالي.

(نافجة): وهل تعرف بأني تركت عصابتي؟

(الرجل العجوز): لا.. لماذا تركتِهم؟

(نافجة) وهي تزفر: انضمامي لهم في بادئ الأمر كان للبحث عن حياة جديدة.. لم أكن أريد حياة مملة كحياة امي.. لم أمانع السرقة لكني لم أتقبل فكرة القتل والتنكيل بالناس.

(الرجل العجوز) وهو يبتسم: لم تحبي الظلم؟

(نافجة): نعم بالضبط.

(الرجل العجوز): هل تعرفين ما قانون العصابات في التعامل مع المنشقين.

(نافجة): أعرف.. يصبح دمه مهدورا عند كل قطاع الطرق.

(الرجل العجوز): وهل ستقضين بقية حياتك تهربين منهم؟

(نافجة): لم أفكر بالأمر.. ربما أستطيع الهجرة بعيداً كي لا يصلوا الي.

(الرجل العجوز): الصُردان أيضاً دماؤها مهدورة عند قطاع الطرق.

(نافجة): لم أسمع بكم من قبل ولم يصلنا خبر هدر دمائكم.

(الرجل العجوز) مبتسماً: أنتم عصابة بسيطة.. أنا أتحدث عن قطاع الطرق الكبار والتي تتكون عصاباتهم من عشرات وأحياناً مئات الأعضاء.

(نافجة): مئات؟

(الرجل العجوز): نعم.. ألم تسمعي بـ(خناد ابن معين)؟

(نافجة): لا!

(الرجل العجوز): هذا الرجل أحد أكبر قطاع الطرق في الجنوب وكانت عصابته تضم مئات الأعضاء ولم يستطع أحدٌ التخلص منه.

(نافجة): غريب.. لم أسمع به من قبل.

(الرجل العجوز): لأنه قتل قبل سنوات طويلة.

(نافجة): من قتله؟.. أحد الصُردان؟

(الرجل العجوز) وهو يضحك: قاتل (خناد) لم يكن من البشر.

(نافجة) باستغراب: لم يكن من البشر؟.. ماذا كان إذاً؟

(الرجل العجوز) وهو يبتسم: قد أخبرك لاحقاً.

سار الاثنان بصمت مع القافلة لفترة وجيزة ومع غروب الشمس نادى المرشد بصوت مرتفع وقال: سوف نحط رحالنا عندما تغيب الشمس!

(الرجل العجوز): جاء دوري الآن.

(نافجة): ماذا تقصد؟.. ماذا ستفعل؟

(الرجل العجوز): يجب أن أقوم بتأمين المنطقة التي ستخيم فيها القافلة الليلة.

(نافجة): وكيف ستقوم بذلك؟

لم يرد العجوز على (نافجة) وعقد أصابعه وبدأ بالتمتمة ثم اختفى من فوق بغلته و(نافجة) تنظر إليه بذهول..

قبل غياب الشمس الحمراء في الأفق بقليل ظهر الرجل العجوز فجأة فوق بغلته وأمسك بلجامها وشده وأكمل المسير بهدوء..

(نافجة) وعلى وجهها تعجب شديد يخالطه بعض التوتر والخوف: ما الذي حدث؟!.. كيف اختفيت هكذا؟!.. هل أنا مصابة بالحمى؟!

(الرجل العجوز) مبتسماً: ما بك ألم تري ساحراً من قبل؟

(نافجة): ساحر؟!

(الرجل العجوز): نعم ساحر.. عندما تفشل السيوف في حماية القافلة تتدخل الطلاسم.

(نافجة): هل جماعة الصُردان التي تحدثت عنها عصابة من السحرة؟

(الرجل العجوز): عصبة.. ندعى بالعصبة.. عصبة الصُردان.

(نافجة): وكم عدد أفرادكم؟

(الرجل العجوز): نحن الآن تسعة وتسعون ومازلنا في ازدياد.

(نافجة):...

(الرجل العجوز): لا..

(نافجة): أنا لم أقل شيئاً كي تقول «لا»

(الرجل العجوز) وهو يبتسم: كنتِ ستسألين عن إمكانية الانضمام الينا.

(نافجة) بتجهم: لا!.. لم أكن سأقول ذلك!

(الرجل العجوز) مبتسماً: لا يمكنك الانضمام الينا إلا إذا كنتِ ساحرة.

(نافجة): أخبرتك بأني لا اريد الانضمام لعصابتكم!

(الرجل العجوز) مبتسماً: عصبة وليس عصابة.

(نافجة) وهي تشد لجام بعيرها وتبتعد عن الرجل العجوز: أيا كانت!

بعد مسيرة أيام وصلت القافلة لـ«الحجاز» وتفرق أفرادها في سوقها الكبير وتوجه الرجل العجوز لقائد القافلة وأخذ أجره منه. بعدها بحث بنظره ورأى (نافجة) تقف في السوق بعدما استعادت سيفها وعلى وجهها ارتسمت الحيرة وكأنها تفكر في الطريق الذي ستسلكه فتوجه إليها وأخرج بعضاً من المال ومده لها وقال: خذي..

(نافجة) بعدما لمحت المال الممدود لها: لا أريد إحساناً منك!

(الرجل العجوز) مبتسماً: هذا ليس إحسان هذا أجر.

(نافجة) بتجهم: أجر؟!.. أجر على ماذا؟!

(الرجل العجوز): أجر مرافقتي.

(نافجة): لم أرافقك باختياري كنت تائهة والقافلة قدمت لي صنيعاً بإيصالي إلى هنا.

(الرجل العجوز): لا أقصد مرافقتك لي للقدوم لـ«الحجاز» بل أقصد مرافقتك لي للعودة لـ«اليمامة» فأنا كما أخبرتك سابقاً أسلك الطريق ذهاباً وإياباً بينهما وسوف أرافق قافلة أخرى متوجهة لـ«اليمامة» نهاية هذا النهار.

(نافجة): ولماذا تريد مني مرافقتك؟

(الرجل العجوز) وهو يبتسم ويرمي المال تحت قدمي (نافجة) ويسير مبتعداً عنها:

استخدمي المال لشراء ملابس جديدة غير الخرق التي تلبسينها

ويستحسن ان تختاري قماشاً أسود.. سأعود هنا عند الغروب لأخذك معي.. اسمي (غُرير) بالمناسبة.

(نافجة) هي تنظر باستغراب لثقة (غُرير) الواضحة في كلامه لكنها لم ترد عليه..

مع غروب الشمس عاد (غُرير) لنفس المكان وبدأ يبحث بنظره عن (نافجة) بين الناس الذين بدأوا يرحلون عن السوق لكنه لم يرَها فقرر الرحيل وقبل رحيله سمع صوتاً يأتي من خلفة يقول: وأنا اسمي (نافجة)..

التفت (غُرير) نحو مصدر الصوت ورأى (نافجة) بعباءة سوداء وخمار أسود يغطي رأسها فابتسم وقال: يبدو أنكِ اشتريتِ ملابس غالية.

(نافجة) وهي تقترب من (غُرير) مبتسمة: سوق «الحجاز» يجبرك على التبذير

(غُرير) مبتسماً: هيا لنلحق بالقافلة.

سار الاثنان لمسافة قصيرة خارج السوق حتى وصلا لقافلة صغيرة لا تتجاوز الدواب فيها خمسة بالإضافة لبغلة (غُرير) وبغلة أخرى بجانبها.

(نافجة): كنت أظن أنك لا ترافق سوى القوافل الكبيرة.

(غُرير) وهو يركب بغلته: كبر الحجم لا يعكس عظم الشأن دائماً.

(نافجة) وهي تركب البغلة الأخرى بعدما أشار لها (غُرير) بذلك:

وما العظيم في هذه القافلة الصغيرة؟

(غُرير) وهو يشد لجام بغلته لتتبع القافلة التي بدأت بالتحرك ويشير بإصبعه أمامه:

هل ترين ذلك الفتى الصغير الذي يركب الجواد الوحيد في القافلة؟

(نافجة) وهي تسير بجانب (غُرير) ببغلتها: نعم.. ما به؟

(غُرير): هذا الفتى هو الوريث الوحيد لأحد أكبر شيوخ القبائل المستقرة جنوب «اليمامة» وقد مات أبوه قبل اسبوع ويجب أن يرحل كي يستلم زمام القبيلة مكان أبيه.

(نافجة): ولماذا كان يعيش في «الحجاز» لماذا لم يبقَ في قبيلته مع والده؟

(غُرير): كونه الابن الوحيد لشيخ تلك القبيلة فقد خاف عليه أبوه من الأذى لأن أعمامه يطمعون بالحكم والشيخ يخرج للغزو كثيراً ولم يأمن على ابنه إلا عند صديق يثق به في «الحجاز»، وبعد وفاة الأب استأجر هذا الصديق خدمات الصُرداني لإيصال الصبي سالماً للقبيلة.

(نافجة): وكيف ستضمنون سلامته عندما يصل؟

(غُرير): تقصدين من أعمامه؟

(نافجة): نعم.

(غُرير): شيخ القبيلة أوصى بأن يُقتل أخوته إذا وصل ابنه للحكم قبل أن يبلغ رشده ويشتد ساعده.

(نافجة) باستغراب: يقتل أخوته؟

(غُرير) مبتسماً: هناك فظائع أكبر وأكثر ترتكب لأجل السلطة.

(نافجة): ومن سيقتلهم؟

(غُرير): أنا.

(نافجة) بتعجب: أنت؟

(غُرير): لقد دفع لنا صديق الشيخ أجر قتل إخوته الثلاثة.

(نافجة): أنتم إذاً مجرد مرتزقة تسعون خلف المال.

(غُرير): لدينا بعض المبادئ التي لا نتجاوزها مهما كان الثمن مغرياً

(نافجة) بسخرية: مثل ماذا؟

(غُرير): نحن لانقتل نساءً أو أطفالاً.

(نافجة) تبتسم وتقول وهي سارحة في الطريق أمامها:

بعض المصائب تأتي على هيئة بشر وبعض الحلول كذلك..

عندما انتصف الطريق بين «الحجاز» ومضارب القبيلة التي كانت القافلة متوجهة إليها لمح (غُرير) جماعة تقترب منهم في الأفق فأشار للقافلة بالتوقف.

(نافجة): لماذا توقفنا؟

(غُرير) وهو يحدق بالأفق: يبدو أن أخوة الشيخ لم ينتظروا ابن أخيهم وأرسلوا جماعة لقتله قبل وصوله.

(نافجة) وهي تحدق مع (غُرير) في الجماعة التي بدأت بالاقتراب منهم:

هل بينهم سحرة؟

(غُرير) وهو يعقد أصابعه: لا أعتقد.. لذلك التخلص منهم لن يكون أمراً صعباً.

(نافجة) وهي تضع يدها على أصابع (غُرير) المعقودة وعينها ما زالت تحدق بالأفق:

لا داعي لذلك فعددهم ليس كبيراً.

(غُرير) وهو ينظر لـ(نافجة): لست في عمر يخولني لقتالهم.

(نافجة) وهي تنزل من البغلة وتتوجه نحو الأمير الصغير:

هل تسمح لي أيها الأمير باستعارة جوادك؟

نزل الأمير الصغير من جواده وأمسك بلجامه ومده لـ(نافجة)..

امتطت (نافجة) الجواد وانطلقت بسرعة نحو الجماعة التي كانت تقترب منهم والتي لم يتجاوز عدد أفرادها العشرة. بقي (غُرير) يراقب (نافجة) وهي تقترب من تلك الجماعة حتى وصلت إليهم واشتبكت معهم وكان يرى تساقطهم واحداً تلو الأخر بضربات سيف (نافجة) وبعدما انتهت من قتلهم جميعاً عادت للقافلة ونزلت من على الجواد ومدت لجامه للأمير الصغير وهي تقول: شكراً أيها الأمير..

ركبت (نافجة) بغلتها و(غُرير) يراقبها مبتسماً ويقول بصوت مرتفع

لأفراد القافلة: لنتحرك!

سارت القافلة وسار خلفها (غُرير) وهو يسير بجانب (نافجة) ويقول: أنا مندهش..

(نافجة) وهي تنظر للطريق أمامها: من ماذا؟

(غُرير): من قدرتك العالية في القتال.

(نافجة): ولِمَ الاستغراب؟

(غُرير): من النادر رؤية رجل يملك مثل هذه المهارة فما بالك بامرأة وفي عمر بمثل عمرك.

(نافجة): ألا يوجد في عصبتكم نساء؟

(غُرير): لا.

(نافجة): ألهذه الدرجة تحتقرون النساء؟

(غُرير): نحن نجند الأكفاء بغض النظر عن هويتهم.

(نافجة) بسخرية: وهل ارتقت امرأة لمستوى عصبتكم في السحر؟

(غُرير) وهو يضحك: أنا تعلمت السحر من امرأة.

(نافجة) بتعجب: لما إذاً تحاربون وجود النساء بينكم؟

(غُرير): لسنا نحن من نفعل ذلك؟

(نافجة): من إذاً؟

(غُرير): كبار السحرة في «اليمامة».

(نافجة): وما شأنهم في ذلك؟

(غُرير): عصبة الصُرداان مقرها الرئيسي هو «اليمامة» ويحظَون برعاية من كبار السحرة فيها وكل السحرة يعرفون عداءهم للساحرات ورغبتهم في تصفيتهم لذا فإن تعيين ساحرات بين صفوفنا سيستفزهم بلا شك وقد يدفعهم لمحاربتنا ونحن في غنى عن ذلك.

(نافجة): وكيف ترضون بهذا الوضع المهين؟

(غُرير): هذه ليست قضيتنا.

(نافجة): قضية من إذاً؟

(غُرير): قضية الساحرات أنفسهن هن فقط من يستطعن فرض احترام بقية السحرة لهن.

(نافجة): وهل الساحرات يحاولن القيام بشيء لتغير هذا الوضع؟

(غُرير): كل ساحرة حاولت ذلك انتهى بها المطاف بالقتل والقاتل غالباً ما يكون أحد كبار سحرة «اليمامة» أو أحد المرتزقة الذين يستأجرونهم لهذا الغرض.

(نافجة) بتعجب: ألهذا الحد لا يريدون للساحرات أن يكون لهن وجود وكيان؟

(غُرير) وهو يبتسم: نعم.

(نافجة) تقبض لجام دابتها وتحدق أمامها بتجهم..

(غُرير) وهو ينظر إليها: ما بك؟

(نافجة): ما أخبرتني به هو أكبر ظلم مر علي في حياتي.

(غُرير) مبتسماً: عيشي أكثر في هذه الدنيا وسترين ظلماً أكبر وأكثر.

(نافجة) وهي لاتزال متجهمة: ألم تستطع ساحرة واحدة التصدي لهؤلاء الطغاة؟

(غُرير): كان هناك واحدة قبل سنين طويلة مضت استطاعت إذاقتهم المر.

(نافجة): من كانت؟

(غُرير): كان اسمها (عانكة).. كانت تؤوي الساحرات وتوفر لهن الحماية وتحرضهن دائماً على المقاومة والصمود وكان حلمها قتل كبار السحرة جميعاً في «اليمامة» وتأسيس مملكة للساحرات هناك.

(نافجة) والتجهم يزول من على وجهها ويتحول لابتسامة: تبدو امرأة عظيمة.

(غُرير): كانت كذلك وكانت قوية أيضاً ولم يتمكن كبار السحرة في «اليمامة» من قتلها بالرغم من أنها لم تكن تختبئ منهم مثل بقية الساحرات فقد كانت تقيم في «الحجاز» وتدير حانوتاً في وسط السوق الكبير تحت مرأى ومسمع الجميع.

(نافجة) بتعجب: لماذا لم يستطيعوا قتلها؟

(غُرير): لأن (عانكة) لم تكن ساحرة عادية كانت شيئاً أخر.

(نافجة): شيئاً أخر!؟

(غُرير): نعم.. كانت تملك قدرات وعلم لم نرَه من قبل عند أي ساحر أو ساحرة

(نافجة): ومن أين لها بذلك العلم؟

(غُرير): لم يعرف أحد يوماً مصدر قدرتها العالية لكن كان هناك إشاعات وكلام يدور في عالم السحرة عن مصدر تلك القدرة لكن لا شيء كان مؤكدا.

(نافجة): مثل ماذا؟

(غُرير): البعض قال أنها كانت متزوجة من شيطان علوي كبير وأغلب علمها كان يأتي منه والبعض الآخر قال أنها استطاعت الحصول على أحد كتب سليمان المفقودة وكلام كثير قيل في هذا الشأن لكن لا شيء منه مؤكد كما اخبرتك.

(نافجة): أراك تتحدث عنها بصيغة الماضي.. هل ماتت؟

(غُرير): لا أعرف لكنها اختفت فجأة..

(نافجة): اختفت؟

(غُرير): نعم.. (عانكة) لم تملك أقرباء أو تلاميذ مقربين لها كي ينقلوا أخبارها ولم يدرك الناس حقيقة اختفائها إلا عندما لاحظ بعض التجار يوماً أن حانوتها كان فارغاً تماماً من البضائع ومنزلها وجد محروقاً بالكامل وكأنها قررت الرحيل وإخفاء كل أثر لها.

(نافجة): هل تعتقد أن سحرة «اليمامة» استطاعوا التخلص منها.

(غُرير): أستبعد ذلك وإلا لكانوا أعلنوا الخبر واحتفلوا به أيضاً.

(نافجة) والحيرة مرتسمة على وجهها: أمر غريب..

(غُرير): ليس غريباً لهذه الدرجة فالسحرة يختفون بشكل مفاجئ من وقت لآخر بسبب تعاملهم مع قوى وكائنات غير بشرية.

(نافجة): هل قابلتها من قبل؟

(غُرير): نعم.

(نافجة): هل كنت مرسلاً لقتلها؟

(غُرير) وهو يبتسم: أي ساحر يملك عقلاً لن يذهب لـ(عانكة) ليتقاتل معها.

(نافجة): لماذا ذهبت إليها إذاً؟

(غُرير): زرتها ثلاث مرات في حياتي.. المرة الأولى عندما كنت ساحراً مبتدئاً وكنت أريد أن أكون تلميذاً عندها لكنها رفضت وقالت إنها لا تقبل سوى النساء.

(نافجة) تبتسم..

(غُرير): المرة الثانية كانت بعدها بعشر سنوات تقريباً ووقتها كنت أريد أن أتعلم طلسماً قرأت عنه في أحد الكتب وعلمت أن لا أحدَ كان يتقنه في ذلك الوقت غيرها

(نافجة): وهل وافقت هذه المرة؟

(غُرير) وهو يبتسم: رفضت في البداية لكني عرضت عليها ثمناً لم تستطع رفضه

(نافجة): ماذا عرضت عليها مقابل الطلسم؟

(غُرير): رأس أحد كبار سحرة «اليمامة» في ذلك الوقت.

(نافجة) بتعجب: وكيف استطعت الوصول والتغلب على أحد كبار سحرة «اليمامة»؟

(غُرير) مبتسماً: كنت أحد تلاميذه فلم يكن من الصعب الاقتراب منه والغدر به على غفلة منه.

(نافجة): أنت خائن إذاً؟

(غُرير): محاولتك إقحام القيم النبيلة في عالم السحر أمر غريب.. عالم السحرة أساسه الحيلة والخديعة ومن يريد الارتقاء فيه يجب ان يتجرد من الكثير منها.

(نافجة):...

(غُرير): الزيارة الثالثة لها كانت بعدها بأعوام قليلة...

(نافجة): انتظر.. ألم تقل بأنك تعلمت السحر من امرأة؟

(غُرير): نعم

(نافجة): لكنك تقول بأنك كنت تلميذاً عند أحد كبار سحرة «اليمامة».

(غُرير): تعلم السحر يمر بمراحل وعندما تستنفذ علم معلمك وتريد الانتقال لمرحلة متقدمة يجب ان تبحث عن معلم آخر وأول معلم لي كانت ساحرة تعيش في «بابل» وعندما وجدت بأنها لا تملك

شيئاً آخر يمكنها تعليمي إياه انتقلت لـ«اليمامة» وبدأت أتعلم من ذلك الساحر.

(نافجة):...

(غُرير): زيارتي الثالثة لـ(عانكة) كانت لمساعدتي في حماية قافلة كبيرة تضم أشخاصاً مهمين ولم تكن وقتها عصبة الصردان كبيرة لتغطي قافلة بحجمها وأهميتها فقررت الاستعانة بخدماتها مقابل أجر مجز.

(نافجة): وهل وافقت؟

(غُرير) وهو يضحك: لا

(نافجة) باستغراب: لماذا تضحك؟

(غُرير): كنت متوقعاً رفضها لكن لم أتوقع سبب الرفض.

(نافجة): وماذا كان سبب رفضها؟

(غُرير): صبية صغيرة.

(نافجة): صبية؟.. لقد قلت أنه ليس لها أقرباء ولا أحد يقيم معها أو يقترب منها سوى تلاميذها.

(غُرير): نعم وهذا ما أثار استغرابي.. كانت تلك الفتاة متعلقة بـ(عانكة) جداً وهي كذلك كان يبدو عليها أنها تهتم لأمرها كثيراً.

(نافجة): وما دخل تلك الصبية في عدم ذهاب (عانكة) معك؟

(غُرير): عندما عرضت الموضوع عليها وهي جالسة في دكانها في سوق «الحجاز» كانت تلك الصبية موجودة ومنصته لحديثنا ورأسها

في حجر (عانكة) وهي تمسح على رأسها وكنت أظنها متسولة أو فتاة أرسلتها أمها لشراء حاجيات من السوق ولم أتوقع أنها كانت تقيم معها.

(نافجة):...

(غُرير): عندما انتهيت من الحديث التفتت (عانكة) عليها وسألتها عن رأيها فتجهمت تلك الفتاة وهي تحدق بي ورأسها في حجر (عانكة) وأخبرتها بأن لا تذهب معي فالتفتت علي (عانكة) ورفضت طلبي وهي تبتسم وأنا متعجب مما أراه

(نافجة): ولِمَ العجب؟

(غُرير): كيف تأخذ المشورة من طفلة؟

(نافجة) وهي تبتسم بسخرية:

دائماً ما تحقرون النساء والأطفال وأي شيء لا يملك ذقناً أو شارباً..

(غُرير): لم أقصد ذلك.

(نافجة): صدقني أنك قصدتها لكن المصيبة أنك لا تشعر بذلك.

(غُرير):...

(نافجة) وهي ترفع رأسها وتحدق أمامها: هناك بعض الخيام أمامنا.

(غُرير) وهو ينظر أمامه: يبدو أننا قد وصلنا.

***

مقبرة الأطفال

(عِمرة): انتهيت من الضفيرة الثالثة يا عمة..

(دعجاء):...

نهضت (عِمرة) من خلف (دعجاء) وجلست أمامها لترى دموعها قد غطت وجهها المتلئ بنقوش الحناء..

(عِمرة) وهي تضع يدها على كتف (دعجاء) بقلق: ما بك يا عمة؟

(دعجاء) وهي تمسح دمعة بظهر يدها: لا شيء.

(عِمرة) بوجه حزين: هل تفتقدينها؟

(دعجاء): عن من تتحدثين؟

(عِمرة): العمة (عانكة)؟

(دعجاء) بوجه حزين: لم أظن أن استرجاع ذكرياتي معها سيؤلمني هكذا.

(عِمرة): هل أحببتها؟

(دعجاء) وهي تبتسم: كنت أثق بها.

(عِمرة): ولم تحبيها؟

(دعجاء): الثقة أعظم وأكبر من أي حب..

(عِمرة): لا بأس يا عمة الشمس ستشرق بعد قليل، عودي للخيمة ونامي وأنا سأذهب لإحضار مزيدٍ من الماء من البئر.

(دعجاء): لا تذهبي وحدك فالمكان ليس آمنا.

(عِمرة) وهي تبتسم: (شَبَث) سيكون معي بالطبع.

(دعجاء): لا أعرف لماذا يطيعك مع أنه ليس مربوطاً بك.

(عِمرة): أخبرتك يا عمة أنه يهتم لأمرنا.

(دعجاء): أغلب الناس حولك لن يكترثوا عندما تفقد شخصاً بداخلك.. وهذا الشيطان ليس مستثنى من ذلك..

(عمرة): أنا أكترث ياعمة و(شبث) مختلف صدقيني.

(دعجاء): لن أصدق ذلك أبداً.

(عِمرة) وهي تساعد (دعجاء) في النهوض: هيا اذهبي للخيمة ولا تفكري بالأمر

(دعجاء) تعقد أصابعها بعدما وقفت..

(عِمرة): ماذا تفعلين يا عمة؟

(دعجاء): سأجرب مرة أخرى لعل أثر الحناء قد زال.

بدأت (دعجاء) بقراءة بعض الطلاسم لكن شيئاً لم يحدث..

(دعجاء) بخيبة أمل: ما زال أثر الحناء قوياً.

(عِمرة): سيزول قريباً لا تقلقي.

دخلت (دعجاء) الخيمة واستلقت على فراشها ونامت..

فتحت (دعجاء) عينيها بعد عدة ساعات من النوم ورأت (عِمرة) مستلقية بجانبها نائمة وبجانبها قربة الماء المملوءة و(شَبَث) يقف فوق رأسيهما يحدق بهما:

(دعجاء): لماذا تحدق بنا هكذا؟

(شَبَث): الفتاة مسكينة.. الفتاة مسكينة..

(دعجاء) وهي لاتزال مستلقية: ماذا تقصد أيها الأحمق؟

(شَبَث): حمى.. حمى..

نهضت (دعجاء) من فراشها ووضعت كفها على جبين (عِمرة) لتجده ساخناً كالجمر فأخذتها ووضعتها في حجرها وقطعت خرقه من لباسها وغمستها في قربة الماء وبدأت تمسح على رأسها وجسدها. لم تنخفض حرارة (عِمرة) وبدأت تهذي فأمرت (دعجاء) شيطانها الأحمر بأن يحضر لها بعض من ثمار نبتة (الصبر).

خرج (شَبَث) وعاد قبل المساء بكمية قليلة من تلك الثمار فأخذتها (دعجاء) وأمرته بإحضار المزيد وخلال غيابه بدأت تعجن تلك الثمار بمضغها في فمها مع قليل من الماء وأعدت معجوناً قامت بدهنه على جسد (عِمرة) بالكامل بعدما جردتها من ملابسها ثم قامت بعدها

بحفر حفرة كبيرة خارج الخيمة وخلال حفرها عاد (شَبَث) وأحضر المزيد من ثمار نبتة (الصبر) فأخذتها (دعجاء) منه وأمرته بإحضار المزيد أيضاً.

عجنت (دعجاء) الثمار مرة أخرى مع قليل من الماء وفرشتها في الحفرة التي حفرتها ثم أخذت بعضاً من رماد النار التي كانت قد خمدت خارج الخيمة ورشته على الخليط في الحفرة ثم دخلت الخيمة وحملت (عِمرة) ووضعتها في تلك الحفرة وردمت عليها التراب حتى طمرت جسدها بالكامل عدا رأسها الذي بقي فوق سطح الأرض. عاد (شَبَث) بمزيد من الثمار فوضعتها (دعجاء) عند رأس (عِمرة) وأمرت (شَبَث) بأن يشعل نارا قريبة منها ثم ينصرف بعدها.

بعد إشعال النار وانصراف (شَبَث) جلست (دعجاء) بجانبها وبدأت تلوك قطعاً من تلك الثمار في فمها ثم تأخذ من فمها وتدسه في فم (عِمرة). فتحت (عِمرة) عينها بعدما أحست بالفاكهة الممضوغة تلامس لسانها. ابتلعت (عِمرة) ما كان في فمها ثم قالت: ما الذي يحدث يا عمة؟

(دعجاء) وهي تدس بعض الفاكهة الممضوغة في فم (عِمرة): حزنك المكظوم على أبيك بدأ يدك أركان جسدك.

(عِمرة) وهي تبتلع الفاكهة الممضوغة: ماذا تقصدين يا عمة؟

(دعجاء) وهي تقضم أحد الثمار وتحدث نفسها: لقد أحضر ذلك الأحمق فاكهة غير ناضجة.

(عِمرة): أخبريني يا عمة ماذا تقصدين بحزني المكظوم على أبي؟

(دعجاء): محاولة تجاهل حزنك على أبيك لم يكن بالأمر الجيد.

(عِمرة): أنا لم أتجاهل حزني لقد بكيت عليه.

(دعجاء): البكاء ليس التعبير الوحيد عن الحزن وخاصة الحزن الكبير أو الفاجعة.. لقد فجعتك بقتل أبيك وأنتِ حاولتِ بكل شجاعة تحمل وكتم حزنك وهذا ما جعل جسدك يتهاوى.

(عِمرة) وعيناها بدأتا تدمعان: غير صحيح.

(دعجاء) وهي تمسح على رأس (عِمرة): لا بأس يا ابنتي يمكنك البكاء.

بدأت (عِمرة) بالبكاء بقوة وبصوت مرتفع كبكاء الأطفال..

لم تتدخل (دعجاء) خلال بكاء (عِمرة) بل اكتفت بالنظر إليها بحزن حتى سكتت. وضعت بعدها (دعجاء) كفها على جبين (عِمرة) وقالت: لقد زالت الحمى..

(عِمرة):...

(دعجاء): لقد بكيت مثلك عندما أدركت أني لن أرى أبي مرة أخرى.

(عِمرة):...

(دعجاء): أصبت بالحمى مثلك وعمتي (عانكة) عالجتني بنفس الطريقة

(عِمرة): أكملي لي القصة..

(دعجاء): أي قصة؟

(عِمرة): لقد توقفتِ عندما عدتم لـ«الحجاز» بعد قتل (الحرباء).

(دعجاء) وهي تبتسم: وماذا عن ضفائري؟

(عِمرة) بسخرية: هل تريدين أن أجدلها لك بأسناني؟

(دعجاء) وهي تضحك: لا لا.. أكملي تجديلها لاحقاً.

(عِمرة): ماذا حدث بعد أن عدتم لـ«الحجاز» يا عمة؟

استأنفت (دعجاء) قصتها مع (عانكة) وقالت:

عدنا بطلاسم الانتقال وكانت هذه أول مرة أجرب تلك الطلاسم.. لم أجربها لكن جربت إحساس الانتقال بها. وصلنا ليلاً وعدنا للمنزل ولم نتحدث تلك الليلة بل خلدنا للنوم مباشرة. في الصباح خرجت العمة كعادتها للتوجه للسوق لكنها لم تأخذني معها ذلك اليوم وتركتني نائمة وعندما استيقظت شعرت بخوف شديد عندما لم أرَها، بعدها خرجت من المنزل وتوجهت للسوق بسرعة وأنا غاضبة وعند وصولي للحانوت وجدتها جالسة تحدق بالمارة فصرخت فيها وقلت: لماذا تركتِني؟!

(عانكة) ببرود: عن ماذا تتحدثين؟

(دعجاء): لقد تركتني لوحدي!

(عانكة) بهدوء: وما المشكلة؟

لم تملك (دعجاء) رداً على كلام (عانكة) ولم تكن تعرف سبب شعورها بالضيق لذلك اكتفت بالدخول للدكان والبكاء.

(عانكة) وهي تحدق بالمارة والتجار في السوق: ما بك؟

(دعجاء) وهي تبكي: لا شيء!

(عانكة): إبدأي بتنظيف المكان إذاً.

(دعجاء) وهي تنهض وتبدأ بالتنظيف وهي تبكي بصوت خافت: أمرك.

مضت أيام وأسابيع وبقيت (دعجاء) مع (عانكة) تساعدها في حانوتها صباحاً وتعد لها طعامها وتفرك قدميها مساءً وبعد مرور شهرين تقريباً على هذا الحال أتت امرأة إلى دكان (عانكة) في صباح أحد الأيام وبدأت بتقبيل يدها:

(عانكة) وهي تبتسم: كيف حالك يا (بنون)؟

(بنون) وهي تجلس تحت (عانكة) وتبدأ بفرك قدميها: بخير يا كبيرة.

(دعجاء) وهي تحاول التصنت: هل تريدين شيئاً آخر يا عمة؟

(عانكة): ساعدي أختك في دعك قدميّ.

توجهت (دعجاء) وجلست بجانب (بنون) وبدأت بدعك قدمي (عانكة) بصمت..

(عانكة) لـ(بنون): كيف حالك وحال أطفالك؟

(بنون) وهي تدعك قدمي (عانكة): يقبلون قدميك يا كبيرة.

(عانكة): وزوجك الأحمق؟

(بنون) وهي تنزل رأسها وتستمر في دعك قدمي (عانكة): ما زال أحمقاً يا كبيرة.

(عانكة) وهي تضحك: أنتِ من اخترته فتحملي سوء اختيارك.

(دعجاء) تنظر لـ(بنون) وتستمر في دعك قدمي (عانكة)..

(عانكة) وهي تبتسم وتشير لـ(دعجاء) بسبابتها: لن يزوجك أحد غيري يا (دعجاء).

(دعجاء) وهي تتجهم وتدعك قدمي (عانكة) بقوة: لا أريد الزواج أبداً يا عمة!

(عانكة) وهي تضحك وتوجه كلامها لـ(بنون): تعلمي من حكمة هذه الصبية!

(بنون) وهي تستمر في دعك قدمي (عانكة): الرجال مرض لابد أن نصاب به يا كبيرة.

(عانكة) وهي تبتسم: ما الذي أتى بك يا ابنتي؟

(بنون) ترمق (دعجاء) بنظرة قلق وريبة..

(عانكة): لا تقلقي.. تحدثي فهي واحدة منا.

(بنون): لقد عادت (الوقية)..

(عانكة) ووجها يتجهم: ماذا؟

(بنون): قمت بتوليد امرأة في مدينتي وعندما عدت لأطمئن عليها بعد أيام اكتشفت أن طفلها استبدل.

(عانكة): وكيف عرفتِ أنها هي وليست جنية أخرى؟

(بنون) وهي لاتزال تدعك قدمي (عانكة): العلامات واضحة على الطفل يا كبيرة.

(عانكة) وهي تشير لـ(بنون) و(دعجاء) بالتوقف عن دعك قدميها..

(دعجاء) تقف و(بنون) تقبل قدم (عانكة) وتقف..

(عانكة) وعلى وجهها الاستياء: عودي لمدينتك وسأكون عندك في الصباح.

(بنون) وهي تنحني وتقبل يد (عانكة): شكراً يا كبيرة..

رحلت (بنون) تاركة (عانكة) سارحة وتفكر بقلق..

(دعجاء): ما بك يا عمة؟

(عانكة) وهي لاتزال سارحة تفكر: عودي للتنظيف.

(دعجاء): هل ستأخذينني معك غداً؟

(عانكة) وسرحانها ينقطع وتلتفت على (دعجاء): ماذا؟

(دعجاء) وهي تعيد سؤالها: هل ستأخذينني معك غداً؟

(عانكة) وعلى ووجهها لاتزال معالم الحيرة والتوهان: آخذك إلى أين؟

(دعجاء) وهي تدنو من عمتها وتضع يدها على كتفها: ما بك يا عمة؟

(عانكة) وهي تستعيد تركيزها: لا شيء لا شيء.. أغلقي الحانوت واتبعيني للمنزل.

نفذت (دعجاء) ما طلبته (عانكة) منها وسارت معها عائدتين للمنزل..

بمجرد وصولهما للمنزل دخلت (عانكة) وتوجهت للغرفة الصغيرة المغلقة وفتحتها وبدأت تبحث بين قواريرها وصناديقها بصمت و(دعجاء) تقف عند عتبة الباب وتحدق بصمت بعمتها التي لم ترَها من قبل بهذا الحال.

(عانكة) وهي تبحث بين حاجياتها بقلق: أين وضعتها؟

(دعجاء): أترغبين أن أساعدك يا عمة؟

لم ترد (عانكة) على (دعجاء) واستمرت بالبحث بتوتر بين أكوام الأشياء التي امتلأت بها تلك الغرفة حتى توقفت واتسعت عينيها وأمسكت بخاتم ورفعته ونظرت إليه بابتسامة عريضة وقالت: وجدته.

(دعجاء) باستغراب: وجدتِ ماذا يا عمة؟

(عانكة) وهي لاتزال تحدق بالخاتم: الشيء الوحيد الذي يمكنه إيقاف (الوقية).

(دعجاء): ما هذه (الوقية) يا عمة؟

(عانكة) وهي تنهض وتضع الخاتم في جيبها: ليس "ما" بل "من"؟

(دعجاء) وهي تراقب عمتها وهي تخرج من الغرفة وتغلقها: من هو إذاً؟

(عانكة) وهي تجلس: ليس "هو" بل "هي"؟

(دعجاء) بوجه محبط: إذا كنتِ لا تريدين إخباري يا عمة فلا بأس لكن لا تتلاعبي بي هكذا!

(عانكة) وهي تضحك: سأخبرك لكن بعد أن تقومي بمهامك أولاً.

(دعجاء): أعرف أعرف.. إعداد الطعام وتدليك قدميك بعد الغداء.

(عانكة) وهي تستلقي مبتسمة: نعم..

بعدما أعدت (دعجاء) الطعام وانتهت من تناوله مع عمتها جلست عند قدميها وبدأت بتدليكها وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة صغيرة في إشارة لـ(عانكة) للبدء بالحديث:

(عانكة) تبتسم وتنظر لـ(دعجاء) وهي تدعك قدميها:.. (الوقية) جنية.. جنية تخطف الأطفال حديثي الولادة وتستبدلهم بأطفال من الجن.

(دعجاء) باستغراب: لماذا تفعل ذلك يا عمة؟ وكيف تفعل ذلك؟

(عانكة): تبديل مواليد الإنس بالجن ليس بالأمر الغريب ولا هو بالشائع أيضاً فهو يحدث من وقت لأخر لأسباب مختلفة أهمها توفير ملجأ لصغار الجن الذين تيتموا أو ولدوا في رباط غير مشروع.

(دعجاء): كيف لا يكتشف أهل الطفل أن الذي يعيش معهم أنه من الجن وليس ابنهم.

(عانكة): لأن الجن لا يقوما بعملية التبديل إلا بعدما يشكلوا طفلهم ليصبح بشكل بشري وبذلك ينسى طفلهم أصوله ويبقى بتشكله حتى يموت.

(دعجاء): لكن أعمار الجن أكثر بكثير من الإنس أليس كذلك يا عمة؟

(عانكة): نعم لكن تشكلهم الدائم يرهقهم ويصيب أجسادهم بالعلل التي تقصر من أعمارهم وتجعله بعمر البشر تقريباً.. ويكونون معرضين للأمراض والقتل مثلنا أيضاً ولا يأخذون شيئاً من خصائص بني جنسهم بعد تشكلهم، لذا فليس من المستغرب أن يصاب الجن المتشكل بالحمى أو الجروح.

(دعجاء): وماذا عن البشر الذين يخطفون؟.. هل يعيشون مع الجن؟

(عانكة): لا.. في الغالب يقتلون.

(دعجاء): يقتلون؟!

(عانكة): نعم فحياتهم مع الجن في عالمهم مستحيلة لذا يستخدمون أطفال البشر المخطوفين كقرابين أو يقدمونهم لبشر أخرين بمقابل.

(دعجاء) وعلى وجهها تعجب كبير:...

(عانكة): ما بك؟

(دعجاء): لا أريد تكذيبك يا عمة لكن ما تقولينه لا يدخل العقل.

(عانكة): يجب أن يكون عقلك مفتوحاً قبل أن يدخله شيء..

(دعجاء): وما علاقة تلك المرأة التي جاءت لكِ اليوم بالأمر؟

(عاتكة): تقصدين (بنون)؟

(دعجاء): نعم

(عاتكة): (بنون) كانت من بناتي التي كنت أعلمهم السحر لكنها لم تكمل تعليمها معي..

(دعجاء): لماذا؟

(عاتكة) وهي تبتسم: لأن الحمقاء حبلت.

(دعجاء) وهي لاتزال تدعك قدمي (عاتكة): وهل الحمل ممنوع على الساحرات؟

(عاتكة) وهي تضحك بقوة: لا يا حمقاء لكنه بلا شك سيكون عائقا خاصة عندما تتزوج الساحرة من أحمق كزوج (بنون).

(دعجاء): لماذا؟.. ما به؟

(عاتكة): رجل فاشل في حياته ولا يعمل ولا أظنه عمل في حياته قط.. يحتسي الخمر كالماء ونصف حديثه معها يكون بيده..

(دعجاء) بوجه حزين: لماذا كل الرجال هكذا يا عمة؟

(عاتكة): هل كان أبوك هكذا؟

(دعجاء) بعصبية: لا!

(عاتكة):إذاً فليس كلهم كذلك..

(دعجاء) تنزل رأسها وتحدق بقدمي (عاتكة) خلال دعكها..

(عاتكة) وهي تبتسم وتمسح على رأس (دعجاء):

ليست المصيبة أنَّ أغلب الرجال حمقى بل المصيبة أنهم لا يعرفون ذلك..

(دعجاء): ليت جميع الحمقى يختفون دفعة واحدة.

(عانكة): هناك حكمة إلهية من وجود الحمقى بيننا..

(دعجاء): هل لي بسؤال ياعمة؟

(عانكة): ماذا يدور في رأسك الصغير؟

(دعجاء): كيف أعرف الناس؟

(عانكة): ماذا تقصدين؟

(دعجاء): كيف أفرق بين الخبيث والطيب بينهم؟

(عانكة): هذه من الأمور الصعبة يا صبية لكن أبي قدم نصيحة لأحد أصحابه في الماضي ووجدتها تصيب دائماً.

(دعجاء): ماذا قال؟

(عانكة): قال له «ستقابل الكثير في حياتك.. أجملهم من يحبك بلا سبب وأقبحهم من يكرهك بلا سبب»

(دعجاء) وهي تنزل رأسها وتستمر بدعك قدمي (عانكة): كلامه فيه من الحق الكثير.. لو وجدت من يحبني سأهبه حياتي..

(عانكة): هذا هو الغباء بعينه.

(دعجاء): لماذا؟

(عانكة): لا تهبي نفسك لبشر لأنك ستصبحين بعدها سلعة تباع وتشترى..

(دعجاء) وهي تستمر بدعك قدمي (عانكة): الحياة معقدة..

(عانكة) تبتسم وتراقب (دعجاء) وهي تدعك قدميها بصمت..

(دعجاء) وهي ترفع نظرها وتحدق بأعين (عانكة): لماذا تزوجته (بنون)؟

(عانكة) وهي تتوسد الجدار وتستأنف حديثها:

تقول البلهاء إنها أحبته وبالرغم من معاملته القاسية لها أنجبت منه أكثر من عشرة أطفال..

(دعجاء) وهي مصدومة: عشرة؟!

(عانكة) وهي تضحك: إذاً لم تحسبي الذي في بطنها الآن فنعم عشرة.

(دعجاء): وكيف عرفت بأن تلك (الوقية) عادت.. ولماذا لجأت لك؟

(عانكة): بعد أن تركتني (بنون) لتعيش مع ذلك الأحمق في مدينته مع أهله عملت كقابلة لتوليد نساء تلك المدينة لتصرف عليه وعلى ذريته المتزايدة وكانت تزورني من وقت لآخر وفي أحدى زياراتها طلبت مني مساعدتها في تعلم بعض الأمور كي تصبح معالجة للأطفال الذين يصابون بالأمراض كي تزيد من دخلها.

(دعجاء): وهل علمتها يا عمة؟

(عانكة): لم أكن راغبة بذلك في البداية لكني أشفقت على حالها وقمت

بتعليمها بعض الامور التي يمكن أن تفيدها في التعامل مع الأطفال حديثي الولادة لكنها لجأت لي يوماً وطلبت مني مساعدتها في علاج طفل لا يتوقف عن البكاء.

(دعجاء): وهل بكاء الأطفال مرض يا عمة؟

(عانكة): عندما يكون بشكل مستمر ليلاً ونهاراً فهو علة تستلزم العلاج.

(دعجاء): وماذا كانت العلة وماذا كان العلاج؟

(عانكة): قررت الذهاب معها لمدينتها لفحص ذلك الطفل وفي نفس الوقت أزورها وأرى أطفالها لأني كنت اسمع عنهم منها فقط ولم أرَهم من قبل.

(دعجاء) وهي تدعك قدمي (عانكة) وتبتسم:

هل رغبتِ أن تجربي شعور الجدة يا عمة؟

(عانكة): شعور الجدة لا يمارس مع أطفال كأطفال (بنون) فهم كالشياطين التي أتخلص منها من وقت لآخر.

(دعجاء) وهي تضحك: وهل قمتِ بعلاج الطفل يا عمة؟

(عانكة): بمجرد أن وقعت عيني عليه علمت بأنه ليس طفل تلك المرأة وأنه من الجن المتشكل وأنه استبدل.

(دعجاء): كيف عرفتِ يا عمة؟

(عانكة): هناك علامات؟

(دعجاء): مثل ماذا؟

(عانكة): بكاؤه المستمر وغير المنقطع لفترات طويلة بدون سبب يعتبر علامة أولى لكن هناك علامات حاسمة مثل احمرار وجهه وبروز علامة مميزة على جبينه كالكدمة الزرقاء خلال بكائه.

(دعجاء) وهي منصته باهتمام: وماذا أيضاً؟

(عانكة): أنامله تكون غريبة وذات شكل مميز أيضاً ويكون له ثدي بارز على غير المعتاد.

(دعجاء): وماذا أيضاً؟

(عانكة): ألا تريدين معرفة ماذا حدث بعد ذلك؟

(دعجاء): حسناً.

(عانكة): عندما تيقنت من أن ذلك الطفل ليس من الإنس وأنه من الجن لأن الشياطين لا تمارس عادة استبدال الأطفال، لم أخبر أمه وطلبت من (بنون) أخذي لأقرب جبل أو وادي في تلك المدينة وكان ذلك على بعد مسيرة نصف يوم منها فذهبت وحدي ولم آخذها معي وطلبت منها البقاء مع أطفالها ريثما أعود.

(دعجاء): عن ماذا كنتِ تبحثين يا عمة؟

(عانكة): الجن الذي يمارس عادة استبدال الأطفال لا يبتعد كثيراً عن المكان الذي يمارس فيه هذه العادة وأكثر مكان محبب للوقيات للاختباء فيه هو الوديان أو الكهوف كي تتناول أطفال الإنس بهدوء.

(دعجاء): تتناولهم؟

(عانكة): نعم فـ(الوقيات) لا يرمونهم ويؤمنون أن تناول عظام أطفال البشر مفيد لهم.

(دعجاء): هل تسلخهم كي تحصل على عظامهم؟

(عانكة) وهي تضحك بقوة: لا يا حمقاء.. تتركهم حتى يموتوا وتذبل لحومهم وجلودهم وتبقى عظامهم.

(دعجاء): لكن هذا يأخذ وقتاً طويلاً أليس كذلك؟

(عانكة): أنتِ تفكرين كالإنس لذلك تجدين صعوبة في فهم طبائع الجن.. الجن يملك وقتاً طويلاً ويمكنهم انتظار أي شيء لسنوات لو رغبوا فيه.

(دعجاء) تكمل الدعك والانصات والحيرة مرتسمة على وجهها..

(عانكة): بعدما وصلت لسلسة الجبال خارج تلك المدينة وبعد بحث قصير استطعت تحديد مكان (الوقية).. كانت تختبئ في كهف امتلأ بجثث الأطفال حديثي الولادة وأغلبها كانت متحللة.. كانت مقبرة للأطفال.. يبدو أنها كانت تمارس الاستبدال من عدة مدن وقرى لأن أعداد الأطفال كان بالعشرات ولا أظن أنهم كانوا جميعاً من نفس المدينة.

(دعجاء): وهل وجدتي (الوقية) في الكهف؟

(عانكة): لم تكن موجودة عندما حضرت لذا جلست أنتظرها..

جلست أحدق بتلك العظام والجماجم الصغيرة التي كانت تحيط بي حتى بدأت اسمع صوت طفل يبكي فعلمت أنها تقترب من الكهف.. دخلت الوقية للكهف ولم تكن متشكلة وكان ذلك الطفل يحلق في الهواء وعلمت أنها رأتني عندما سقط على الأرض.

(دعجاء): بقلق: هل تأذى؟!

(عانكة): من؟

(دعجاء): الطفل!!

(عانكة) باستغراب: لا أعرف.. دعيني أكمل.

(دعجاء): كيف لا تعرفين؟!.. هل تركتِ الطفل يموت؟!

(عانكة) تحدق بـ(دعجاء) باستغراب...

(دعجاء) والقلق يسيطر عليها: أرجوك يا عمة لا تقولي بأنك تركته!

(عانكة): لقد أخبرتك للتو أني كنت بين عشرات الأطفال القتلى في ذلك الكهف ولم تتأثري.. لمَ الاهتمام الآن.

(دعجاء): لأن الطفل لم يمت ومازال على قيد الحياة.

(عانكة): وماذا كنت سأستفيد إذا أنقذته أو حتى توقفت عن ملاحقة (الوقية) للاطمئنان عليه كما تقولين؟

(دعجاء): ماذا تقصدين؟

(عانكة): اسمعيني جيداً لأني لن أكرر هذا الكلام مرة أخرى.. العاطفة هي أسوأ شيء يمكن أن تسمحي لها بدخول قلبك عندما

ترغبين في تحقيق هدف ما.. تلك (الوقية) قتلت الكثير وكانت ستقتل أكثر لو أنها استطاعت الهروب ولو أني ترددت للحظة حتى لأنظر لذلك الطفل لهربت وتسببت في موت عشرات غيره.. علاج المشكلة لا يكون بالبكاء والنحيب على نتائجها بل اقتلاعها من جذورها بأسرع وقت وبأقسى طريقة ممكنة.. هل فهمتِ؟

(دعجاء) وهي تتوقف عن تدليك قدمي (عانكة) وتنزل رأسها: فهمت..

(عانكة) بتجهم: اذهبي للسوق وأحضري لي قماشاً أبيضاً من بائع الأقمشة وأخبريه أني سأعطيه المال لاحقاً.. تحركي!!

نهضت (دعجاء) بسرعة وخرجت من المنزل وهي مستاءة وتدمع من غضب عمتها عليها لأنها كانت أول مرة تغضب فيها (عانكة) وتوبخها بهذا الشكل. عادت (دعجاء) من السوق بعد ساعة ودخلت للمنزل وهي تحمل القماش الأبيض لتجد عمتها نائمة في مكانها فاقتربت منها وغطتها بالقماش الأبيض الذي أحضرته وبعد تغطيتها لها تحدثت (عانكة) وعيناها مازالتا مغمضتين وقالت:

هذا الغطاء ليس كفني كي تغطيني به..

سحبت (دعجاء) الغطاء وهي تقول: آسفه يا عمة.

نهضت (عانكة) وجلست تراقب (دعجاء) وهي تقوم بطي قطعة القماش وتبكي..

(عانكة) ببرود: لا تبللي القماش بدموعك.

(دعجاء) وهي تضع القماش جانباً وتجلس عند قدمي (عانكة): آسفة..

(عانكة) تحدق بـ(دعجاء)...

(دعجاء) وقد توقفت عن البكاء لكن الحزن يعلو وجهها:

هل ترغبين مني بدعك قدميك يا عمة؟

(عانكة) وهي تبتسم: لا.. تعالي واجلسي بجانبي.

نهضت (دعجاء) وجلست بجانب (عانكة) بصمت..

(عانكة) وهي تمازح (دعجاء): من الغاضب الآن أنا أم أنتِ؟

بدأت (دعجاء) تبكي بقوة كالأطفال وحاولت أن تغطي وجهها لتمنع دموعها من النزول لكن ذلك لم يزدها إلا بكاءً ونحيباً..

(عانكة): لقد تذكرت أباك أليس كذلك؟

(دعجاء) تستمر في البكاء ولا ترد على (عانكة)..

(عانكة) وهي تبتسم وتحتضن (دعجاء): كنت أنتظر اليوم الذي تعبرين فيه عن حزنك المكبوت على فراق أهلك لكنك تأخرتِ كثيراً.

لم ترد (دعجاء) واستمرت في البكاء في حضن (عانكة) حتى نامت..

استيقظت (دعجاء) في اليوم التالي ووجدت نفسها في حفرة في الصحراء وعلى وجهها مادة لزجة وأحست بلزوجة جسدها أيضاً تحت التراب فارتبكت في البداية لكنها أحست بالاطمئنان عندما

رأت (عانكة) نائمة بجوارها. كان الوقت فجراً والشمس على وشك الإشراق فحاولت (دعجاء) الخروج من الحفرة لكنها لم تستطع فبدأت بمناداة (عانكة) حتى أيقظتها.

(عانكة) وهي تجلس وتتثاءب: هل تشعرين بتحسن الآن؟

(دعجاء): ما الذي يحدث؟ لماذا وضعتني في الأرض هكذا؟ وما هذه المادة التي تغطي وجهي؟

(عانكة) وهي تخرج فاكهة من حقيبتها الجلدية وتقضم نصفها:

هذا معجون تين الشوك..

(دعجاء): ولماذا غطيتِ وجهي به؟

(عانكة) وهي تمضغ التين في فمها: ليس وجهك فقط بل جسدك كله.. لقد أصبتي بالحمى الشديدة بالأمس وهذه أسرع طريقة لعلاجها.

(دعجاء): ومتي سأخرج من هذه الحفرة؟

(عانكة) وهي تخرج مضغة التين من فمها وتدسها في فم (دعجاء): عندما تتناولين هذه.

(دعجاء) وهي تبصق مضغة التين: ما هذا يا عمة؟!.. ما هذا القرف؟!

(عانكة) وهي تمد مضغة أخرى: هذا القرف هو علاجك فلا تتبجحي.

(دعجاء) وهي تبصق المضغة الأخرى: لا أريد هذا العلاج المقرف!

(عانكة) وهي تخرج ثمرة أخرى من حقيبتها الجلدية وتقضم

نصفها: لا أملك الكثير من التين ولو نفذت سأذهب لإحضار غيرها وسأتركك وحدك هنا.

(دعجاء) بقلق: لا لا أرجوك لا تتركيني وحدي وخاصة في هذا المكان!

(عانكة) وهي تدس مضغة من التين في فم (دعجاء):إذاً تناوليها واصمتي.

بدأت (دعجاء) تلوك المضغة في فمها وهي تتقزز و(عانكة) تراقبها وتبتسم وتجهز المضغة الثالثة..

***

الهندباء

(عِمرة): لماذا توقفتِ يا عمة عن إكمال القصة؟

(دعجاء): لقد راودني تساؤل..

(عِمرة): ما هو؟

(دعجاء): لماذا لم تقرفي مثلي من التين الممضوغ عندما أطعمتك إياه؟

(عِمرة) بتوتر: لأن الأعشاب الممضوغة طريقة للعلاج في قبيلتنا وهو أمر أعتدت عليه.

(دعجاء): لا أعرف لماذا لا أصدقك.

(عِمرة) بتوتر: لم تكملي لي القصة يا عمة.

(دعجاء) وهي تنهض: لنخرجك من تلك الحفرة أولاً.

خرجت (عِمرة) من الحفرة وطلبت منها (دعجاء) الاستحمام بما تبقى من ماء القربة، وبعد انتهاءها قالت: لقد أشرقت الشمس يا عمة.

(دعجاء) وهي تنظر للشمس في الأفق: نعم.. يجب أن نتزود مرة أخرى بالماء والزاد.

(عِمرة): سأذهب مع (شَبَث)

(دعجاء): لا.. فأنتِ لم تستعيدي عافيتك بالكامل.

(عِمرة): وأنتِ لم تستعيدي القدرة على استخدام طلاسمك بعد، والمسيرة نحو البئر طويلة.

(دعجاء) وهي تبتسم: هل تقصدين أني عجوز ولن أحتمل مشقة الطريق؟

(عِمرة) وهي تبتسم بوجه صارم: نعم.

(دعجاء) وهي تضحك: حسناً يا أفعى لا تقلقي وادخلي الخيمة وخذي قسطاً من الراحة وسوف أتصرف.

(عِمرة): أرجوك يا عمة لا تذهبي.

(دعجاء) وهي تبتسم: أعدك بأني لن أتركك ولن أبرح هذا المكان بدونك.

ابتسمت (عِمرة) ودخلت الخيمة ونامت ولم تستيقظ إلا بعد وقت طويل جداً، فعندما خلدت للنوم كان النهار في اوله ولم تستيقظ إلا أول الليل، فنهضت بثقل وخرجت من الخيمة لتجد (دعجاء) جالسة أمام النار تقلب فيها بعصا، اقتربت (عِمرة) وجلست بجانب عمتها وهي تقول: لقد نمت كثيراً..

(دعجاء) وهي تُقلب العصا على النار: جسدك كان يحتاج للراحة بعد علاجك.

(عِمرة): ما هذا الشيء الذي تقلبينه في النار؟

(دعجاء) وهي تبتسم: عشاءك.

(عِمرة): عشائي؟

(دعجاء): نعم فأنتِ تحتاجين بعض اللحم لتستعيدي عافيتك بالكامل.

(عِمرة) وهي تتمعن في الشيء المغروس في العصا التي كانت (دعجاء) تقلبها في النار: ما هذا الحيوان؟.. هل هو طائر؟

(دعجاء) وهي تسحب العصا من النار وتأخذ قضمة من الشيء المغروس فيه:

لقد نضج الآن..

(عِمرة): من أين حصلتِ عليه؟

(دعجاء) وهي تمد العصا لـ(عِمرة): تناولي عشاءك بصمت:

أخذت (عِمرة) العصا وبدأت تحدق بالحيوان الذي كان مغروساً فيه..

(دعجاء): قربة الماء ممتلئة إذا رغبتِ ببعض الماء.

(عِمرة): كيف أحضرتِ كل هذا؟.. هل نكثتِ وعدك لي وخرجتِ لإحضارها؟

(دعجاء): لا.

(عِمرة): كيف حصلتِ عليها إذاً؟

(دعجاء) وهي تبتسم: مفعول الحناء بدأ يزول واستطعت استخدام بعض طلاسمي البسيطة.

(عِمرة) وهي مبتهجة: صحيح؟!

(دعجاء): نعم.. أيام قليلة وسيزول أثرها بالكامل وسنخرج من هذا المكان وأعيدك لقبيلتك.

ظهرت ملامح الحزن على وجه (عِمرة) بعدما سمعت كلام (دعجاء) وقالت:

هل ستتخلين عني يا عمة؟

(دعجاء): سأحافظ عليك حتى أعيدك لأهلك.

(عِمرة): ليس لدي أهل سوى أبي ولا املك أخوة.

(دعجاء): وماذا عن أمك؟

(عِمرة) بوجه حزين: لا أعرف عنها شيئاً.

(دعجاء): قبيلتك لن ينسوك وسيرعونك.

(عِمرة): لكني أريد البقاء معك.

(دعجاء): لنتحدث في هذا الأمر لاحقاً.

(عِمرة) بغضب: لا!.. سنتحدث فيه الآن!

(دعجاء) وهي تبتسم: حسناً يا أفعى أكملي ضفائري وسأفكر بالأمر.

نهضت (عِمرة) وهي تبتسم بحماس وبدأت بتجديل ضفيره (دعجاء) الرابعة وهي تقول: هل ستكملين لي القصة الآن؟

(دعجاء): تقصدين قصة (الوقية)؟

(عِمرة): نعم.

(دعجاء): لا أعرف ما الذي حدث لأن العمة بعدما أخرجتني من الحفرة أخذتني للمنزل وطلبت مني النوم وعندما استيقظت سألتها عن موعد رحيلنا للمدينة التي تسكن فيها (بنون) للتخلص من (الوقية) فأخبرتني أنها انتهت من الأمر خلال نومي.

(عِمرة): وهل أسعفها الوقت؟

(دعجاء): لقد نمت نهاراً كاملاً وكان هذا وقت كافياً كي تذهب العمة وتعود.

(عِمرة): ولماذا لم تأخذك معها؟

(دعجاء): لم تخبرني بالسبب.. كل ما أعرفه أنها استخدمت ذلك الخاتم الذي وجدته في تلك الغرفة وكذلك القماش الأبيض.

(عِمرة): وكيف عرفتِ؟

(دعجاء): لأنها عادت بقطعة القماش وهي ملطخة بالدماء وطلبت مني أن أضعها في تلك الغرفة بعدما وضعتها في صندوق من الخشب.

(عِمرة): أعتقد أن تلك الدماء كانت دماء (الوقية).

(دعجاء): نعم فالعمة دائماً ما تأخذ أثراً من كل مهمة تنجزها.

(عِمرة): وماذا حدث بعد ذلك؟

(دعجاء): أمضيت معها بضع سنوات وخلال تلك السنوات بدأت

بتعليمي بعض فنون السحر وكانت تأخذني معها في كل مهمة تقوم بها لكنها لم تسمح لي بالمشاركة معها قط.

(عِمرة): لماذا؟

(دعجاء): كانت تقول بأني لست مستعدة بعد بالرغم من أني تعلمت الكثير منها حتى أنها أصرت على تعليمي القراءة وبعض الخط.

(عِمرة): ومتى شاركتها أول مرة؟

(دعجاء): عندما أكملت السادسة عشر من عمري تقريباً.. كنا مسافرين لأن العمة كانت تريد زيارة أحدى الساحرات في أقصى الجنوب قالت بأنها صديقة قديمة لها واشتاقت لرؤيتها.. استغربت من ذلك لأني لم أكن أعرف أن للعمة أصدقاء تشتاق لرؤيتهم.

(عِمرة): وهل كانت مشاركتك بعد وصولكم لتلك الصديقة؟

(دعجاء): لا فقد واجهتنا مشكلة في الطريق قبل وصولنا.

(عِمرة): أي مشكلة؟

(دعجاء): اتخذت العمة طريقاً نحو الجنوب قادنا لمنطقة ساحلية لفترة وجيزة وخلال مرورنا بتلك المنطقة توقفت عند مجموعة من الصيادين.. أعتقد أنها كانت تعرفهم من قبل:

(عانكة) وهي تقترب مبتسمة من صياد يفك العقد من شبكة صيده: كيف حالك يا (يثع)؟

(يثع) مبتهجاً ومسروراً ويرمي شبكته على الأرض: أهلاً بالسيدة

(عانكة)! أي ريح طيبة أتت بك إلى أرضنا؟

(عانكة) وهي تبتسم: لا تتحدث عن الطيب وأنت في منابته.

(يثع) وهو يمسح يده في لباسه ثم يشير بها لكوخه الصغير أمام الساحل: تفضلي..

(عانكة): لا ، شكراً أتيت للسلام عليك فقط فأنا في طريقي لأقصى الجنوب.

(يثع) بتجهم: تعرفين بأنك لن ترحلي قبل أن تحلي في ضيافتي!

(عانكة) وهي تضحك: أعرف كرمك البغيض يا (يثع).. حسناً سألبي دعوتك وأعرف أن لا خيار لدي.

(يثع) مبتهجاً: سأعد لكِ طعام السمك الذي كنتِ تحبينه لكِ ولأختك.

(عانكة) تضحك بقوة و(دعجاء) تنظر للرجل باستغراب وتقول: أختها؟

(عانكة) وهي لاتزال تضحك: احذري من الرجال هنا فكلامهم معسول وسمهم زعاف.

(يثع) يضحك ويقول: ألم تنسي الماضي؟ قلبك أسود كما عهدته.

(عانكة) وهي تبتسم: حسناً ياصاحب القلب الأبيض خذنا لكوخك.

(يثع): ألا ترغبين في الإقامة في منزلك القديم؟

(عانكة) بحزن: لا فهو يذكرني بماضٍ أليم.

(يثع): هو ماضٍ ولن يعود..

(عانكة) وهي تبتسم: خذنا لكوخك المتهالك قبل أن تغير أختي رأيها.

(يثع) يضحك و(دعجاء) تتجهم..

حل الاثنان ضيوفاً على الصياد (يثع) والذي أكرمهم وترك لهم الكوخ كي يبقوا فيه على راحتهم وطلب من (عانكة) الحضور في المساء عند الشاطيء كي يحتفل بقدومها. خلال تواجد (دعجاء) و(عانكة) في الكوخ للراحة دنت (دعجاء) من (عانكة) وبدأت تدعك قدميها وهي تبتسم بابتسامة خبيثة وتقول:

من هذا الرجل يا عمة؟

(عانكة) وهي سارحة في أمواج الشاطئ المتلاطمة من نافذة الكوخ بابتسامة صغيرة: صديق قديم..

(دعجاء) والابتسامة الخبيثة لاتزال مرتسمة على محياها: قديم إلى أي حد؟

(عانكة) وهي تلتفت على (دعجاء) بابتسامة كبيرة وترفسها رفسه خفيفة على كتفها: أكملي دعك قدمي بصمت.

(دعجاء) تكمل الدعك وهي تبتسم..

في المساء طرق (يثع) باب الكوخ ففتحت له (دعجاء) فابتسمت بخبث عندما رأته متوترا ويقول: أين السيدة (عانكة)؟

(دعجاء) وهي تبتسم بخبث: تقصد أختي؟

(يثع) يضحك ويحك رأسه: كنت أمازحك فقط.

(دعجاء) وهي تضحك: أعرف.. سنأتي عند الشاطيء بعد قليل فلا تقلق.

(يثع) وهي يهم بالرحيل مبتسماً: أنا في انتظاركم عند النار المشتعلة في المكان الذي التقينا فيه اليوم.

(دعجاء) وهي تغلق الباب وتحدث نفسها مبتسمة:

يبدو أني سأستمتع الليلة بهؤلاء العشاق.

دخلت (دعجاء) الكوخ لترى عمتها ترسم بإبرة تحت عينها خطاً أسْوَدًا ورَفيعاً..

(عانكة) وهي تخرج مادة حمراء من حقيبتها الجلدية وتمسح بعضاً منها بخنصرها على شفتيها وخديها: من كان عند الباب؟

(دعجاء) تغطي فمها وتضحك دون أن ترد..

(عانكة) وهي تربط شعرها بخرقة صغيره وتخرج جزءاً من غرتها:

ما الذي يضحكك يا حرباء؟

(دعجاء) وهي تبتسم: لا شيء يا عمة.. لنذهب للشاطئ قبل أن تخمد النار الملتهبة.

(عانكة) وهي تقف وتستعد للخروج: أي نار؟

(دعجاء) وهي تقبل وجنة (عانكة): النار التي أشعلها ذلك الصياد.

(عانكة) وهي تخرج من الكوخ: هيا كي لا نتأخر.

(دعجاء) وهي تغلق باب الكوخ مبتسمة:

وهل يعقل أن أتركك وحدك مع صديقك القديم في ليلة اكتمل فيها القمر؟

وصلت الاثنتان للمكان الذي حدده (يثع) ووجدوا انه قد أعد لهم مائدة امتلأت من خيرات البحر وكانت المائدة معدة لشخصين فقالت (دعجاء): وانا أين سأجلس؟

(يثع) وهو يمد طبقاً فارغاً لـ(دعجاء) ويقول مبتسماً: خذي كل ما تشتهين واجلسي عند الشاطئ واستمتعي بالبحر فالقمر مكتمل الليلة والمنظر خلاب.

أخذت (دعجاء) الطبق من (يثع) بتجهم وعبأته من المائدة التي كانت أمامها وجلست بجانب (عانكة) وقالت: المنظر من هنا اجمل!

ابتسمت (عانكة) وقالت: اتركها فهي لن تبرح مكانها..

جلس (يثع) أمام (عانكة) مبتسماً وطلب منها تناول الطعام..

(عانكة) وهي تتناول الطعام: لم تفقد مهارتك في أعداد الطعام يا (يثع).

(يثع) وهو مبتسم: سعيد لأن الطعام اعجبك.

(دعجاء) بتجهم وفمها مملوء بالطعام: وأعجبني أنا ايضاً!

(عانكة) لـ(يثع): أرى أنك لم تعد طبقك المشهور.

(يثع) وهو يزفر بحزن: البحر لم يعد كالسابق.. أصبحنا لا نصطاد إلا في اماكن محددة وطبقي الذي تتحدثين عنه لا يمكنني إعداده بدون السمكة الحمراء التي اعتدت على اصطيادها من أماكن تكاثرها.

(عانكة) وهي تمازح (يثع): وما الذي يمنعك من إصطيادها؟.. هل كبرت في السن وصرت لا تتحمل مشقة البحر؟

(يثع) مبتسماً: لا أبداً لكن المنطقة التي تتكاثر فيها تلك السمكة بعيدة عن الساحل وأصبحت خطرة بعدما استوطنتها (الهندباء).

(عانكة): عمن تتحدث؟

(يثع): شيطانة اختارت تلك المنطقة كي تسكن كهوفها تحت الماء.. لم يعد الصيادون يذهبون هناك كي لا يقعوا ضحية لها.

(عانكة) باستغراب: شياطين البر لا تسكن البحر.

(يثع) وهو يبتسم ويمد يده للطعام: ومن قال إنها من شياطين البر؟

(عانكة) تتوقف عن الأكل وتحدق بالبحر و(دعجاء) تحدق بعمتها..

(يثع): ما بك؟.. لماذا توقفتِ عن تناول الطعام؟.. ألم يعجبك؟

(عانكة) وسرحانها في البحر ينقطع وتمد يدها للمائدة مبتسمة: على العكس فلم أتناول طعاماً كهذا منذ سنين فكل ماكنت أتناوله كان من طبخ (دعجاء).

(دعجاء) بتجهم: ومابه طبخي يا عمة؟!

(عانكة) تتجاهل كلام (دعجاء) وتوجه كلامها لـ(يثع):

منذ متى بدأت هذه المشكلة؟

(يثع): أي مشكلة؟

(عانكة): مشكلتكم مع (الهندباء)؟

(يثع): لقد حرمتنا من موسمين لصيد السمكة الحمراء.. عامين تقريباً.

(عانكة): وكيف عرفتم أنها شيطانة؟

(يثع): أنا من عرف وأخبر بقية الصيادين وحذرتهم من الاقتراب من تلك المنطقة

(عانكة): كيف عرفت؟

(يثع): عندما بدأنا نفقد بعض زملائنا في تلك المنطقة ذهبت مع مجموعة من الصيادين للتحقق من الأمر لأن كل من كان يذهب هناك لا يعود.

(عانكة) تنصت باهتمام: وماذا حدث؟

(يثع) قبل اقترابنا بمسافة قصيرة من المكان أمرت جميع القوارب بالتراجع والعودة للساحل.

(عانكة): لأنك سمعتها.. سمعت غناءها..

(يثع) بوجه حزين: نعم.. لم أكن أظن سأسمع ذلك الغناء مرة أخرى في حياتي.

(دعجاء) وهي تنظر لـ(يثع) وتوجه كلامها لعمتها: عن أي غناء يتحدث يا عمة؟

(عانكة) وهي تتناول بعض الطعام: غناء (الغرانيق).

(دعجاء): الغرانيق؟.. ماهي (الغرانيق)؟

(يثع) موجهاً كلامه لـ(دعجاء): (الغرانيق) هي إحدى أنواع شياطين البحر.

(دعجاء) لـ(عانكة): وهل هناك فرق بين شياطين البر والبحر يا عمة؟

(عانكة) وهي تنظر لـ(يثع) مبتسمة وتوجه كلامها لـ(دعجاء):

شياطين البحر أشد ضراوة بكثير من شياطين البر و(الغرانيق) مجرد دواب لها.

(دعجاء): دواب؟.. تقصدين كالبهائم عندنا؟

(عانكة): نعم.. لكن صوتها جميل وساحر.

(يثع): جميل حتى تطبق بأنيابها عليك.

(عانكة) وهي تنهض من المائدة: خذني إلى ذلك المكان يا (يثع).

(يثع) وهو يقف: أين؟

(دعجاء) وهي تقف بجانب عمتها: إلى أين سنذهب يا عمة؟

(عانكة) لـ(يثع): خذني إلى (الهندباء).

(يثع) بتوتر: لماذا يا سيدة (عانكة) المكان خطر جداً؟

(عانكة): الخوف لا يتمكن منا إلا إذا قررنا الهروب منه..

(يثع) وهو يرى الإصرار في عيني (عانكة): حسناً.. سنذهب في الصباح.

(عانكة): لا.. بل سنذهب الآن!

(يثع): الآن؟!.. لكن الليل اقترب على الانتصاف والقمر مكتمل و(الغرانيق) تكون في أقوى حالاتها ونشاطها.

(عانكة) وهي تبتسم: حتى تكون لديها فرصة للنجاة.

(دعجاء) تراقب عمتها باستغراب..

(يثع) وهو مغلوب على أمره: هيا بنا إذاً..

(عانكة) وهي تمد لقمة في فم (يثع) وتبتسم: هيا بنا.

(يثع) يبتلع اللقمة ويبتسم..

توجه الثلاثة لقارب (يثع) الذي كان راسياً عند الشاطئ بالقرب منهم. لم يكن القارب صغيراً لكنه لم يكن كبيراً كذلك وكان يتسع لخمسة أشخاص كحد اقصى. بعد ركوبهم حل (يثع) وثاق العقدة التي كانت مربوطة في القارب وشقوا مياه البحر متوجهين للمنطقة التي كانت (الهندباء) تستوطنها. بعد فترة من الابحار تحت ضوء القمر المكتمل رمى (يثع) المرساة وثبت القارب في مكانه فقالت له (عانكة):

هل وصلنا للمكان؟

(يثع) وهو ينظر حوله: هنا كان أكثر ظهور للهندباء.

(دعجاء): وكيف سنعرف إذا ظهرت؟

(عانكة) وهي تفتح حقيبتها الجلدية وتنظر بداخلها: بغنائها.

(دعجاء): ولماذا تغني؟

(يثع): الغرانيق يجذبون طرائدهم من البشر بالغناء لهم.

(دعجاء):...

(عانكة): لقد قتلت الكثير من الغرانيق في حياتي لكني لم أحصل أبداً على مبتغاي منهم.

(دعجاء): وماذا تريدين منهم يا عمة؟

(عانكة) وهي تحدق بالبحر: لسان أحدهم.

(دعجاء): لسان؟

(يثع) يحدق بـ(عانكة) ويبتسم..

بقي الثلاثة ينتظرون في المكان لمدة تجاوزت الساعة ولم يظهر لهم شيء..

(عانكة) لـ(يثع): هل أنت واثق من أننا في المكان الصحيح؟

(يثع): بل متأكد.. أنا لست جديداً على البحر وأحفظ المنطقة جيداً لكن يبدو أنها هاجرت وتركت المكان.

(عانكة) وهي سارحة في سطح البحر الهادئ والخالي من الأمواج:

الغرانيق لا تهاجر من مكانها بسهولة خاصة إذا كانت قد تذوقت فيه دماء البشر.

(يثع): ما الحل إذاً؟

(عانكة) وهي تلتفت على (دعجاء): هل تجيدين السباحة؟

(دعجاء): لا يا عمة فأنا لم أرَ البحر إلا بعد قدومي للحجاز أول مرة.

(عانكة) وهي تدفع (دعجاء) في الماء: جيد.. هذا أفضل وقت إذاً لتعلمها.

سقطت (دعجاء) في الماء وبدأت تخبط بيديها وتصرخ وتستنجد بـ(عانكة) التي وقفت وبدأت تنظر للأفق..

(يثع) وهو يطل برأسه من طرف القارب بهدوء: هل أخرجها الآن؟

(عانكة) وهو تحدق في الأفق بتركيز: لا

(دعجاء) وقد بدأت بالغرق: ساعديني يا عمة!!

(عانكة): وهي تلمح شيئاً تحت ضوء القمر: أخرجها الآن!

مد (يثع): يده في الماء وأخرج (دعجاء) التي استلقت على سطح القارب تسعل بقوة وتتنفس بثقل و(عانكة) فوقها تقول مبتسمة: لقد خرجت (الهندباء)

(يثع): أين؟!

(عانكة) وهي تشير بسبابتها: هناك.. لقد رأيت ذيلها يخرج من فوق سطح الماء للحظات.. لم تستطع مقاومة الرغبة في افتراس شخص يغرق ويستنجد.

(دعجاء) وهي على ظهرها والماء قد بلل شعرها وجسدها بالكامل: هل استخدمتني كطعم لإخراجها؟

(عانكة) وهي تبتسم: وأردت أيضاً تعليمك السباحة.

(دعجاء) وهي تجلس وتعصر شعرها متجهمة: شكراً على اهتمامك يا عمة!

(يثع) لـ(عانكة): ما العمل الآن؟

(عانكة) وهي لاتزال تحدق بالأفق: هي الآن تعرف بأننا هنا ولن تنتظر طويلاً قبل مهاجمتنا..

(يثع) يخرج قطعة من القماش ويمدها لـ(دعجاء) لتجفف نفسها: خذي هذه.

(عانكة) وهي لاتزال واقفة وتحدق بالأفق:

ذيلها كبير بالمقارنة مع بقية الغرانيق الذين رأيتهم من قبل..

(يثع) وهو يدير نظره ويحدق بنفس اتجاه تحديق (عاتكة):

أنا لم أرَها من قبل لكن أحد الصيادين الذين فقدناهم كان يملك سفينة كبيرة وكنا مستغربين أنها غرقت بسهولة عندما وجدنا بعض حطامها عند الشاطئ.

بعد كلام (يثع) بدأ الثلاثة يسمعون غناءً يأتي من مسافة قريبة منهم. كان غناءً جميلاً وبنبرة حزينة لكنه لم يكن باللغة العربية.

(دعجاء): ما هذا الغناء الجميل يا عمة؟

(عانكة) مبتسمة: أنها (الهندباء).

(يثع): ما هذه اللغة التي تغني بها؟

(عانكة) وهي تجلس وتفتح حقيبتها الجلدية: إنها تغني بـ(الأكادية).. يبدو أنها معمرة وليست من الغرانيق الصغيرة.

(دعجاء) وهي في حالة من السرحان: هل أناديها يا عمة؟

(عانكة) وهي تخرج بعض الشمع من حقيبتها وتسد به أذني (دعجاء): ابقي مكانك فقط..

(يثع): صوت غنائها يقترب.. هل تحتاجين مني أي مساعدة؟

(عانكة) وهي تمد بعض الشمع لـ(يثع): ضع هذا في أذنيك وابقَ بقرب الفتاة فقط.

(يثع) وهو يضع الشمع في أذنيه: وأنتِ ماذا ستفعلين؟

(عانكة) وهي تقفز في الماء: انتظروني فقط.

سبحت (عانكة) مبتعدة عن القارب وبالرغم من أن الظلام لم يكن حالكاً بسبب نور القمر المكتمل إلا أن (يثع) فقد أثر (عانكة). بعد فترة وجيزة من اختفائها رأى (يثع) حركة قوية للمياه في الأفق تسببت في أمواج عالية حركت القارب بقوة كادت أن تقلبه.

(دعجاء) وهي تتكئ على طرف القارب بقلق وتنظر في الأفق: ما الذي يحدث؟!

(يثع) وهو يسحب (دعجاء) ويقول بصوت عالٍ بسبب الشمع الذي سد أذانهم:

لا تقتربي من طرف القارب كي لا تقعي!

(دعجاء) بقلق وصوت مرتفع: ماذا عن العمة؟!

(يثع) بصوت مرتفع: لا تقلقي عليها!

استمرت الأمواج بالتلاطم بقوة وكاد القارب أن ينقلب في الماء لولا محاولات (يثع) المستمرة للسيطرة عليه وإبقائه متوازناً بثقل جسده حتى توقفت الأمواج فجأة وعم الهدوء المكان. استمر الهدوء لدقائق فقامت (دعجاء) بنزع الشمع من أذنيها وبدأت تنادي عمتها لكن لم يجبها أحد. نزع (يثع) الشمع من أذنيه أيضاً وبدأ يحدق في الأفق بتوتر. فجأة وبدون سابق إنذار قفز من الماء جسم ضخم جداً غطى بضخامته قرص القمر عندما اعتلى في الهواء وتوسط السماء وكان متوجها خلال هبوطه نحو القارب الصغير فما كان من (دعجاء) في لحظة ارتباك إلا أن قرأت طلسماً أصاب ذلك الجسم الضخم ليسقط مرة أخرى في الماء.

(دعجاء) وهي تنظر من طرف القارب بقلق: يجب ان نبحث عن العمة!

(يثع) يبحث بنظره بقلق وتوتر في البحر..

(دعجاء) وهي تلتفت على (يثع) بعصبية: ما بك؟!.. لماذا تقف هكذا؟!

(يثع) وهو يشير للأفق بتوتر: انظري..

أعادت (دعجاء) نظرها للبحر لترى منظراً صدمها وجعل الرعب والخوف يطبق على قلبها. رأت رأساً كبيراً قد خرج من الماء على بعد يسير من القارب وكان يحدق بهما بهدوء. كان رأساً لشيء مخيف بعدة قرون صغيرة وبعض الخراطيم الجلدية المنسدلة عليه كالشعر وكانت عيناه كبيرتان وواسعة. بدأ ذلك الرأس بالاقتراب منهم دون أن يظهر جسده مما دفع (دعجاء) و(يثع) للتراجع لمؤخرة القارب الصغير وهم مفزوعون. بعد قليل بدأ الاثنان يسمعان صوت الشيء وهو يدق أسفل القارب بدقات خفيفة ومتتابعة توقفت لفترة قصيرة ليقفز بعدها ذلك الرأس على سطح القارب وسط صرخات (دعجاء) وخوف (يثع) الذي نظر للرأس على سطح قاربه ثم بدأ بالضحك عندما رأى (عانكة) تمد يدها من الماء وتقول:

هل يمكن لأحد منكم التحرك ومساعدتي على الصعود؟

صعدت (عانكة) على سطح القارب بمساعد (يثع) وبمجرد صعودها ركلت الرأس الكبير وهي تقول:

لقد كانت تلك الساقطة أقوى مما ظننت..

بدأت (دعجاء) بالبكاء عندما رأت عمتها و(يثع) يقف وهو يضحك ويقول:

ظننت أنكِ أصبحتِ في عداد الأموات!

(عانكة) وهي تجلس بجانب الرأس وتدخل يديها في فكيه وتباعدهما: تتحدث وكأنك لا تعرفني يا (يثع)..

(يثع) وهو ينظر مبتسماً لـ(دعجاء) التي لاتزال تبكي:

يبدو أن فتاتك هي التي لا تعرفك جيداً.

(عانكة) لـ(دعجاء) وهي تنتزع لسان (الهندباء) من بين فكيها وترمي برأسها في الماء: توقفي عن البكاء وأحضري حقيبتي!

نهضت (دعجاء) وهي لاتزال تبكي وأمسكت بالحقيبة وفتحتها أمام عمتها التي رمت لسان (الهندباء) الكبير داخلها وهي تقول: هيا لنعد يا (يثع)!

(يثع) وهو يبستم: حسناً يا سيدة (عانكة).

(عانكة) وهي تبتسم لـ(دعجاء) التي بدأت بالتوقف عن البكاء:

لقد أصبتِ (الهندباء) في مقتل يا (دعجاء).

(دعجاء) باستغراب وهي تمسح دموعها: أنا؟

(عانكة): نعم.. فطلسمك الذي أطلقته عليها أصابها في عينها وهي نقطة ضعفها الوحيدة والتي لم أستطع إصابتها وأنا تحت الماء.

(دعجاء) بوجه محبط: لقد كانت مجرد صدفة.

(عانكة) وهي تبتسم وتهز رأس (دعجاء) بيدها:

لا يوجد صدف في هذه الحياة فقط أقدار مكتوبة وطرق نختارها..

عاد الثلاثة للساحل مع إطلالة الفجر وعند وصولهم شكر (يثع)

(عانكة) لتخليصهم من (الهندباء):

شكراً يا (عانكة) لقد قدمتِ لي ولبقية الصيادين خدمة كبيرة.

(عانكة) وهي تبتسم: في المرة القادمة التي أمر بها من هنا لن يكون لديك حجة كي لا تعد لي طبق السمك الأحمر الذي أحبه.

(يثع): سأعده لك اليوم!.. سأعود حالاً وأصطاد بعضاً منها.

(عانكة) وهي تنظر لـ(دعجاء) التي افترشت الساحل من الإنهاك:

لا.. سوف نكمل طريقنا نحو الجنوب فالفتاة لن تتحمل يوماً آخر هنا.

(يثع): هل سترحلون الآن؟.. لما لا تبقون للراحة في الكوخ فالمكان مكانكم.

(عانكة): لقد أثقلنا عليك بما فيه الكفاية ويجب أن نكمل مسيرنا نحو الجنوب.

(يثع) وهو يبتسم: كما تشاؤون.. رافقتكم السلامة.

(عانكة) لـ(دعجاء): هيا انهضي يجب أن نرحل.

(دعجاء) وهي مستلقية على الأرض ومرهقة جداً: لِمَ لا نرتاح قليلاً يا عمة؟

(عانكة): سنرتاح عندما نصل.

(دعجاء) بكسل وهي ترفع يدها وتضرب بها على رمال الشاطئ:

بَقِيَت مسافة طويلة على وجهتنا يا عمة!

(عانكة) وهي تبتسم: سنستخدم طلاسم الانتقال يا كسولة.

(دعجاء) وهي تنهض بحماس: حقاً؟

(عانكة) وهي تعقد أصابعها: يوماً ما سأعلمك إياها.

(دعجاء) بحماس: أنتظر هذا اليوم بشغف يا عمة!

(عانكة) وهي عاقدة أصابعها وتبتسم: أمسكي بردائي قبل أن أرحل بدونك.

(دعجاء) تقبض على لباس (عانكة) مبتسمة..

انتهت (عِمرة) من الضفيرة الرابعة وجلست بجانب (دعجاء) وهي تقول:

انتهيت من الضفيرة الرابعة!

(دعجاء): جيد..

(عِمرة): ماذا حدث بعد ذلك يا عمة؟

(دعجاء): وصلنا للمدينة التي كانت تقطن فيها الصديقة الوحيدة لعمتي.. استقبلتنا بحفاوة كبيرة وفيما يبدو كانت علاقتها بالعمة قوية وقديمة جداً.

(عِمرة): ومتى عدتم لـ«الحجاز»؟

(دعجاء): عدنا بعدها بثلاثة أشهر تقريباً.

(عِمرة): أمضيتم وقتاً طويلاً هناك.

(دعجاء): نعم فالعمة كانت سعيدة مع صديقتها وأنا كذلك لأني تعلمت منها أشياء كثيرة.

(عِمرة): مثل ماذا؟

(دعجاء) وهي تبتسم وتنظر ليديها: أشياء لا أعرف إذا كنت سأستخدمها مرة أخرى ام لا بسبب هذه النقوش.

(عِمرة): لا تقلقي سيزول أثرها أنا متأكدة ألم تقولي إن أثرها قد بدأ يزول وتمكنتِ من استخدام بعض طلاسمك؟

(دعجاء): نعم ولكن..

(عِمرة): لا تقلقي يا عمة أنا واثقة بأنك ستستعيدين قدرتك بالكامل.

(دعجاء):...

(عِمرة) وهي تبتسم وتمسك بخصلة من شعر (دعجاء): ما زلنا في أول الليل.. هل ترغبين مني بتجديل ضفيرتك الخامسة والأخيرة؟

(دعجاء) وهي تبتسم وتقلب النار أمامها بعصا: وبالطبع تريدين مني إكمال قصتي.

(عِمرة) وهي تبدأ بتجديل الضفيرة الخامسة مبتسمة: هذا هو ثمن تجديلي لها.

(دعجاء) وهي تبتسم: حسناً يا أفعى..

***

الهجرة إلى هجر

أكملت (دعجاء) قصتها مع (عانكة) واستأنفت حديثها بعد انتهاء زيارة (عانكة) لصديقتها وعودتهما من الجنوب لـ«الحجاز»..

خلال السنوات التي تلت ذلك أصبحت (دعجاء) تشارك (عانكة) في كل مهامها وأتقنت معظم أساسيات السحر بالإضافة إلى طلاسم نادرة لكن (عانكة) لم تعلم (دعجاء) أي من طلاسم الانتقال بالرغم من أن بعضها كان بسيطاً وسهلاً خاصة طلاسم الانتقال للمدن التي زارتها (دعجاء) من قبل لكن (عانكة) كانت دائماً ترفض تعليمها إياها. عندما أكملت (دعجاء) عامها العشرين قدمت لها (عانكة) عندما عادا للمنزل من السوق هدية بتلك المناسبة والتي كانت خاتماً جميلاً من الفضة فقالت (دعجاء) بوجه محبط: شكراً يا عمة..

(عانكة) باستغراب: لمَ العبوس؟.. ألم تعجبك الهدية؟

(دعجاء): بلى لكني كنت أرغب بشيء آخر.

(عانكة) وهي تجلس وتزفر: طلاسم الانتقال مرة أخرى؟

(دعجاء): نعم.. لا أعرف لماذا لا تريدين مني أن أتعلمها؟

(عاتكة): وما حاجتك بها؟

(دعجاء): أي ساحرة بسيطة تعرف بعض تلك الطلاسم وأنا لا أجيد أياً منها.

(عاتكة): لم تجيبي على سؤالي.. ما حاجتك بها؟

أنزلت (دعجاء) رأسها ولم تجب على (عاتكة)..

(عاتكة): إذاً كنتي ترغبين بالرحيل وتركي فلا تحتاجين لطلاسم الانتقال يمكن الرحيل منذ اليوم على قدميك.

(دعجاء): لا يا عمة أنا لا أريد أن أتركك أبداً.. لكن..

(عاتكة): لكن ماذا؟

(دعجاء): أمضيت معك ثماني سنوات من عمري وأنا شاكرة جداً على إيوائك لي وعنايتك بي لكني لم أستطع نسيان أهلي.

(عاتكة): هل تظنين أنهم ما زالوا أحياء؟

(دعجاء): ماذا تقصدين؟

(عاتكة): أبوك كان (وصبان بن شرت)، ولو كان ما زال على قيد الحياة لبحث عنك ووجدك.

(دعجاء) وعيناها بدأتا تدمعان: أبي لم يمت، أنتِ لا تعرفين ذلك!

(عاتكة): هل أنتِ حمقاء؟.. هروب زوجة شيخ قبيلة عار لا يغسله إلا الدم.

(دعجاء): دم من؟!

(عانكة): دم أهلك بالطبع.

(دعجاء) وهي تصرخ: أنتِ لا تعرفين ذلك!

(عانكة) وهي تحدق بـ(دعجاء): حسناً.. سنذهب لمضارب تلك القبيلة لتتأكدي بنفسك.

(دعجاء) بخليط من الفرح والدموع: حقاً؟!

(عانكة) وهي تبتسم: نعم يا حمقاء لكن هيئي نفسك لأي خبر سيء قد تسمعينه.

(دعجاء) وهي تمسح دموعها: لا تقلقي فأنا أريد معرفة مصيرهم فقط.

انتقلت الاثنتان بطلاسم الانتقال لنفس المكان الذي وجدت فيه (عانكة) حصان (دعجاء) أول مرة وعند وصولهما قالت (عانكة):

هنا وجدتك ذلك اليوم.. هل تذكرين؟

(دعجاء) وهي تنزل على ركبتيها وتمسك بحفنة من الرمال بقبضتها وتبعثرها في الهواء وتدمع وتبتسم: نعم.. عندما أخذتِ كبد الحصان..

(عانكة) وهي تبتسم بحزن: هل تذكرين من أي اتجاه أتيتِ؟

(دعجاء) وهي تقف وتحدق بالأفق: لا.

(عانكة): أنا أتيت من الشرق وجوادك كان مستلقياً ورأسه باتجاه الجنوب ففي الغالب أنك أتيتِ من الشمال.

(دعجاء): لا أعرف..

(عانكة): لا تقلقي سنعرف مكان القبيلة.

بعد مسيرة دقائق بالاستعانة ببعض الشياطين استطاعت (عانكة) مع (دعجاء) تحديد مكان القبيلة وحطوا خارجها عندما رأوها في الأفق وأكملوا سيرهم نحوها على القدمين. وصلت الاثنتان لمضارب القبيلة وبمجرد دخولها استقبلها بعض أفرادها واستضافوهما دون سؤالهم عن غرض زيارتهم وهذا كان من عادات العرب في التعامل مع الضيوف والمسافرين الذين يمرون بهم. بعد الجلوس مع شيخ القبيلة الذي كان أحد أبناء الشيخ السابق أخبرهم أن أباه قد مات وأن (وصبان) هو من قتله ولحق به بعدما أمطره رماة القبيلة بسهامهم.

كانت (دعجاء) ومنذ دخولها للقبيلة تخفي معالم وجهها بخمارها لأنها لم ترد أن يتعرف عليها أحد، فثماني سنوات ليست بفترة طويلة وقد يتذكرها أحد أبناء أو بنات الشيخ الذي تزوجها. عندما لاحظت (عانكة) استياء (دعجاء) من خبر موت أبيها وتغطيتها لوجهها كي لا يرى الناس دموعها، طلبت من الشيخ أن يسمح لهما بالذهاب والراحة في الخيمة التي خصصت لهما فأذن لهم وأخذت (عانكة) (دعجاء) للخيمة كي تبكي وحدها بعيداً عن مرأى ومسمع الناس.

في تلك الليلة وبعدما أفاقت (دعجاء) من حزنها الذي تحول لغضب قالت: يجب أن أثأر لأبي!

(عانكة) ببرود وهي مستلقية: تثأرين ممن يا حمقاء؟

(دعجاء): من هذه القبيلة التي تسببت في موت أبي وأخي وعمتي!

(عانكة) وهي تتثاءب: وهل ستقتلينهم جميعاً؟

(دعجاء) بعصبية: نعم!

(عانكة): أبوك الذي كان ساحراً متمكناً لم يتمكن من ذلك، ما الذي يجعلك تظنين أنك قادرة على تحقيق مالم يستطع (وصبان) تحقيقه.

(دعجاء): لأنكِ ستساعدينني.

(عانكة) وهي تبتسم: أساعدك؟

(دعجاء): نعم.

(عانكة) وهي تجلس: اسمعي يا (دعجاء) لقد أتيت هنا معك كي يرتاح قلبك وتعرفي مصير أهلك الذي كنت متيقنة منه. أما الحديث عن قتل أبرياء باسم الثأر فلا علاقة لي بذلك.

(دعجاء) بغضب: لا تساعديني إذاً سأقوم بذلك وحدي!

(عانكة): لن تستطيعي.

(دعجاء): ومن سيمنعني؟!

(عانكة) بصرامة: أنا من سيمنعك!

(دعجاء) وهي تنظر بتعجب لـ(عانكة) وعيناها بدأتا تنهمران بالدموع: لماذا؟!.. لماذا يا عمة تمنعيني من الأخذ بثأر أبي كي أرتاح؟!

(عانكة) وهي تصرخ في (دعجاء):

لأنك لن ترتاحي أبداً إذا سعيتِ خلف ثأرك بهذه الطريقة!

(دعجاء) وهي تصرخ باكية في وجه (عانكة):

وما السبيل كي أرتاح من الألم الذي ينهش في صدري؟!

(عانكة) بهدوء وهي تضع يدها على كتف (دعجاء):

بأن لا تطعميه دموعك.. بدلاً من التذمر حاولي تغيير حياتك.

(دعجاء) وهي تبكي: ماذا تقصدين؟

(عانكة): حولي هذا السخط لشيء يقودك للأمام وليس للخلف.

(دعجاء) وهي تقف غاضبة وتهم بالخروج من الخيمة:

أنتِ لا تعرفين معنى أن تفقدي شخصاً عزيزاً على قلبك!!

(عانكة) تراقب (دعجاء) وهي تخرج من الخيمة دون أن تمنعها..

في الصباح عادت (دعجاء) للخيمة ووجدت (عانكة) نائمة فاستلقت خلفها وحضنتها بصمت..

(عانكة) وعيناها مغمضتان: هل قتلتِ أحداً من القبيلة؟

(دعجاء) وهي تبتسم: لا

(عانكة) وهي تبتسم: جيد..

(دعجاء): لنعد لـ«الحجاز»

(عانكة) وهي تبتسم: لننم قليلاً ثم لنرحل آخر النهار..

(دعجاء) وهي تغمض عينيها: حسناً يا عمة.

قبل غروب الشمس استعدت الاثنتان للرحيل وقبل رحيلهما مرت

(عاتكة) وشكرت شيخ القبيلة على استضافتهم لكن (دعجاء) لم تذهب معها وفضلت الانتظار مع الدواب التي زودهما بها أهل القبيلة كمساعدة ظناً منهم أنهما ستعودان عليها. سارت الاثنتان على دوابهما لمسافة حتى ابتعدتا عن مضارب القبيلة وخرجتا عن نطاق نظرهم.

(دعجاء): هل نتوقف الآن يا عمة؟

(عاتكة): لماذا نتوقف؟

(دعجاء): كي نعود لـ«الحجاز» بطلاسم الانتقال؟

(عاتكة): ولِمَ الاستعجال؟.. لا يوجد سبب كي نستخدم الطلاسم الآن.

(دعجاء): كي نصل بسرعة ولا نحس بعناء السفر.

(عاتكة): العناء والجهد والمشقة ليست أموراً سيئة دائماً..

(دعجاء):...

(عاتكة): «الحجاز» تبعد عنا مسيرة شهر.. سوف نقطعها على دوابنا.

(دعجاء) بوجه محبط: كما تشائين يا عمة.

سارت الاثنتان لأيام لم تستخدما فيها طلاسمهم ولو لمرةٍ واحدة وكانتا تتزودان بالماء من الآبار خلال طريقهما كبقية المسافرين، وتتزودان بالزاد من الواحات والقبائل التي كانتا تمران بها. في أحد الأيام نفد الماء ولم تجدا مكانا للتزود به. وقتها أدركت (عاتكة) أن المسافرين الذين يمرون بهذا الطريق يتوجهون لـ«اليمامة» للتزود بالماء

قبل التوجه لـ«الحجاز».

(دعجاء) باستغراب وهي تشاهد عمتها تشد لجام دابتها وتوقفها: لماذا توقفنا يا عمة؟

(عانكة): لا يوجد مكان للتزود بالماء قريب من هنا إلا «اليمامة»

(دعجاء): وهل سندخلها للتزود بالماء؟

(عانكة) وهي تحدق بالاتجاه المؤدي لـ«يمامة»: نحن على بعد مسيرة خمسة أيام منها ولو دخلنا تلك المدينة سيعرف كبار السحرة فيها بأني دخلتها.

(دعجاء): هل تخشينهم يا عمة؟

(عانكة) بغضب: أنا لا أخشى هؤلاء الحمقى لكن ليس من الحكمة دخول منطقتهم!

(دعجاء): ماذا سنفعل إذاً؟

(عانكة) تحدق بالطريق المؤدي لـ«اليمامة» وتفكر بصمت..

(دعجاء): أعتقد أن الوقت الآن مناسب لاستخدام طلاسم الانتقال خاصة وأن دوابنا أصبحت منهكة.

(عانكة): لن أهرب وخاصة من هؤلاء المتغطرسين..

(دعجاء) بقلق: لا تخوضي حرباً لست مجبرة عليها يا عمة.

(عانكة) وهي تشد لجام دابتها وتوجهها نحو طريق «اليمامة»: أنا أخوض هذه الحرب منذ سنين وقد سئمت منها..

(دعجاء) وهي تحرك دابتها وتتبع (عانكة):

أرجوك يا عمة دعينا نبتعد عن هذه المدينة.

(عانكة) وهي متجهمة وعينها على الطريق: هل أنتِ خائفة؟

(دعجاء): لا.. ولكن..

(عانكة): إذاً فلنتوجه لقلب تلك المدينة ونتزود بالماء حالنا كحال أي عربي مسافر وينتمي لهذه الأرض.

بعد مسيرة أربعة أيام باتجاه «اليمامة» ظهرت في الأفق مجموعة كانت متوجهة باتجاه (عانكة) و(دعجاء):

(دعجاء): هناك قافلة تسير باتجاهنا يا عمة.

(عانكة): أنهم يسيرون بسرعه لأن غبار دوابهم يتطاير في الهواء لذا لا أظنهم قافلة.

(دعجاء): ماذا يكونون إذاً؟

(عانكة): ربما مجموعة من الفرسان في مهمة خارج «اليمامة».. تصرفي بهدوء ولا تثيري قلقهم عندما يعبرون بجانبنا.

(دعجاء) بقلق: حسناً..

استمرت الاثنتان بالمسير بدوابهما دون أن تجزعا من الخيول التي كانت تجري نحوهما والتي بدأت بإبطاء وتيرة عدوها عندما أصبحت المسافة بينهم قصيرة..

(دعجاء): لقد أبطأوا من سرعتهم يا عمة.

(عانكة) وعينها تراقب الدواب التي تتقدم نحوهما: لا تقلقي فهذا أمر طبيعي عندما يلمح احدٌ غريباً في طريقه.. أكملي المسير ولا تتحدثي معهم.

(دعجاء) وهي تشد لجام دابتها: حسناً.

أتضحت معالم المجموعة التي كانت تقترب منهم وهي مجموعة من الفرسان كما خمنت (عانكة) وكان يتقدمهم رجل ضخم ملثم بوشاح أصفر ويحمل خلفه قوس كبير ومجموعة من السهام. عندما مر الفرسان بجانب (عانكة) و(دعجاء) مروا وهم يحدقون بهن دون التحدث معهن وكان قائدهم ذو الوشاح الأصفر يحدق بحدة في (عانكة) لكنها لم تلتفت إليه وأكملت المسير وبعد تجاوزهم بمسافة قصيرة شد لجام فرسه وبدأ بالسير خلفهم مع فرسانه ببطء.

(دعجاء) وهي تنظر خلفها وتهمس لـ(عانكة): إنهم يتبعوننا يا عمة.

(عانكة) وهي تحدق بالطريق أمامها دون اكتراث: لا تلقي لهم بالاً.

(دعجاء) وهي تخطف نظرة أخرى خلفها: كيف عرفوا بقدومنا؟

(عانكة) وهي تبتسم: لقد نسيت أمر (الزرقاء).

(دعجاء): (الزرقاء)؟

(عانكة): نعم.. (زرقاء اليمامة) فهي الوحيدة التي تستطيع رؤية مسيرة ثلاث أيام ويبدو أنها حذرت كبار سحرة «اليمامة» بقدومي.

(دعجاء): وكيف تعرفت عليك.

(عانكة) وهي تبتسم: هي تعرفني تمام المعرفة لكني لم أعتقد أن تلك العجوز مازالت على قيد الحياة.

(دعجاء): وما العمل الآن؟

(عانكة): الشخص الملثم باللثام الأصفر هو (آدم).

(دعجاء) بتوتر: المرتزق الذي قلتِ أنه كرَّس حياته لقتل الساحرات؟

(عانكة): نعم هو بعينه.

(دعجاء): وهل سننتظر حتى ينقض علينا؟

(عانكة): لن يهاجمنا الآن.

(دعجاء): كيف تعرفين ذلك؟

(عانكة): لقد حدد هويتي لكنه لم يحدد هويتك ولن يخاطر بالهجوم علينا فهو في النهاية مجرد رجل وحيد.

(دعجاء): وحيد؟.. ماذا عن الفرسان الذين يسيرون معه؟

(عانكة): يعرف بأن لا قيمة لهم في نزال أمامي.

التفتت (دعجاء) عندما سمعت صوت خبيب الخيل خلفها وقالت: أنهم يبتعدون يا عمة..

(عانكة) وهي تلتف وتشاهد (آدم) مع فرسانه يرحلون: لن يبتعدوا كثيراً.

(دعجاء) بوجه قلق: لنعد لـ«الحجاز» يا عمة أرجوك.

(عاتكة) وهي تنزل من دابتها: لوعدت سيقال بأني هربت من المواجهة.

(دعجاء): أي مواجهة؟.. لقد رحلوا.

(عاتكة) وهي تجلس على الأرض:

لقد قتل (آدم) الكثير من بناتي ولن أهرب اليوم من مواجهته.

(دعجاء) وهي تنزل من دابتها: إذاً فلتقتليه ولنرحل بسرعة يا عمة.

(عاتكة) وهي تشير أمامها: أشعلي ناراً يا (دعجاء).

أشعلت (دعجاء) النار وجلست أمام عمتها التي كانت تراقب غروب الشمس وعندما حط الليل ظهر وهج نارٍ من بعيد وقد كانت ناراً أوقدها (آدم) وفرسانه فقالت (عاتكة): ألم أخبرك بأنهم لن يرحلوا..

(دعجاء) بقلق: ولماذا نجلس هنا ننتظر هجومهم؟

(عاتكة): عند منتصف الليل سنتخلص منهم جميعاً.

(دعجاء): ولماذا ننتظر كل هذا الوقت؟ لنهجم عليهم الآن وننتهي من تهديدهم لنا!

(عاتكة): لأن (آدم) ليس بشخص عادي ولا يجب أن نتهور في الهجوم عليه.

(دعجاء): تتحدثين عنه وكأنه أقوى ساحر في الدنيا.

(عاتكة): هو ليس بساحر لكنه أخطر من ذلك بكثير.

(دعجاء): ماذا يكون إذاً؟

(عاتكة): رجل لا يغضب أبداً..

(دعجاء): وما علاقة ذلك بكونه خطراً؟

(عاتكة) وهي تحدق بألسنة اللهب أمامها:

الغضب آفة الحكمة وأقصر الطرق للهلاك.. والرجل الذي لا يسمح لمشاعره بالسيطرة عليه هو رجل خطر جداً.

(دعجاء): لقد سألتك سؤالاً عنه قبل سنوات ولم تجيبيني.

(عاتكة): تقصدين سؤالك عن سبب تكريس حياته لقتل الساحرات؟

(دعجاء): نعم.. لماذا يفعل ما يفعل؟

(عاتكة): (آدم) كان مقاتلاً ضمن صفوف جيش بنو جديس لبني (جديس) الموكل بحماية «اليمامة».. كان أفضل رام بين الرماة فقد كانت دقته في الرمي لاتضاهيها دقة أي رامٍ آخر في الجزيرة. كان يستطيع إصابة عين الصقر المحلق في السماء.

(دعجاء): لهذه الدرجة؟

(عاتكة): هذا في شبابه وبداياته فقط فمهارته تطورت كثيراً بعد التحاقه بجيش بني (جديس).. كان مخلصاً لقائد الجيش وكان دائماً يقدم أوامره على نفسه.

(دعجاء): وهل ما زال ضمن صفوف الجيش الآن؟

(عاتكة): نوعاً ما.

(دعجاء): ماذا تقصدين؟

(عانكة): بعد زواج (آدم) ترك الجيش وانتقل شمالاً للعيش في «البتراء» ليكون بجوار أمه لكن وبعد عدة أشهر من استقراره هناك تلقى دعوة من قائده السابق في «اليمامة» للعودة والخروج في مهمة لاغتيال أحد شيوخ بني (حمير) الذين كانوا ومازالوا يحاولون احتلال «اليمامة» لكنهم يفشلون دائماً بسبب (الزرقاء).

(دعجاء): التي ترى مسيرة ثلاثة أيام..

(عانكة): نعم.. وبالرغم أن زوجته كانت حبلى في ذلك الوقت وعلى وشك الولادة إلا إنه استجاب لأمر قائده السابق وخرج لتنفيذ مهمته وترك زوجته في عناية أمه.

(دعجاء): وما الذي حدث بعد ذلك؟

(عانكة): غاب (آدم) في تلك المهمة مدة وخلالها دخلت زوجته المخاض فجلبت أم (آدم) لها قابلة لتوليدها لأن ولادتها كانت متعسرة.. كانت تلك القابلة إحدى بناتي الذين تتلمذوا على يدي في السابق وهن يمتهن تلك المهنة لطلب الرزق أحياناً ولكسب ثقة الناس لكن المرأة وطفلها ماتوا ولم تستطع القابلة إنقاذهم.

(دعجاء):...

(عانكة): عاد (آدم) بعد أسابيع من موت زوجته وابنه وفجع بخبر وفاتهم وعندما سأل أمه عن سبب موتهم أخبرته بأن القابلة التي أحضرتها لتوليد زوجته هي السبب

(دعجاء): وهل كانت القابلة مذنبة فعلاً؟

(عانكة) وهي تبتسم: بالطبع لا لكن الناس لا يقبلون فكرة حدوث السوء مثل الخير ويبحثون عن تبرير دائماً، وابنتي المسكينة كانت كبش الفداء لسخط (آدم).

(دعجاء): وماذا فعل؟

(عانكة): قتلها بكل برود ولم تدافع عن نفسها لأنها لم ترَ السهم الذي اخترق قلبها ولا الذي أطلقه.

(دعجاء): وما دخل هذه القصة في مطاردته للساحرات؟

(عانكة): بعد موت زوجته لم يطق (آدم) البقاء في المدينة وتركها وعاد لـ«اليمامة» لكن أمه لم تعد معه وبقيت في «البتراء» وعند عودته استقبله قائد الجيش بسعادة كبيرة لأنه استعاد أفضل رماته ولكن (آدم) لم يكن مهتماً أو راغباً في الالتحاق بالجيش مرة أخرى لذا قدمه قائده لكبار سحرة «اليمامة» عندما سمعوا ببراعته في الرماية وحاولوا تجنيده ليعمل كقاتل مأجور لهم ولكنه رفض أيضاً لكن خبثهم مكنهم من استغلال قصة موت زوجته وحزنه عليها لتبرير رغبتهم في القضاء على الساحرات بعدما أخبروه أن القابلة التي ولّدتها كانت ساحرة ومن المؤكد أنها قتلتها عمداً.

(دعجاء) وهي تلتفت إلى النار البعيدة منهم: ما زلت لا أفهم سر كره سحرة «اليمامة» للساحرات..

(عانكة): مشكلة بعض البشر أن رغبتهم في تغيير غيرهم تفوق رغبتهم في تغيير أنفسهم..

(دعجاء): وهل اقتنع (آدم) بتلك القصة التي أخبروه بها؟

(عانكة): لو لم يقتنع لما قتل حتى الآن عشرات الساحرات بأنصال سهامه وتناول أكبادهن..

(دعجاء) بتعجب: أكبادهن؟

(عانكة): نعم.. بعض العرب يؤمن بأن تناول كبد عدوه يطفئ نار الانتقام من قلبه

(دعجاء): لا يبدو أن ناره خمدت..

(عانكة): ولن تخمد أبداً إلا عندما تخرج روحه اللعينة.

(دعجاء): وماذا سيستفيد من قتل الساحرات؟.. هذا لن يعيد زوجته وابنه.

(عانكة): اليأس يا ابنتي يمكنه أن يحول الحمل الوديع لوحش كاسر.. هذا الرجل يريد أن يموت لكنه لن ينتزع روحه بيده وأنا سأساعده اليوم على ذلك.

(دعجاء): وكيف ستفعلين ذلك يا عمة؟

(عانكة): أنا لست قلقة على نفسي أنا قلقة عليك.

(دعجاء): علي؟

(عانكة): لو قرر توجيه سهامه نحوك فلن يخطئك..

(دعجاء): أنا مستعدة للموت!

(عاتكة) مبتسمة:

الجبناء فقط هم من يستسلمون للموت لأن قرار الحياة يتطلب شجاعة أكبر..

(دعجاء) تنزل رأسها ولا ترد..

(عاتكة) وهي ترفع رأسها قليلاً وتستنشق الهواء: أشم رائحة دخان.. يبدو أنهم أخمدوا نارهم.. أخمدي نارنا وخذي حذرك.

وقفت (عاتكة) وبدأت تتفحص الأفق المظلم بنظرها بحذر و(دعجاء) تقف بجانبها بتوتر وبعد ثوانٍ دفعتها (عاتكة) بسرعة على الأرض ليمر سهم خاطف ويخدش ذراع (عاتكة) وينغرس في الرمال حيث كانت تقف (دعجاء). صرخت (عاتكة) وقالت: ابتعدي واختبئي بعيداً عن هنا!

جرت (دعجاء) بكل قوتها مبتعدة عن (عاتكة) وخلال جريها سمعت عدو الخيول خلفها وماهي إلا دقائق حتى حاصرها خمسة فرسان مسلحين بسيوف كبيرة نزلوا من دوابهم وحاصروها. في ذلك الوقت كانت (دعجاء) متمكنة من بعض الطلاسم ولم تتردد في استخدامها على الفرسان فسقط منهم ثلاثة لكن أحد المتبقين استطاع إصابتها بضربة قوية على كتفها جعلتها تصرخ وتسقط من الالم. حاصر الفارسان المتبقيان (دعجاء) وهي تنزف على الأرض والسيف الذي أصابها ما زال مغروساً ومرتكزاً في كتفها فرفع الفارس الذي

كان لايزال يحمل سيفه سلاحه لضرب (دعجاء) وقبل أن يهوي به تحول مع صاحبه لغبار تطاير مع الريح.

بقيت (دعجاء) على الأرض تنزف وتتألم لكنها حاولت الوقوف للبحث عن عمتها وبمجرد وقوفها خرت قواها وسقطت مرة أخرى لتمسك بها (عاتكة) وتقول:

أبليت بلاءً حسناً يا ابنة (وصبان)..

(دعجاء) وهي تبتسم بتعب وتثاقل وتضع يدها على خد (عاتكة):

أنتِ بخير.. أنتِ بخير..

(عاتكة) وهي تجلس بثقل وتُجلس (دعجاء) في حجرها:

وهل كنتِ تظنين اني سأموت بهذه السهولة؟

(دعجاء) وهي تنظر بعينيها اللتين بدأتا تفقدان الوعي لذراع (عاتكة): لقد أصبتِ يا عمة..

(عاتكة) وهي تنظر لجرحها: خدش بسيط لا تقلقي.. المهم أننا انتهينا من ذلك الرامي.

(دعجاء) بقلق: أين هو الآن؟

(عاتكة) مبتسمة: أرسلته للقاء زوجته وابنه.

(دعجاء) تبتسم وتفقد الوعي وهي تسمع (عاتكة) تردد طلاسم الانتقال..

استيقظت (دعجاء) في منزلهم في «الحجاز» وتبسمت عندما رأت نور

الشمس يخترق النافذة وينير قلب المنزل. جلست بصعوبة ولم تجد (عانكة) حولها فقالت في نفسها: يبدو أن العمة ذهبت للحانوت..

كشفت (دعجاء) عن كتفها لتفقد جرحها فوجدته ملفوفا ومطببا بمادة خضراء وقد التأم معظمه. نهضت من مكانها وذهبت لشرب بعض الماء من القربة التي كانت بالقرب من باب الغرفة الصغيرة وعند وصولها سمعت صوت سعال يأتي من داخلها ففتحت الباب بحذر لتجد (عانكة) تتوسد أحد الجدران وتسعل بقوة. هرعت (دعجاء) نحو عمتها وأبعدت بعض القوارير الفارغة التي كانت تحيط بها لتجدها في حالة من الدوار وكأنها ثملة فقالت وهي تهز قدميها: ما بك يا عمة؟!

(عانكة) وهي تفتح عينيها بصعوبة وتضع يدها على خد (دعجاء) وتبتسم:

لم ألاحظ من قبل أن عينيك جميلتان يا (دعجاء)..

(دعجاء) وهي تدمع وتضع يدها بقلق على كتف (عانكة) وتهزه:

ما بك يا عمة؟!.. تبدين متعبة جداً!

(عانكة) وهي ترفع أحد القوارير الفارغة التي انتشرت حولها:

لم أستطع أن أجد الترياق..

(دعجاء) بقلق: ترياق لماذا؟!

(عانكة) وهي تضع القارورة الفارغة وتغمض عيناها:

للسم الذي كان على نصل السهم..

(دعجاء) وهي تبكي: أخبريني أين هو وسأحضره لك!

(عانكة) وهي تفتح عينيها وتحدق بـ(دعجاء) بفم مفتوح يسيل منه بعض اللعاب: انصتي لما سأقوله لكِ جيداً..

(دعجاء) تهز رأسها بالموافقة والدموع تنهمر من عينيها..

(عانكة): والي «هجر» مدين لي وسوف يؤويك إذا أخبرته أنكِ مرسله مني.. أخبريه أن (عانكة) تطلب رد صنيعها لك بإيوائي.

(دعجاء) وهي تبكي بحرقة: ماذا تقولين يا عمة؟!.. أنا لن أتركك أبداً!

(عانكة) بغضب ولسان ثقيل: لا تقاطعيني وأنصتي!

(دعجاء) تبكي بحرقة وتنصت إلى الحديث..

(عانكة) وهي في سكرات الموت: لا تدفنيني.. اجمعي كل حاجيات الحانوت وأحضريها هنا ثم أحرقي المنزل بالكامل وأنا بداخله.. هل فهمتِ؟

(دعجاء) وهي تمسح أنفها المبتل بالدموع: لماذا يا عمة؟

(عانكة) وهي تتقيأ بعض الدم: لا يهم أن تعرفي السبب المهم أن تفهمي وتنفذي..

(دعجاء) وهي تبكي وتبدأ بتدليك قدمي (عانكة): ستكونين بخير، لا تقلقي!

(عانكة) تحدق أمامها دون أن ترد على (دعجاء)..

(دعجاء) تبكي بحرقه وتستمر في دعك قدمي (عانكة)..

خرجت روح (عانكة) بعدها بدقائق لكن (دعجاء) استمرت بدعك قدميها وهي تبكي لمدة طويلة حتى أدركت أن عمتها ماتت فتوقفت عن دعك قدميها وعانقتها وبدأت بالنحيب بصوت مرتفع.

(عِمرة) وعيناها تدمعان: لقد انتهيت من الضفيرة الخامسة يا عمة.

(دعجاء) وهي تمسح دموعها: جيد..

(عِمرة) تجلس بجانب (دعجاء) بحزن وتقول: وماذا فعلتِ بعدها يا عمة؟

(دعجاء) وهي تزفر بحزن:

نفذت وصيتها الأخيرة وأحرقت المنزل وهي بداخله بعدما جمعت كل ما كان في الدكان في تلك الغرفة الصغيرة وتوجهت بعدها لـ«هجر» مع أول قافلة متوجهة لها وعينني الوالي هناك مساعدة له بمجرد سماعه اسم العمة وأنني أتيت من طرفها وبتوصية منها وبعد سنة فقط أصبحت من كبار مستشاريه ووقتها عرفت بـ(دعجاء هجر).

***

الحُر الأدهم

وصلت قافلة الأمير الصغير إلى مضارب قبيلة أبيه وهو بصحبة (نافجة) و(غُرير) وعند دخولهم إليها كان في استقبال الأمير حشد من أفراد القبيلة المعزين بوفاة أبيه والمباركين والمحتفلين بتوليه زمام القيادة والمشيخة من بعده وكان من ضمن الحشود أعمامه الثلاثة الذين لم يستطيعوا إخفاء استيائهم من وصوله خلف ابتساماتهم المصطنعة.

(نافجة) وهي تراقب المشهد من فوق بغلتها: الاستياء ظاهر على أعمامه.. لقد ميزتهم من ملامح وجوههم التي تظهر الكره لذلك الفتى.

(غُرير) وهو يراقب المشهد مع (نافجة): لا تقلقي فلن تشرق عليهم شمس الغد.

(نافجة) وهي تلتفت على (غُرير): هل ستقتلهم جميعاً دفعة واحدة؟

(غُرير) وهو ينزل من دابته: نعم.

(نافجة) وهي تعيد نظرها لحشود القبيلة التي بدأت تسوق الأمير لزيارة قبر أبيه:

ألن يثير ذلك الشكوك؟

(غُرير) وهو يربط دابته: هذا هو الغرض من قتلهم دفعة واحدة، وهو إرسال رسالة قوية وصريحة لكل من يفكر بمعاداة الأمير أو التدخل في حقه المشروع في قيادة القبيلة.

(نافجة): وكيف تضمن سلامة الأمير بعد رحيلنا؟

(غُرير): الأمير يحتاج عامين على الأقل كي يشتد ساعده ويحتاج أيضاً أن يتدرب على فنون القتال فهو يافع ولا يجيد أي شيء منها.

(نافجة) وهي تبتسم وتنزل من دابتها: وهل تملك طلسماً لتعليم القتال أيضاً؟

(غُرير): لا لكنني أملك أفضل مقاتل رأيته في حياتي.

(نافجة): ماذا تقصد؟

(غُرير) وهو يقف أمام (نافجة): سوف أعرض عليك اتفاقا وأنتِ مخيرة بقبوله أو رفضه.

(نافجة) وهي تحدق بـ(غُرير): تكلم أنا منصته..

(غُرير): سوف أقتل أعمام الأمير الليلة وأرحل في الصباح وأنتِ ستبقين معه.

(نافجة) باستغراب: أبقى معه؟.. لأي غرض؟

(غُرير): ستوفرين له الحماية وستكوني حارسة له وتعلمينه كل ما تستطيعين من فنون القتال إلى أن يكون قادراً على الدفاع عن نفسه.

(نافجة): تعليم فتى كهذا سيستغرق مدة لا تقل عن خمسة أعوام.

(غُرير): خمسة أعوام إذاً..

(نافجة): ماذا تقول؟.. هل تريد مني أن أمضي خمسة أعوام من حياتي هنا؟

(غُرير): هل تعرفين في أي قبيلة أنتِ؟

(نافجة) وهي تنظر لبعض دواب القبيلة: من وسم الدواب يبدو أنهم يتبعون لـ(الحيادرة).

(غُرير): بل هم قبيلة (الحيادرة) نفسها.

(نافجة): هل تقصد أن ذلك الفتى الصغير هو الآن شيخ قبيلة (الحيادرة) أكبر قبيلة في جنوب الجزيرة؟

(غُرير): ليس فقط في الجنوب إذا قمتِ بحساب القبائل الموالية والمنتسبة لها في جميع أجزاء الجزيرة.

(نافجة) وهي تنظر لمضارب القبيلة وتدرك الفرصة الكبيرة التي وضعت أمامها..

(غُرير): لا تظني أن مهمة إقناع الأمير كانت سهلة لتكوني بجانبه فلولا وصية صاحب أبيه له بأن ينصت لنصائحي لما اقتنع.

(نافجة): معنى ذلك أنك تحدثت معه في الأمر مسبقاً؟

(غُرير): نعم فبعد قتالك مع الجماعة التي كانت تقترب من القافلة خلال الطريق وجدتها فرصة مناسبة للحديث مع الأمير بشأنك خاصة وأنه كان مبهوراً من فروسيتك وقتالك.

(نافجة): الأمراء لا يتخلون عن أتباعهم بسهولة.. ماذا لو رفض الأمير رحيلي بعد أن أنتهي من تعليمه؟

(غُرير): لا تقلقي بهذا الشأن فقد اخذت عهداً منه بأن يسمح لك بالرحيل وقتما تطلبين وهو قد يكون لا يجيد القتال لكنه لن يحنث بوعده.

(نافجة): وما المقابل؟

(غُرير): مقابل؟.. لقد وفرت لكِ مأوى من قطاع الطرق الذين هدروا دمك بلا شك وكذلك بمصاحبة الأمير ستكون قبيلة (الحيادرة) بأكملها ممتنة لك وستصبحين جزءاً منها.

(نافجة) وهي تربط دابتها: هذا عرضك أنت لكنه ليس ما طلبته أنا.

(غُرير): وما الفرق؟

(نافجة): الفرق أنك أنت من اخترت لي وأنا من سيختار الأنسب لي

(غُرير): وماذا تريدين أنتِ في المقابل؟

(نافجة): بالإضافة لما قلته أريدك أن تأتي بعد انقضاء الأعوام الخمسة لأخذي من القبيلة بنفسك.

(غُرير) بسخرية: لماذا؟.. هل تخشين السفر وحدك يا قاطعة الطريق؟

(نافجة): لا.. كي أصبح أنا تلميذة عندك.

(غُرير): تلميذة في ماذا؟

(نافجة): في السحر.

(غُرير): السحر؟.. وما شأن مقاتلة مثلك بالسحر؟

(نافجة): لقد أخذت كفايتي من علم القتال والفروسية وأرغب في تعلم شيء مختلف.

(غُرير): وما حاجتك بهذا العلم؟

(نافجة): عندما تبتلى بالطموح ستفهم معنى الرغبة في التعلم والعمل..

(غُرير): موافق.. بعد خمسة أعوام من الآن سأعود بشرط أن تجعلي من ذلك الأمير أقوى محارب في القبيلة.

(نافجة) وهي تخرج سيفها وتمده أمامها وتحرك نصله يمناً وشمالاً:

لا تقلق سيصبح ذلك الفتى أقوى فارس عرفته جزيرة العرب..

مضت خمسة أعوام وعاد (غُرير) للقبيلة ودخل بدابته مضاربها فجراً واقترب من فارسين كانا يجلسان أمام نارٍ مشتعلة وقال:

أتيت من «اليمامة» لمقابلة الشيخ..

(الفارس الأول) وهو يقف: مرحباً بك سيد (غُرير).

(غُرير) باستغراب: هل تعرفني؟

(الفارس الثاني): القائدة (نافجة) أخبرتنا أنك ستأتي؟

(غُرير): بتعجب: قائدة؟

(الفارس الثاني): نعم.. قائدة جيش (الحيادرة) والذراع الأيمن لشيخنا (حماد).

(غُرير) وهو يبتسم: أين هي الآن؟

(الفارس الأول) وهو يشير بإصبعه: خلف هذا التل مع الشيخ (هماد).

(غُرير) وهو يهم بالتوجه للتلة مبتسماً: شكراً

سار (غُرير) حتى وصل للمكان الذي أشار إليه الفرسان ومع اقترابه من المكان سمع صليل السيوف وعند تجاوزه للتلة رأى (نافجة) تتبارز مع الفتى الذي تغير وتحول من الشيخ هزيل لرجل مفتول العضلات يقاتل (نافجة) بضراوة. بقي (غُرير) يراقبهما مبتسماً حتى توقفا وقالت (نافجة) وهي تمسح العرق عن جبينها مبتسمة: يوماً بعد يوم تقترب من التغلب علي يا شيخ (هماد)!

(هماد) وهو يتنفس بثقل مبتسماً ويغرس سيفه في الرمال:

في مبارزة السيف لا أظن لكن في الرماية ربما.

(نافجة) وهي تضحك: لا تمني نفسك كثيراً!

(غُرير) بصوت مسموع لهما: عمت صباحاً يا شيخ (هماد)!

(هماد) وهو يلتفت على (غُرير) وتختفي ابتسامته: أهلاً سيد (غُرير).

(نافجة) لـ(غُرير) بابتسامة خفيفة وهي تعيد سيفها لغمده: لقد عدت أيها الصُرد.

(غُرير) مبتسماً: عدت كما كان الاتفاق.

توجه الثلاثة لخيمة الشيخ وجلسوا يتحدثون لفترة ولم يتطرقوا لشيء يخص رحيل (نافجة) حتى استأذنت من الشيخ وقالت:

اسمح لي يا شيخ بالذهاب لتفقد تدريبات الفرسان فهم يهملونها إذا لم أكن معهم.

(هماد) وهو يبتسم ويشير بيده لـ(نافجة) بالرحيل..

خرجت (نافجة) من خيمة الشيخ وتركته مع (غُرير) يتحدثان:

(هماد) وعلى وجهه كان الاستياء ظاهراً: متى عقدتم العزم على الرحيل؟

(غُرير) مبتسماً: سوف نرحل حالاً.

(هماد) وهو مهموم:...

(غُرير): ما بك يا شيخ؟

(هماد): أنا في صراع بين رغبتي في بقاء (نافجة) وبين عهدي الذي قطعته لك.

(غُرير): أرى أن (نافجة) أتمت مهمتها هنا.

(هماد): بل قدمت لي ما هو أكثر من ذلك.. لم تكتفي بتعليمي القتال فقط بل قامت بتعليم فرسان القبيلة وتنظيم جيشنا بالكامل وخلال وجودها معنا تمكنا من الانتصار في غزوات لم نكن نحلم بالانتصار فيها.

(غُرير): نعم كانت الأخبار تصلنا بتوسع القبيلة بشكل كبير لكن لم أظن أن الفضل كان يعود لـ(نافجة).

(هماد): بل كل الفضل يعود لها ولن أجحد حقها في ذلك.

(غُرير):...

(هماد): ألا يمكنك إعفائي من ذلك العهد وأعدك بأن أعوضك بكل ما تطلب من المال؟

(غُرير) وهو يبتسم: أفضالك يا شيخ (هماد) علي وعلى عصبة الصرادين لا حصر لها ولو كان الأمر بيدي لوهبتك ما تريد بلا مقابل سوى رضاك.

(همام): في يد من إذاً؟

(غُرير): السيدة (نافجة) هي من يرغب بالرحيل ولم آتِ هنا إلا بناء على رغبتها.

(هماد): الحال الآن تغير وأنا متأكد أنه إذا ماكان الخيار لها سوف تبقى.

(غُرير): الفيصل بيننا هو رغبتها.

(هماد) وهو يصرخ في أحد حراسه: استدعِ السيدة (نافجة) حالاً!

بعد دقائق دخلت (نافجة) على (هماد) وقالت: بماذا تأمر يا شيخ؟

شرح (هماد) الحديث الذي دار بينه وبين (غُرير) ثم قال: أنا لا أثق بأحد غيرك ليبقى معي..

(نافجة) وهي تبتسم: يجب أن تثق بغيري يا شيخ (هماد) فقبيلة كبيرة مثل (الحيادرة) يجب أن لا تقف علي أو عليك يجب أن يشارك الجميع في رفع شأنها..

(هماد): ماذا تقصدين؟

(نافجة): أقصد أن اكتمال تعليمي لك يجب أن يختم بانفصالي عنك.. الطائر لا يبقى في عشه مدى حياته والرضيع لا بد أن يفطم.

(هماد) ينزل رأسه مدركاً أن (نافجة) معها حق..

(نافجة): لقد سلمت زمام الجيش لـ(بارق).

(هماد) ينهض والحزن على وجهه: رافقتكِ السلامة.

(غُرير) يقف ويستأذن بالخروج..

(نافجة) تحني رأسها وتقول: شكراً يا شيخ (هماد) على كل ما قدمته لي..

لم يرد الشيخ وظل يراقب (غُرير) حتى خرج من الخيمة ثم دنا من (نافجة) وعانقها وقال: شكراً لكِ أنتِ..

ابتسمت (نافجة) ثم همت بالخروج وقبل خروجها قال الشيخ: خذي معك مئة من الأبل وخمسين من خيل الفرسان.

(نافجة) وهي تقف عند باب الخيمة مبتسمة وظهرها للشيخ: هل يمكنني أن اقايضها بشيء أخر؟

(هماد): بالطبع.. اطلبي ما تشائين.

(نافجة) وهي تدير نظرها نحو الشيخ: أرغب في سيف وجواد واحد فقط.

(هماد): هما لك.. أيهم اخترتِ.؟

(نافجة): سيفك وجوادك.

(هماد) وهو يضحك ويخرج سيفه من غمده ويرميه تجاه (نافجة):

أنتِ أحق بـ(البتار) مني!

(نافجة) وهي تمسك بسيف الشيخ من قبضته وتتمعن في نصله مبتسمه:

لا تنس الغمد يا شيخ..

(هماد) وهو يتقدم نحو (نافجة) ويمد لها غمد السيف ويقول:

ولا تنسي أن تأخذي (كحلان) من مربطه..

(نافجة) وهي تخرج من الخيمة: وداعاً يا شيخ (هماد).

(هماد) مبتسماً وبصوت خافت: بل إلى اللقاء يا (نافجة)..

رحلت (نافجة) بصحبة (غُرير) بعدما أخذت جواده (كحلان) وتوجها لـ«اليمامة» وخلال الطريق دار بينهم حوار:

(نافجة) مبتسمة: أرى أنك استبدلت بغلتك السابقة.

(غُرير) وهو يضحك: لم أتوقع أن تلاحظي.. الأخرى ماتت قبل عامين.

(نافجة) تبتسم وتكمل المسير..

(غُرير): سيف جميل وجواد أجمل.

(نافجة) وهي تبتسم: بعض الأشياء لا تقدر بالمال.

(غُرير): تقصدين السيف والجواد؟

(نافجة) وهي تنظر أمامها: أقصد دروس الحياة.

(غُرير): ماذا تقصدين؟

(نافجة): لقد علمت الشيخ (همّاد) دروسا كثيرة في القتال والفروسية، لكن كان لابد أن يتعلم معها دروساً اخرى.

(غُرير): مثل ماذا؟

(نافجة): الشيخ (همّاد) شاب شهم وشجاع وفيه من خصال الشيوخ الكثير بالرغم من أنه لم يتربَّ مع أبيه لكنه كان يملك خصله لم أحبها.

(غُرير): ماهي؟

(نافجة): حب التفاخر بما يملك والتعلق بالقيمة أكثر من المضمون.

(غُرير) وهو يبتسم: لذلك أخذتِ أعز ما يملك.. جواده وسيفه.

(نافجة): هذا كان درسي الأخير له وكنت أعرف بأنه لن يرفض أي طلب كنت سأطلبه لأن كرم العرب متأصل فيه لذلك أحببت أن أنتزع منه أكثر شيء كان يشوش ذهنه وهو حبه وتعلقه بـ(كحلان) و(البتار).

(غُرير) وهو ينظر أمامه ويبتسم: ستكون مهمتي شاقة في تعليمك السحر.

(نافجة): لماذا؟

(غُرير): من الصعب الجمع بين عقيدة الفارس والساحر في شخص واحد فكل منهما يسير وفق منهج مختلف.

(نافجة): صعب ولكنه ليس مستحيلاً..

(غُرير): وما اللقب الذي ستختارينه؟

(نافجة): ولماذا أختار لقبا؟

(غُرير): هذا أول درس لك في عالم السحر يجب أن تختاري لقباً غير اسمك هذه قاعدة من قواعدنا.

(نافجة): لنكسرها إذاً.. أنا (نافجة ابنة أملج) بنت مالٍ ونسب منبتي أمي (فيصاء بنت مذحج).. مهدي «هجر» ولحدي أرض الجزيرة وكفني رمل دهنائها الأحمر وضريحي جبال حجازها الشاهقة..

(غُرير) يشد لجام بغلته ويتوقف..

(نافجة): لماذا توقفت؟

(غُرير): لن نذهب لـ(اليمامة)..

(نافجة): هل أفهم من ذلك أنك لن تعلمني من علمك؟

(غُرير) وهو يبتسم: لا أملك من العلم كما تظنين فأنا لا أملك سوى اليسير منه.

(نافجة): لم أرَ أجهل ممن يدعي العلم ولم أشهد أعلم ممن ادعى أنه لم يبلغ من العلم شيئاً..

(غُرير) وهو يبتسم من كلام (نافجة): لو ذهبنا لـ«اليمامة» لن أتمكن من تعليمك ما أريد كما أشاء خاصة أن مهامي مع الصرادين وعهدنا مع كبار سحرة «اليمامة» سيعقيني كثيراً.

(نافجة) وهي تبتسم: الغدر ونكث العهود من شيم السحرة ولست مستغربة.

(غُرير) وهو يدير بغلته: لذلك قررت ترك عصبة الصرادين.

(نافجة) وهي تدير جوادها وتمشي بجانب (غُرير): ماذا تقصد؟

(غُرير) وهو يتمعن في الأفق: سوف أكون مطارداً بقوة لهجر عصبتي لذلك يجب ان نبتعد عن هذه الأرض لأرض يمكننا أن نستقر فيها دون أن يعكر صفونا أحد.

(نافجة): ولماذا أصاحبك وأنت لن تعلمني من علمك؟

(غُرير): لن أعلمك في «اليمامة» لكن خارجها سوف أكرس حياتي لتعليمك كل ما أعرف.

(نافجة): لم أطلب سوى علمك ولم أطلب تكريس حياتك لذلك.

(غُرير) وهو يبتسم: أنا ناهزت السبعين من العمر كم تظنين قد بقى من حياتي؟

(نافجة) تبتسم وتقول: وأين تريد الهجرة أيها الكهل؟

(غُرير) وهو مبتسم: هل زرتِ وادي «سوق» من قبل؟

(نافجة): لا.

(غُرير): هذا الوادي يقع في جنوب شرق الجزيرة وقريب جداً من البحر وكان مأهولاً في السابق لكن الشعوب التي كانت تقطنه هاجرت منه منذ أعوام طويلة بسبب الجفاف وقلة الأمطار التي حولت المكان لمقبرة.

(نافجة): ولماذا نذهب لمكان كهذا؟

(غُرير): تعلم السحر لا يتم في الخيام أو القصور.

(نافجة): وكيف سنعيش بلا ماء؟.. وكم سنمضي هناك؟

(غُرير): لا تقلقي بشأن هذه الأمور ركزي فقط على ما سألقنه لك خلال فترة بقائنا هناك.

(نافجة) وعلى وجهها القلق:...

(غُرير): ما بك؟

(نافجة): لا يمكنني أخذ (كحلان) لمثل هذا المكان فهو لن يتحمل.

(غُرير): بعد أيام سنمر بسوق كبير للدواب يمكنك بيعه هناك.

(نافجة): كيف أبيع شيئاً لا يقدر بمال؟

(غُرير): يقدر بماذا إذاً؟

(نافجة): انس الأمر سوف أفكر في أمر (كحلان) في الطريق.

بعد أيام من المسير مر الاثنان كما قال (غُرير) بسوق كبير للدواب والذي كان تجار الماشية والخيول يتوافدون عليه من كل حدب وصوب من أرجاء الجزيرة.

(غُرير): سوف نتوقف قليلاً هنا لنتزود بالماء والزاد ونكمل المسير بعدها.

(نافجة) تحدق بجموع البشر والدواب الكثيرة..

(غُرير) وهو يبتسم: هل غيرتِ رأيك بشأن بيع (كحلان)؟

(نافجة) وهي لاتزال تحدق بالجموع: لا.. اذهب وقم بما تريد القيام به وسوف التقي بك هنا بعد ساعة.

ضربت (نافجة) بقدميها خصر (كحلان) وانطلقت وسط السوق و(غُرير) سار في الاتجاه المعاكس ليبحث عن مكان للتزود بالماء والزاد لهم ولدوابهم.

خلال تجوال (نافجة) في السوق كان تجار الخيل ومن يفهمون في أصولها وسلالاتها مبهورين جداً بقوام (كحلان) وخطواته الرشيقة والمتناغمة وسواده القاتم الخالي من الغبرة لذا لم يتمالك أحد التجار نفسه وأوقف (نافجة) ووضع يده على رأس (كحلان) ومسح عليه وقال: بكم هذا الأدهم؟

(نافجة) وهي تنظر حولها متجاهلة النظر في عين الرجل المحدق بها: أين سوق النياق؟

شد الرجل بقوة لجام (حكلان) وقال بغضب:

انظري الي وأنا أتحدث معك يا امرأة!!

رفس (كحلان) الرجل بقوة فسقط وهو ممسك ببطنه ويصرخ من الألم..

تجمهر الناس حول (نافجة) و(كحلان) عندما سمعوا صراخ التاجر الذي تحول لسباب عندما نهض لكن (نافجة) لم تعرهم أي انتباه وشدت لجام (كحلان) وتحركت باتجاه سوق الأبل عندما لمحته

من بعيد. شقت (نافجة) سوق الأبل الكبير وهي تمتطي (كحلان) ونظرات الأعجاب به كانت تلاحقه حتى من قبل تجار الإبل والذي كان بعضهم يعرف ويدرك قيمته وأصالة نسله. توقفت (نافجة) عند أحد التجار وأشارت لأحد النياق وقالت: بكم هذه الملحاء؟

(التاجر) وعينه على (كحلان): (الجسور) ليست للبيع.

(نافجة): وجوادي أيضاً فلا تحدق به.

(التاجر) وسرحانه في (كحلان) ينقطع: يمكنك اختيار أية واحدة من القطيع غيرها.

(نافجة) وهي تنزل من على (كحلان) وتقترب من (الجسور) وتمسح على عنقها:

من كان أبوها؟

(التاجر) مبتسماً: (الأحمر ابن هدبان)

(نافجة) وهي لاتزال تمسح على الناقة وتحدق بها مبتسمة: كم بطناً أنجبت أباها؟

(التاجر) بحماس: سبعة بطون أصيلة هل ترغبين أن أذكرها لك؟

(نافجة): لا فأصالتها واضحة للعين.

(التاجر): لكنها ليست للبيع للأسف.

(نافجة): لكن يمكنك أن تقايض بها؟

(التاجر) وهو ينظر لـ(كحلان): هل ستقايضينني بذلك الجواد الأدهم.

(نافجة): لا

(التاجر) بعبوس: إذاً لا تملكين شيئاً يستحق المقايضة!

سحبت (نافجة) (البتار) من غمده ومدته للتاجر وقالت: هل تفهم في السيوف؟

أمسك التاجر السيف وهو مبهور ويداه ترتجفان عندما سمع لحن نصله خلال انسحابه من الغمد وتحول انبهاره لابتسامة عريضة عندما تفحصه وأدرك جودة صنعه وقال وعينه لاتزال على السيف:

(الجسور) لك يا ابنة العرب..

سحبت (نافجة) (الجسور) من لجامها وربطتها في لجام (كحلان) ثم امتطته وسارت مبتعدة عن التاجر..

عندما وصلت (نافجة) وجدت (غُرير) بانتظارها وعندما رأى (الجسور) نزل من بغلته واقترب منها وقال مبهوراً: كيف حصلتِ على هذه الناقة الأصيلة؟

(نافجة): من السوق بالطبع.

(غُرير): لم أكن أظن أن هذا السوق يعرض أمثالها للبيع.

(نافجة) وهي تبتسم: من يمتهن التجارة يبيع أي شيء إذا وجد الثمن المناسب..

(غُرير) وهو يعود لبغلته ويمتطيها ويقبلها:

لكن لا دابة في هذا السوق تعادل قيمة (الخبيبة) عندي.

(نافجة) وهي تشد لجام (كحلان) وتتحرك: لأنك تعرف قيمتها وليس ثمنها..

بعد أقل من أسبوع من المسير بدأت بعض الجبال تظهر في الأفق فقال (غُرير) وهو يشير إليها: انظري.. لقد اقتربنا من «وادي سوق».

(نافجة): جيد فدوابنا تحتاج للراحة.

(غُرير): هل قررتِ الاحتفاظ بـ(كحلان)؟

(نافجة): لا فحاجتي لـ(الجسور) أكبر.

(غُرير): ماذا ستفعلين به إذاً؟

(نافجة): سأطلق سراحه.

(غُرير) بتعجب: تطلقين سراحه؟.. جواد بهذه القيمة تتركينه هكذا؟

(نافجة): لم أجد أثمن من حريته كي أقدمها له..

(غُرير): أنتِ تتعاملين مع دوابك وكأنهم أهلك.

(نافجة) وهي تنظر أمامها دون أن تلفت على (غُرير): لست أنا من قبل بغلته عندما كنا في سوق الدواب حتى (الجسور) استنكرت فعلتك.

ضحك (غُرير) بصوت مرتفع ولم يرد على (نافجة) وأكمل المسير..

عندما وصل الاثنان لمرتفع يُطل على سيلٍ جارف قالت (نافجة):

ألم تقل إن المنطقة جافة؟.. ما هذا النهر؟

(غُرير) وهو يطل من الأعلى: هذا ليس بـ«وادي سوق» وهذا ليس بنهر.

(نافجة): ماذا يكون إذاً؟

(غُرير): هذه المنطقة لها نصيب من أمطار السماء وهذا الماء سيل يمر في الوادي نتيجة لهطولها.

(نافجة) وهي تطل على جريان السيل من الأعلى: لكنه عظيم وكأنه نهر جارف.

(غُرير): هل رأيتِ نهراً من قبل؟

(نافجة): كان أبي يصفها لي عندما كنا في «هجر» لأنه كان يقول دائماً أن عيون «هجر» تتدفق كالأنهار.

(غُرير) وهو يشد لجام بغلته ويبتعد عن حافة المرتفع: تجهزي إذاً يا ابنة العيون المتدفقة لجفاف «وادي سوق».

شدت (نافجة) لجام (كحلان) لتتبع (غُرير) لكن وبمجرد التفاتها ارتكز سهم في خاصرته مما دفعه للصهيل بقوة والوقوف على قوائمه الخلفية لكن فروسية (نافجة) مكنتها من التمسك وتفادي الوقوع من على صهوته. عندما أنزل (كحلان) قوائمه الأمامية بدأ ينزف بغزارة من الجرح. التفتت (نافجة) إلى مصدر السهم لترى تاجر الخيول الذي رفسه (كحلان) في سوق الدواب قبل أيام يقف ومعه مجموعة من الرجال المسلحين وأحدهم ممسك بالقوس المطلق للسهم الذي

أصاب (كحلان). فقدت (نافجة) صوابها ونزلت من على (كحلان) وبدأت تجري بسرعة وغضب نحو التاجر والرجال الذين كانوا معه و(غُرير) يصرخ فيها:

أين تذهبين؟! أنتِ لستِ مسلحة!

لم ترد (نافجة) على (غُرير) وأكملت اندفاعها نحو التاجر وبقية رجاله فأمر التاجر رامي السهام الذي كان معهم بأن يقتل (نافجة) لكن سهامه التي أطلقها لم تكن لتصيبها لأن حركتها في تفاديها كانت أسرع وبعد عدة سهام ارتكزت في الأرض في طريق (نافجة) وصلت إليهم وبدأت بقتلهم وحداً تلو الأخر بيديها المجردتين فتارة تفقأ عين هذا وتارة تقضم عنق الآخر بأسنانها حتى ماتوا جميعاً ولم يبق سوى التاجر الذي خر على ركبتيه يطلب الرحمة. في تلك الأثناء وصل (غُرير) وصرخ في (نافجة) وقال:

توقفي يا (نافجة) فالأمر لا يستحق كل هذا!

(نافجة) وهي تحمل صخرة كبيرة كانت بجانبها وترفعها فوق رأسها وتتنفس بثقل:

حتى العزة تريدون قتلها؟!

أنزلت (نافجة) الحجر على رأس التاجر وبدأت بتهشيمه و(غُرير) يشاهد ما تقوم به وعلى وجهه ملامح عدم الرضا..

لم تتوقف (نافجة) عن توجيه الضربات بذلك الحجر لرأس التاجر

حتى بعد تهشمه بالكامل فقال (غُرير) بهدوء وهو يراقبها: متى ستنتهين؟

رمت (نافجة) الحجر بعيداً وهي تصرخ بقوة: لن أنتهي أبداً مادام هناك ظلم في هذا العالم!

(غُرير) يقف بصمت ولا يرد على (نافجة)..

عادت (نافجة) لـ(كحلان) لتجده قد استلقى عند طرف التلة وكان فيما يبدو في مراحل الاحتضار الأخيرة وعندما رآها بدأ بالتحرك محاولاً الوقوف لكنه لم يستطع..

(نافجة) وهي تجلس بجانب (كحلان) وتمسح على بطنه وتدمع: لا تتحرك.. أعرف بأن كرامتك مجروحة الآن أيها الأدهم لكني سأعالجك وتعود كما كنت شامخاً.

(غُرير) وهو يقف خلف (نافجة) ممسكاً بلجام بغلته ولجام (الجسور): إصابته لا شفاء منها وسيكون طعاماً للسباع.. هيا لنرحل كي نصل للوادي قبل الغروب.

(نافجة) بغضب وصوت مرتفع: هل يمكن أن تصمت قليلاً أيها الصُرد؟!

سحب (غُرير) لجام الدواب وابتعد قليلاً عن (نافجة) التي بقيت بجانب (كحلان) تمسح على ظهره وبطنه وتهمس في أذنه ببعض الكلمات..

بعد دقائق حرك (كحلان) ذيله وحاول النهوض مرة أخرى واستطاع الوقوف لكن أرجله كانت ترتجف. عانقت (نافجة) رأسه وهي تدمع وتبتسم وتقول:

عنيد كما عهدتك أيها الأدهم..

سحب (كحلان) رأسه من عناق (نافجة) بهدوء ثم قام بحركة أشبه بتقبيل لأنفها فتبسمت (نافجة) ثم استدار وقفز من فوق التلة تاركاً (نافجة) خلفه وهي تبكي بحرقه بعدما نزلت على ركبتيها تراقب (كحلان) وهو يهوى إلى قاع الوادي ويسقط في السيل الذي جرفه بعيداً.

جرى (غُرير) مسرعاً لطرف التل ونظر لأسفله وهو يقول مصدوماً:

لماذا قفز؟!

(نافجة) وهي لاتزال على ركبتيها تنظر لأسفل الوادي بعينين دامعتين:

الحُر لا يموت إلا حُراً..

***

الوجه الآخر للقمر

عند منتصف الليل استيقظت (دعجاء) وخرجت من الخيمة الصغيرة تاركة (عِمرة) نائمة وجلست أمامها تحدق بالقمر وتناجي نفسها:

أين أنتن يا بناتي..؟ أي أرضٍ تحملكن وأي سماءٍ تظللكن؟.. لن يهدأ لي بال حتى أجدكن..

خلال مناجاة (دعجاء) لنفسها خرجت (عِمرة) من الخيمة وهي تدعك عينيها من النعاس وتقول: ما بك يا عمة؟.. لمَ أنتِ مستيقظة؟

(دعجاء): عودي للنوم يا صبية..

(عِمرة) وهي تجلس بجانب (دعجاء): هل ما زلتِ لا تستطيعين استخدام طلاسمك؟

(دعجاء): نعم.

(عِمرة): ما حاجتك بها يا عمة؟.. يمكننا الرحيل من هنا لو تزودنا بما يكفي من الماء والزاد فأنا وأبي أتينا سيراً على الأقدام ولم نحتج للدواب فالمسافة إلى قبيلتنا لا تستغرق أربعة أيام من المسير.

(دعجاء): أنا لا أحتاجها للخروج من هنا فقط وإلا لكنت استخدمت (شَبَث) لهذا الغرض فقد امتطيته سابقاً لقطع مسافات طويله في وقت قصير.

(عِمرة): ماذا إذاً؟.. لما تحبسين نفسك في هذا المكان؟

(دعجاء): ربما لأني خائفة.

(عِمرة): خائفة؟.. خائفة من ماذا؟

(دعجاء): من الوجه الآخر للقمر.

(عِمرة): ماذا تقصدين يا عمة؟

(دعجاء): أخبرني حكيم في الماضي أن لكل شيء في هذه الدنيا وجهين.. وجه مشرق ووجه مظلم حتى القمر الذي نمتدح نوره وجماله له وجه مظلم لا يراه الكثيرون.. وجه موحش وقبيح.

(عِمرة):...

(دعجاء): أنا لا أتذكر شيئاً من بعد افتراقي عن بناتي في الصحراء قبل عامين وبتُ أخشى أن مكروهاً حدث لهن وأشك في قدرتي على تحمل معرفة ذلك.

(عِمرة): لدي إحساس أنهن بخير وفي انتظارك.

(دعجاء) وهي تنظر لنقوش الحناء في كفيها: النقوش بدأت تزول وسوف أعرف الحقيقة قريباً.

(عِمرة): لماذا تجلسين في الظلام يا عمة؟.. هل أشعل ناراً؟

(دعجاء) وهي ترفع رأسها للسماء: لا تنظري للأرض وأنظري للنجوم المضيئة حولك وسيملأ نورها قلبك وعينيك.

(عِمرة) مبتسمة: أنتِ شاعرة اليوم يا عمة.

(دعجاء): أنا فقط أصف ما أرى..

(عِمرة): كيف تعرفتِ على بناتك يا عمة؟.. هل أنجبتِ بعضهن؟

(دعجاء) وهي تبتسم: أنا حبلى بالألم ولا مكان في جوفي لأحد..

(عِمرة) بحزن: لماذا تقولين ذلك يا عمة؟

(دعجاء): لدي سؤال يشغل بالي منذ أن التقينا يا صبية.

(عِمرة) وهي تبتسم: ما هو يا عمة؟

(دعجاء): من أنتِ؟

(عِمرة) وهي تضحك: ماذا تقصدين يا عمة؟

(دعجاء): قد أكون فاقدة لشيء من ذاكرتي لكني لم أفقد عقلي..

(عِمرة) بتوتر: ماذا تقصدين؟

(دعجاء): أنتِ لستِ من تدعين.. قصصك عن أبيك وعن قبيلتك لم تدخل عقلي وتعامل (شَبَث) معك بتلك الأريحية ما زلت لا أجد لها تفسيراً.. هناك شيء مريب فيك لكني لا أستطيع تحديده.

(عِمرة) وهي متوترة: لا تتوهمي يا عمة.

(دعجاء) وهي ترفع العصا التي مدتها لـ(عِمرة) سابقاً والتي كان عليها الحيوان الذي طبخته (دعجاء) لـ(عِمرة) كي تتناوله: أنتِ لم

تتناولي الطعام الذي قدمته لك ذلك اليوم لكنك تظاهرتِ بأكله.. لماذا؟

(عِمرة) والقلق والتوتر يزداد على محياها: لم أكن جائعة..

(دعجاء) وهي تلتفت على (عِمرة): هل تعرفين ماالذي فضح أمرك يا صبية؟

(عِمرة) وهي تنظر لـ(دعجاء) بتوتر: ماذا يا عمة؟

(دعجاء): أنه منذ لقائي بك لم أرك مرة واحدة تتناولين الزاد.. تشربين الماء لكنك لا تتناولين أياً من الطعام الذي أحضره وتدعين دائماً أنك أكلتِ خلال نومي لكني كنت أراقب الطعام ولا أراه ينقص أبداً إلا إذا أكلت أنا منه.

(عِمرة):...

(دعجاء): هناك شيء آخر أيضاً..

(عِمرة) بقلق وتوتر: ماذا؟

(دعجاء) وهي تحدق بـ(عِمرة): أنتِ لم تنامي مرة واحدة منذ أن التقيت بك..

(عِمرة) بتوتر: ما هذا الكلام يا عمة؟.. لقد استيقظت للتو من النوم أمامك..

(دعجاء): أنتِ تتظاهرين بالنوم فلا تحاولي خداعي.. لم تنامي إلا مرة واحدة عندما كنتِ مصابه بالحمى لذا استدعيت شيطاني الأحمر خلال

تظاهرك بالنوم قبل قليل وسألته سؤالاً واحداً فقط عنك.. سؤالاً لا يمكنه المراوغة في إجابته..

(عِمرة) بخوف: ماذا سألتِه؟

(دعجاء): سألته من أي خلق (عِمرة)؟

(عِمرة) وهي تحدق بعيني (دعجاء) الثاقبتين بتوتر: وماذا قال؟

(دعجاء) وهي تنظر بصرامة لـ(عِمرة): قال.. جن.. جن..

نهضت (عِمرة) وقالت بعصبية: وهل ستصدقين هذا الشيطان الأحمق؟!

(دعجاء) وهي لاتزال جالسة وتنظر لارتباك وتوتر (عِمرة) بابتسامة خفيفة:

لقد كان يقول الصدق إذاً..

(عِمرة) وهي تدعك صدرها بطريقة غريبة: ما بك يا عمة لماذا تقولين مثل هذا الكلام؟

(دعجاء): انظري لأناملك فهي وحدها كفيلة بفضحك.. لا أعرف لماذا لم أركز بها إلا الآن.

(عِمرة) وهي تخفي يديها خلف ظهرها: أنتِ واهمة!

(دعجاء): أنا لم أولد بالأمس كي تنطوي علي خدعتك وتشكلك المكشوف.. لكن مالم أجد له إجابه هو لماذا؟.. لماذا ساعدتني أنتِ وأبوك؟.. وكيف لم يدافع عن نفسه عندما قتلته؟ هذا الشيء الذي لم أجد له إجابة.

بدأت (عِمرة) بالبكاء ثم بدأت تتحدث بصوت مختلف قليلاً عن صوتها وتقول:

نحن لم نضمر لكِ الشر أبداً وحاولنا مساعدتك فقط!

(دعجاء) وهي تقف: كان معي إذا حق وأنتِ لستِ من البشر!

(عِمرة) وهي تدير ظهرها: نعم..

(دعجاء) بتعجب: لماذا؟.. لماذا كذبتِ علي؟.. ولماذا ساعدتني مع أبيك؟!.. أنا لا أفهم شيئاً!

(عِمرة) وهي تنزل رأسها: أنا لم أكذب عليك يا عمة..

(دعجاء) بغضب: لو كنت أستطيع استخدام طلاسمي لكنت أجبرتك على الكلام.

(عِمرة) وهي تلتفت إلى (دعجاء) بحزن: لا داعي لذلك يا عمة سأجيبك على أي تساؤل في بالك.

(دعجاء): أخبريني إذاً بالحكاية منذ البداية وكيف انتهى بي المطاف هنا مع جنية في قلب الصحراء الخاوية.

جلست (عِمرة) على الرمال وبدأت تروي لـ(دعجاء) الحكاية منذ البداية..

نحن قبيلة صغيرة من الجن نستوطن مكاناً في الصحراء لا تمر به القوافل لذلك لم نتعرض لأي إزعاج من البشر لسنين بل إننا لا نعرف عنهم شيئاً ولم يكن عندنا أي علم حتى عن الجن الآخرين

أو الشياطين فكل ما نعرفه في هذه الدنيا استقيناه من كبيرنا الذي خالط البشر والشياطين فترة من عمره. كنا نشرب من ماء الأرض ونأكل من عظام الدواب الميتة التي نجمعها وكذلك من جمر الأرض السابعة تحتنا لذا لم نضطر يوماً للخروج خارج منطقتنا حتى ظهرتِ أنتِ يوماً فجأة في قلب أرضنا وكنتِ مصابة وتنزفين وكان (شَبَث) بجانبك يحاول العناية بك لكن كان من الواضح أنه لا يعرف كيف. اقتربنا منك لكن كبيرنا نهانا عن الاقتراب منكما في البداية واقترب هو وعندما رأى أنكِ مصابة بدأ بعلاجك وتطبيب جرحك. تشكل بعضنا بأمر من الكبير كي نعتني بك حتى تفيقي ونعرف منك من أين أتيتِ لنعيدك لأهلك لكنك أفقتِ ولم تتحدثي مع أحد منا وكنتِ مغيبة العقل و(شَبَث) لم يساعدنا كثيراً لأنه وكما قال كبيرنا مربوط بحجر وفقد الكثير من الإدراك وأصبح مسيراً وغير مخير لذا تشاورنا فيما بيننا وقررنا إبقائك معنا حتى تستعيدي حواسك وعقلك لكن ومع مرور الأيام لم تتغير حالتك وخشينا أن تموتي من المرض لأنكِ بدأتِ تصابين بأمراض لم نكن نملك علماً في علاجها. كنت أنا الموكلة بالعناية بك وهذا ما جعل علاقتي بـ(شَبَث) تزداد قوة لأني وجدت أنه لا يختلف كثيراً عن الجن في طباعهم وطريقة عيشهم وأصبح هو أيضاً يألفني.

(دعجاء): وكيف انتهى بنا الحال هنا؟

(عِمرة): كبيرنا كان يخرج من وقت لأخر ليبحث عن علاج لك وكان

يتشكل ويزور مدن الإنس ويسأل عن أفضل الحكماء لمثل حالتك فدله أحد الذين سألهم على ذلك البدوي الذي يعالج بالحناء لذا أتيت معه ومع (شَبَث) متشكلين كي نعالجك.

(دعجاء): معنى ذلك أن الرجل الذي قتلته لم يكن أباك بل كان كبير قبيلتكم؟

(عِمرة): نعم ولأنك قتلته وهو متشكل كبشر مات بسهولة قبل أن يتمكن من الدفاع عن نفسه.

(دعجاء) تجلس أمام (عِمرة) بصمت..

(عِمرة) تحدق بالأرض بحزن..

(دعجاء): عندما كنت أحدثك عن حياتي السابقة وعن كل ما مررت به كنتِ لا تعرفين شيئاً وكأنك تسمعين تلك الأخبار عن الجن والشياطين والسحرة لأول مرة.. لماذا تظاهرتِ بالجهل؟

(عِمرة) وهي تدمع: أنا بالفعل لم أكن أعرف شيئاً عنها يا عمة أنا لم أرَ سوى أهلي من الجن وعشت حياتي بلا علم عن عالمنا فما بالك عن عالمكم.

(دعجاء) وهي تنظر لـ(عِمرة) وترى الصدق في عينيها وفي نبرة كلامها:

أصدقك يا صبية..

(عِمرة) وهي تمسح دموعها: حتى أني لم أكن أجيد التشكل لكني مارسته حتى أجدته كي أعتني بك.

(دعجاء): بقي سؤال واحد لم تجيبي عليه؟

(عِمرة): ما هو؟

(دعجاء): لماذا كنتِ حريصة على الاعتناء بي؟ كان بالإمكان أن لا تهتمي لأمري.

(عِمرة): في البداية لم أكن أعرف لماذا كنت مهتمة لأمرك لكن مع مرور الوقت أظن أني فهمت سبب عنايتي بك طيلة السنتين.

(دعجاء): لماذا؟

(عِمرة): كنت أشعر بالسعادة عندما أعتني بك.. أحسست بإحساس لم أحس به في حياتي من قبل.. أحسست أن لي أهمية ولم أكن مجرد كائن يأكل ويشرب فقط.. حتى وإن كانت العناية بك متعبة أحياناً لكنني كنت أشعر بشعور ممتع عندما كنتِ تحتاجين لي وأقوم أنا بتلبية احتياجاتك.. أحسست أني أقوم بشيء ذي قيمة مما أعطى لي أنا قيمة.. بدأت أحب نفسي وأحببتك أنتِ و(شَبَث) لأنكما كنتما السبب في ذلك.

(دعجاء) تبتسم..

(عِمرة): لماذا تبتسمين يا عمة؟

(دعجاء): لوهلة وأنتِ تتحدثين تذكرت ابنتي (خود)..

(عِمرة): لماذا هي بالذات؟

(دعجاء): قالت كلاماً مشابهاً لكلامك عندما سألتها عن سبب عدم

انزعاجها من إخوتها عندما كانوا يناكفونها من وقت لآخر..

(عِمرة) وهي تبتسم: تبدو لطيفة أريد مقابلتها ربما نصبح أصدقاء.

(دعجاء) وهي تبتسم: لا تقلقي فـ(خود) تحب الجميع ولا تعرف معنى الكره وخاصة أنكِ من الجن لذلك أنا متأكدة بأنها ستعشقك.

(عِمرة) تبتسم..

(دعجاء) وهي ترفع نظرها للسماء: لكن يجب أن أجدها مع أخواتها أولاً.

(عِمرة): أعتقد أني يمكن أن أساعدك في هذا الأمر يا عمة؟

(دعجاء): كيف؟

(عِمرة): كبيرنا كان يحدثنا من وقت لآخر ويقصص علينا بعض القصص من تجاربه السابقة عندما كان مع الشياطين والبشر وكنت دائماً أسمعه يتحدث عن كهف غريب يسكنه بعض الشياطين أسماهم بـ(المسترقين).

(دعجاء): يقصد مسترقي السمع من السماء.

(عِمرة): نعم على ما أظن.. كان يتحدث عنهم وهو شامت فيهم لأن كبيرنا لم يكن يحب الشياطين كثيراً حتى أنه كان سيطرد (شَبَث) من قبيلتنا أول مرة رآه معك لكني توسلت إليه بأن لا يفعل وأقنعته بأنه شيطان مسالم ولن يضرنا.

(دعجاء): ماذا أخبركم عن كهف المسترقين؟

(عِمرة): أخبرنا بأنهم مجموعة من الشياطين المهووسة بجمع العلم والأخبار من الأرض والسماء من أي مصدر سواء كان جناً أو بشراً أو شيطاناً..

(دعجاء): سمعت عنهم من قبل لكن لم أكن أعرف أن لهم كهفا يقطنون فيه.

(عِمرة): هم لا يقطنون فيه لكنهم يتواجدون حوله ومن يدخل الكهف يستطيع الأخذ من علمهم لكن بشروطهم.

(دعجاء): وما شروطهم؟

(عِمرة): لا أعرف يا عمة فلم يخبرنا الكبير بتفاصيل أكثر.

(دعجاء): وهل أخبركم بمكان الكهف؟

(عِمرة): سأله أحدنا هذا السؤال ولكن رده كان غريباً.

(دعجاء): ماذا قال؟

(عِمرة): قال كهف المسترقين يخفى عن قلوب البشر وعن أعين الجن وعن رغبة الشياطين..

(دعجاء): ما معنى هذا الكلام؟

(عِمرة): لا أعرف.

(دعجاء) وهي تزفر: أتمنى أن لا أحتاج لهذا الكهف في البحث عن بناتي..

(عِمرة): ستجدين بناتك يا عمة ولن تحتاجي للمسترقين في شيء.

(دعجاء) بحزن: أتمنى..

(عِمرة) وهي تبتسم وتحاول ملاطفة (دعجاء) والتغيير من مزاجها: بما أن هويتي كشفت لك الآن يا عمة هل ستتوقفين عن سرد بقية قصتك لي؟

(دعجاء): بنصف ابتسامة وهي تنظر لـ(عِمرة): وما الذي تبقى منها؟.. أخبرتك بأني ذهبت لـ«هجر» وأصبحت مستشارة الوالي هناك.

(عِمرة): لقد كنتِ فقط في أوائل العشرين يا عمة ثم أني لم أعرف كيف التقيتِ ببناتك وبـ(شَبَث).. هل نسيتِ تلك الفترة من عمرك أيضاً؟

(دعجاء) وهي تدعك جبينها: دفن الذكريات لا يعني أنها ستموت..

(عِمرة) بوجه حزين: إذا كان استرجاعها سيحزنك فلا بأس لا أريد سماعها.

(دعجاء) وهي تبتسم: بقدر الحزن والالم التي تحمله تلك الذكريات إلا إن استرجاعها معك يضع غشاوة على هم التفكير ببناتي.

(عِمرة) وهي تبتسم بحماس: ستكملينها إذاً؟!

(دعجاء) وهي تبتسم: نعم يا أفعى.. اجلسي بعد أن تشعلي ناراً.

استأنفت (دعجاء) قصتها وذكرت لـ(عِمرة) ما حدث مع (زرقاء) وأنها وافقت على مساعدة بني (حمير) لغزو «اليمامة» انتقاما لعمتها (عانكة) منها لأنها هي التي أرشدت (آدم) إليهم وكذلك كي تنتقم

من سحرة «اليمامة» بتدمير مملكة بني (جديس) بالكامل على يد بني (حمير) وأخبرتها كذلك عن لقائها الأول مع (شَبَث) في الصحراء عندما كانت عائدة لـ«هجر» وكيف انتهى بها المطاف مع رسول بني (حمير) الذي عاد بها لقبيلته لتصبح بعدها عرافة عندهم وكيف أن هذا الأمر لم يدم طويلاً بعدما أرغمها (شَبَث) على قتل زعيم قبيلة بني (حمير) والهروب.

(عِمرة): لم أعرف أن (شَبَث) كان خبيثاً هكذا.

(دعجاء) وهي تبتسم: لا تحكم أبداً من القشور دون تذوق اللب..

(عِمرة): وماذا حدث بعد ذلك يا عمة؟

حكت (دعجاء) لـ(عِمرة) كيف انتهى بها المطاف في تلك المدينة الغريبة التي كانت خاوية في النهار وتمتلأ بالناس ليلاً وكيف ساعدها ذلك العجوز الذي قابلته فيها في ربط (شَبَث) وجعله خادماً لها للأبد.

(عِمرة) وهي تقاطع (دعجاء):

أعرف هذه المدينة يا عمة لقد تحدث عنها كبيرنا من قبل.

(دعجاء): ماذا كانت تلك المدينة؟

(عِمرة): أعتقد أن اسمها كان مدينة (تاج الملوك) وأنها كانت مملكة للجن عمروها بسواعدهم وأن من يدخل فيها من الجن لا يخرج أبداً وفيها الكثير من الجن المعمرين.

(دعجاء): الجن لا يعمر الأرض.

(عِمرة): لا أعرف لكن هذا ما أخبرنا به كبيرنا.

(دعجاء): كيف لا تعرفين وأنتِ من الجن؟

(عِمرة) وهي تبتسم: كوني من الجن يا عمة لا يعني أني أعرف كل شيء عنهم.. أنتِ من البشر فهل تعرفين كل أسرار البشر وتاريخهم وأطباع شعوبهم؟

(دعجاء) وهي تبتسم: لا يا أفعى..

(عِمرة) وهي تضحك: كفي عن مناداتي بالأفعى وإلا تشكلت كواحدة!

(دعجاء) تضحك بقوة..

(عِمرة) وهي تبتسم: وماذا حدث بعد ذلك؟

(دعجاء): عندما أصبح (شَبَث) ذليلاً تحت قدمي بدأت أفكر بالوجهة التالية التي سأسلكها فامتطيت الجواد الذي حصلت عليه من مدينة (تاج الملوك) وقررت التوجه لأقرب مكان به زاد وماء لأن الجواد لن يصبر دونها لأكثر من ثلاثة أيام.

(عِمرة): وإلى أين توجهتِ؟

(دعجاء): عندما وجدت مدينة (تاج الملوك) كنت تائهة لكني كنت أملك تصوراً عن المنطقة التي كنت فيها فبعد خروجي من مضارب بني (حمير) لم أبتعد عنها إلا بمقدار مسيرة يوم ونصف اليوم لذلك أدركت أني مازلت في الجنوب وبدأت أستعين بالنجوم كي أصل لوجهتي التي كانت المدينة الساحلية التي يقيم فيها (يثع).

(عِمرة): صديق العمة (عانكة)؟

(دعجاء): نعم فقد تقطعت بي السبل ولم أكن أثق بأحد وقتها و(يثع) هو الشخص الوحيد التي كانت العمة (عانكة) تثق به وكنت متيقنة من مساعدته لي حتى وإن كان قد مضى سنوات على أخر مرة رأيته فيها خاصة وأن قوة كبار السحرة في «اليمامة» تقلصت كثيراً في تلك الفترة بعد غزو بنو (حمير) لمدينتهم وتدميرها وأصبح من السهل للساحرات مثلي ممارسة مهنتهم بحرية والإفصاح عن هويتهم دون خوف.

(عِمرة): وهل ساعدك؟

(دعجاء): نعم فبعد زوال صدمته من خبر موت العمة سألني سؤالاً وقال لي أن إجابتي ستحدد مصيري.

(عِمرة): ماذا كان سؤاله؟

(دعجاء): قال لي.. هل ترغبين في أن تعيشي كالنخلة المثمرة أم كالطائر المهاجر؟

(عِمرة): لم أفهم السؤال؟

(دعجاء) وهي تبتسم: ولا أنا وقتها لكن أعتقد أني فهمت قصده الآن..

(عِمرة): ماذا كان يقصد؟

(دعجاء): النخلة المثمرة هي الحياة المستقرة.. جذور ثابته في الأرض خالية من الترحال لكنها تتطلب صبراً على موجات الجفاف التي

ستعصف بها من وقت لأخر.. مكرمة يقدرها من حولها.. تطعمهم من ثمارها ويسقونها ويحبونها.. تحيا وتموت في مكانها واقفة وشامخة ويستمر نسلها إذاً حالفها الحظ ووجدت من يزرع فسائلها في أرض أخرى ليعيش أطفالها نفس حياتها في دائرة مغلقة وآمنة..

(عِمرة): والطائر المهاجر؟

(دعجاء): الطائر المهاجر هو من لا تلمس قدماه أرضاً إلا حلق بعدها لأرض أخرى.. يدور في فلك متغير.. يرى جمالاً جديداً كل يوم وحياته مرهونة بقراراته.. عمره قصير لكن حياته غنية.. سهام الصياد تطارده في كل مرة يحط لشربة ماء ومع ذلك يجد في تلك الشربة لذة كبيرة لا يتذوقها الكثير.. يحلق في كبد السماء بحرية.. لا يعرف من ألم الحياة إلا خوفه من انتهائها قبل أن يستوفيها ويكتفي منها.. ولن يستطيع.. يعيش حياة لا تقدم له إلا ما يأخذه بنفسه.. والمعروض كثير..

(عِمرة) وهي تبتسم: اخترتِ الطائر المهاجر أليس كذلك؟

(دعجاء): نعم.

(عِمرة): هل أنتِ نادمة على قرارك يا عمة؟

(دعجاء): الندم قرار وإقرار بالانهزام..

(عِمرة):...

(دعجاء) وهي تستأنف حديثها: أخذني (يثع) بعدها لمنزل صغير

قريب من الشاطئ الذي كان يصطاد منه وعندما وصلنا وقف عند عتبة بابه يحدق به وكأنه يسترجع بعض الذكريات ثم قال:

(يثع): هنا قضت (عانكة) أجمل أيامها قبل أن تقرر الرحيل لـ«الحجاز»..

(دعجاء):...

(يثع) وظهره لـ(دعجاء) ووجهه لباب المنزل:

لن أطلب منك تحقيق حلمها أو أن تعيشي حياتها لكن لي رجاء وحيد..

(دعجاء): ما هو؟

(يثع): أن تعرفي بأنها كانت يوماً فتاة مثل بقية الفتيات لكنها رفضت أن يذكرها الناس كمجرد فتاة بسيطة ابنة لصياد بسيط..

رحل (يثع) بعد تلك الكلمات وترك (دعجاء) أمام ذلك المنزل الصغير المتهالك تنظر لبابه والحزن قابض على صدرها. دخلت (دعجاء) ووجدته خاوياً وغير صالح للسكنى ولكنها لم تبال وافترشت الأرض ونامت. استيقظت في الليل على صوت نقرات خفيفة على الباب المتهالك فنهضت وفتحته ورأت رجلاً يقف عند عتبته يحدق بها.

(دعجاء) بتوتر: من أنت؟

(الرجل الغريب) يشير بإصبعه للأرض في وسط الدار بصمت..

(دعجاء) تلتفت نحو المكان الذي كان يشير إليه الرجل..

عندما أعادت (دعجاء) نظرها نحو الرجل لتسأله عن قصده بتلك الإشارة لم تره وكأنه اختفى في لمح البصر..

لم تجزع (دعجاء) وأغلقت الباب وعادت للنوم..

استيقظت في اليوم التالي على طرق باب الدار ففتحت الباب لتجد (يثع) أمامها مبتسماً ويمد لها بعض الطعام الذي أعده بنفسه. ابتسمت (دعجاء) وطلبت منه الدخول. دخل (يثع) ومسح بيده بعض الغبار المتراكم وجلس.

(دعجاء) بخجل: أعتذر يا عم (يثع) لأني لم أنظف المكان.

(يثع) وهو يبتسم: لا بأس.. تناولي طعامك قبل أن يبرد.

(دعجاء) وهي تجلس على الأرض وتضع الطعام أمامها: ألن تشاركني الطعام؟

(يثع): لا لقد سبقتك.

(دعجاء) تتناول الطعام و(يثع) يراقبها مبتسماً..

(دعجاء): الطعام لذيذ جداً أفضل من المرة السابقة..

(يثع): هذا طبق السمكة الحمراء التي كانت عمتك تحبه.

(دعجاء) وهي تبعد اللقمة عن فمها: لقد حلمت حلماً غريباً بالأمس.

(يثع): ماذا كان؟

(دعجاء): رجل غريب طرق الباب وعندما فتحت له أشار بيده لوسط الدار..

(يثع): إلى ماذا كان يشير؟

(دعجاء): لا شيء.. كان يشير للهواء.. لا.. أعتقد أنه كان يشير للأرض.. لا أعرف.

(يثع): إذا لم يتكرر الحلم فلا داعي للقلق.

(دعجاء) وهي تضع لقمة في فمها: ربما لأني لم أعتد على النوم في المكان بعد

(يثع) وهو يبتسم: ربما..

انتهت (دعجاء) من طعامها فهم (يثع) بالرحيل وهو يقول: لا تقلقي بشأن الطعام فأنا أطبخ يومياً للصيادين وسوف أحضر لك نصيبك نهاية النهار من كل يوم.

(دعجاء) وهي تقف: شكراً يا عمي وأعتذر لأني سأكون عالة عليك.

(يثع): العالة هو من يأكل بلا عمل..

(دعجاء): موافقة.

(يثع) باستغراب: موافقة على ماذا؟

(دعجاء): على العمل معك.

(يثع) وهو يبتسم: عملك سيأتي إليك لا تستعجلي.

(دعجاء): ماذا تقصد؟

لم يرد (يثع) على (دعجاء) التي وقفت عند عتبة الدار تراقبه وهو يسير عائداً للشاطئ. عادت بعد ذلك إلى المنزل الصغير وبدأت بتنظيفه من

الغبار المتراكم على بعض أمتعته وكذلك الفراش الصغير المفروش في إحدى زواياه. كان المنزل مصنوعاً من الخوص والخشب وكانت أرضه مغطاة بالواح من القصب. رفعت (دعجاء) الفراش وأخذته للخارج وبدأت تنفضه من الغبار ثم عادت لتفرشه مرة أخرى في مكانه لكنها رأت شيئاً لفت نظرها. رأت أن أعواد القصب تحت الفراش كانت مقصوصة من الأطراف وكأنها تشكل باباً صغيراً. نزلت (دعجاء) على ركبتيها ووضعت الفراش جانباً وبدأت تتفحص أعمدة القصب المقصوص بعينيها أولاً ثم بيديها. أدخلت (دعجاء) أطراف أصابعها من خلال الشقوق بجانب الأعمدة واكتشفت أنها تستطيع رفعها وهذا ما قامت به. عندما رفعت (دعجاء) الواح القصب المقصوصة تفاجأت برؤية تجويف تحت المنزل. لم يكن ذلك التجويف كبيراً فهو لم يتجاوز نصف الدار لذا نزلت بحذر وبدأت تستكشف المكان بيدها حتى أحست بأنها لمست شيئاً. أخرجت (دعجاء) ما وقع على يدها ووضعته على سطح أرض المنزل وعندما خرج للنور رأت أنه كتاب. لم تقم (دعجاء) بفتحه أو تفحصه بل أكملت إفراغ ذلك التجويف من محتواه. استمرت في إخراج محتويات تلك الحفرة حتى أفرغتها بالكامل وقامت بتغطيتها مرة أخرى بأعمدة القصب. وقفت (دعجاء) تنظر لمحتوى ذلك التجويف وقد كان عبارة عن ثلاثين كتاباً وبعض القوارير والصناديق الفارغة.

أمسكت (دعجاء) بأحد الكتب المتكدسة أمامها وفتحته وبدأت

بتصفحه واكتشفت أنه يتحدث عن السحر وبالرغم من أنها كانت تجيد القراءة بعد إصرار (عانكة) على تعليمها إلا أنها وجدت بعض المشقة في فك بعض رموز ذلك الكتاب لكن وبعد تمعنها في عناوين تلك الكتب اكتشفت أنه لابد أن تقرأها بالتسلسل كي تفهمها لذا بدأت بتصفح جميع الكتب حتى وجدت ما يلائم علمها الحالي وبدأت بقراءاته وتطبيق محتواه والتمرن عليه.

كانت (دعجاء) في تلك الفترة في أوائل العشرين من عمرها وبقيت في ذلك المنزل ما يقارب العشرة أعوام وهي تقرأ وتطبق محتوى تلك الكتب وبالرغم من أنها أمضت فترة طويلة إلا أنها لم تتقن إلا نصف محتواها لأن بعضها كان يتطلب وجود معلم ليشرح أسرارها ويفك رموزها لها لكنها لم تيأس واستمرت بالمحاولة. خلال تلك الفترة كان (يثع) هو حلقة الوصل الوحيدة لـ(دعجاء) مع العالم خارج ذلك الكوخ فقد كانت منعزلة تماماً ولا تتواصل مع أحدٍ سواه. كان (يثع) يطعمها يومياً من الطعام الذي يطبخه للصيادين ولم يتأخر يوماً في إطعامها. افتقدت (دعجاء) زيارات (يثع) في أحد الأيام وقررت الخروج للبحث عنه فاكتشفت أنه مات وأن زملاءه الصيادين قاموا بدفنه لأنه لم يكن متزوجاً ولا يملك أسرة تفتقده. حزنت (دعجاء) على ذلك الكهل الذي بقي وفياً لها حتى آخر أيام حياته وكان خبر موته حافزاً لها على الانتقال والتوجه لـ«الحجاز» وإكمال حياتها هناك.

***

طلسم الفناء

(دعجاء) كانت متعلقة بـ«الحجاز» لأسباب كثيرة وكانت لا تجد راحة إلا فيها وبين أهلها لذا وبمجرد وصولها هناك بدأت بالبحث عن مصدر للرزق كي تعيل نفسها وتتحمل تكاليف المعيشة هناك.

مرت (دعجاء) بمنزل (عانكة) القديم فوجدت أنه تم إزالته بالكامل وبني مكانه منزل آخر وكذلك دكانها وجدت فيه تاجراً يبيع الأقمشة.

عرضت (دعجاء) على ذلك التاجر أن تعمل معه لكنه رفض وأخبرها بأنه لا يحتاج مساعدة وأنها يمكن أن تبحث عن عمل في مكان أخر.

لم تكن (دعجاء) تجيد أي حرفة كي تمارسها لكنها تذكرت كلام (عانكة) ونصيحتها لبناتها بالعمل كقابلات للتوليد إذا احتاجوا للعمل لذا قامت بالسؤال حتى علمت أن المدينة فيها أكثر من قابلة لكن أشهرهن كانت امرأة تدعى (همابل) فتوجهت لمنزلها وطرقت بابها ففتح لها صبي أسمر البشرة وعندما طلبت منه مقابلة القابلة أخبرها بأنها خارج المنزل فطلبت منه انتظارها بالداخل لكنه رفض وأغلق الباب.

جلست (دعجاء) خارج المنزل تنتظر عودة القابلة حتى حل المساء وغلبها النعاس عند الباب ولم تستيقظ إلا على نغزات في خصرها برأس عصا خشبية وصوت امرأة عجوز تقول لها: ما الذي تفعلينه هنا؟!.. ارحلي!

نهضت (دعجاء) وهي مرتبكة ورأت أمامها امرأة عجوز سمراء البشرة وقصيرة القامة تتكئ على عصا خشبية وشعرها كان أبيضاً بالكامل بما في ذلك حاجباها. بلعت (دعجاء) ريقها وقالت: هل أنتِ السيدة (همابل)؟

(العجوز) بتجهم: نعم ماذا تريدين؟!

(دعجاء): أريد التحدث معك.

(همابل) وهي توكز بطن (دعجاء) برأس عصاها الخشبية: أنتِ لستِ حبلى.

(دعجاء) وهي تبتسم: أريد أن أعمل معك؟

(همابل) بتجهم: تعملين معي؟!.. أنا لا أحتاج أحداً ليساعدني!

لاحظت (دعجاء) أن تلك العجوز لم تكن قابلة عادية وساورها الشك بأنها ساحرة أو على أقل تقدير تعرف شيئاً عن السحر لذا قالت لها:

لقد أوصتني عمتي أن الجأ اليك إذا احتجت للعمل..

(همابل) بتجهم وبعض الاستغراب: عمتك؟!.. عمتك من؟!

(دعجاء): عمتي (عانكة)..

(همابل) والتجهم يزول من على وجهها ويتحول لتعجب: هل أنتِ أحدى بنات (عانكة)؟

(دعجاء) وهي تبتسم: نعم.

(همابل) وهي ترفع العصا وتضرب (دعجاء) على رأسها: إذاً فأنتِ خبيثة مثلها!

دخلت (همابل) منزلها وأغلقت الباب بقوة تاركة (دعجاء) حزينة ومصابة بخيبة الأمل. أمضت (دعجاء) تلك الليلة عند باب المنزل ولم تتحرك وفي اليوم التالي خرجت (همابل) مع ذلك الصبي لتجدها بانتظارها وعلى وجهها نظرة أمل بقبولها لكنها تجاهلتها ومضت في طريقها. لم تيأس (دعجاء) وبقيت عند باب ذلك المنزل لأيام وكانت تأكل من إحسان المارة والزائرين لمنزل (همابل) لأنهم ظنوا أنها تتسول وفي كل مرة تخرج (همابل) تقوم بالتجهم في وجهها وتجاهلها لكن في أحد الايام فتح الباب وخرج ذلك الصبي الصغير ومد لـ(دعجاء) بعض الطعام والماء وقال وهو يبتسم:

لقد بدأت العمة تتذمر من بقائك عند الباب وهذا دليل أنها تفكر بك.

(دعجاء): هل تفكر بطريقة للتخلص مني؟

(الصبي): العمة (همابل) لا تتحدث عن أحد لا تهتم لأمره اصبري أكثر وأنا متيقن بأنها ستسمح لك بالعمل معنا.

(دعجاء): ولماذا أنت مهتم؟

(الصبي) مبتسماً: لأني أريد أحداً ليشاركني في تحمل العمة وأنتِ تبدين مناسبة وتملكين العناد المناسب.

(دعجاء) وهي مبتسمة: ما اسمك؟

(الصبي) وهو يمد يده لمصافحة (دعجاء) مبتسماً: أنا (ربيل).

(دعجاء) وهي تصافح (ربيل) مبتسمة: وأنا (دعجاء).

(همابل) وهي تصرخ من داخل الدار: أين أنت أيها الأحمق!

(ربيل) وهو يهم بالدخول للمنزل مبتسماً: يجب ان أذهب الآن!

مضت الأيام واستمر تجاهل (همابل) لـ(دعجاء) واستمر (ربيل) بإطعامها سراً حتى جاء يوم وخرجت فيه (همابل) ليلاً بينما كانت (دعجاء) نائمة وقالت لها:

إلى متى ستبقين هنا؟

(دعجاء) وهي تستيقظ: ماذا..؟

(همابل) وهي تضغط برأس عصاها على جبين (دعجاء): ألا تعلمين أن عمتك هي من ألد أعدائي؟

(دعجاء): لم أكن أعرف ذلك وحتى لو كنت أعرف فهذا ليس دافعاً كي أكرهك.

(همابل) وهي تضحك وتبعد رأس العصا عن جبين (دعجاء): ومن أنتِ كي أهتم لكرهك أو محبتك؟!

(دعجاء): إذاً دعيني أعمل عندك.. حتى ولو كخادمة.

(هابل) تحدق بـ(دعجاء) وتفكر...

(دعجاء) وهي تقف: أنا لا أريد شيئاً سوى مأوى وطعام فقط.

(هابل): كم بقيتِ مع (عانكة)؟

(دعجاء): ثماني سنوات تقريباً.

(هابل): من يبقى معها سنة فقط يتعلم الكثير وهي لا تبقي أحداً معها أكثر من سنتين فلماذا تكذبين؟

(دعجاء) بعصبية: ولماذا أكذب؟!.. ثم أني لم أرَها يوماً معك أو تحدثت إليكِ فمن الكاذب هنا؟!

(هابل) بهدوء: من المستحيل أن (عانكة) أوصتك باللجوء إليّ وهذه أول كذبة كذبتيها

(دعجاء) تحدق بـ(هابل) بصمت..

(هابل): معرفتي بعمتك كانت قبل أن تري أنتِ نور الدنيا لذا فأنا أعرفها وأعرف أطباعها أكثر منكِ فتوقفي عن سرد الأكاذيب

(دعجاء) بعصبية: أنا لا علاقة لي بماضيكم!

(هابل) وهي تسير مبتعدة عن المنزل: اتبعيني..

(دعجاء): إلى أين؟

لم ترد (هابل) على (دعجاء) واستمرت بالمسير فتبعتها (دعجاء) بصمت..

وصلت الاثنتان لبوابة المدينة وقد كانت مغلقة فأوقفهم الحراس لكنهم عندما رأوا (همابل) قال أحدهم مبتسماً:

ما الذي أخرجك في هذه الساعة يا سيدة (همابل)؟

(همابل): كيف حال زوجتك وابنك؟

(الحارس): يقبلون يدك فلولا مساعدتك لفقدتهما في نفس اليوم.

(همابل): جيد.. افتح البوابة.

(الحارس) بتوتر: لكن يا سيدة (همابل) البوابة لا تفتح إلا صباحاً وتغلق مع غروب الشمس وهذه أوامر الوالي.

(همابل): سوف أخرج مع هذه المرأة ولن نعود حتى الصباح.

(الحارس): أمرك يا سيدة (همابل) سوف أفتح البوابة لأجلك.

فتح الحارس بوابة المدينة وخرجت (همابل) بصحبة (دعجاء) التي كانت تقول:

إلى أين سنذهب؟

(همابل) وهي تسير: سنرى إن كنتِ تقولين الصدق أم لا..

سارت الاثنتان في العراء حتى وصلا لمنطقة بعيدة عن المدينة فتوقفت (همابل) ووضعت يدها على الأرض فأضاءت الصخور التي كانت حولهم وسط اندهاش (دعجاء) التي قالت: كأنها نجوم على الأرض..

(همابل) وهي ترمي عصاها الخشبية: من يمضي مع (عانكة) ثماني سنوات من عمره لابد وأنه تعلم الكثير.. لنرَ كم من علمها نهلتِ.

(دعجاء) وهي ترفع يدها في وجه (همابل): أنا لا أريد القتال معك!

(همابل) وهي تعقد أصابعها: الأمر ليس خياراً يا امرأة!

قرأت (همابل) طلسما قوياً شق الأرض تحت (دعجاء) لكنها استطاعت تفادي السقوط فيه بقراءة طلسم سريع والتحليق بعيداً لأرض مستوية.

(همابل) وهي تبتسم: يبدو أنكِ تعلمتِ بعض الحيل من تلك الشمطاء.

(دعجاء) بصوت مرتفع: توقفي! أنا لا أريد إيذاءك.

(همابل) وهي تضحك بصوت مرتفع:

لو استطعتِ مس شعرة مني سوف أتوقف وأعلن انتصارك!

(دعجاء) وهي تعقد أصابعها وتندفع نحو (همابل): كما تشائين أيتها البومة!

اشتبكت الاثنتان بالطلاسم لفترة وكانت الغلبة في كل مرة لـ(همابل) لكنها كانت تواجه مشكلة في إصابة (دعجاء) إصابة بالغة توقف تقدمها المستمر وبعد فترة من تلك المواجهة إصابت (همابل) (دعجاء) بطلسم قوي أسقطها أرضاً فقالت لها وهي تتنفس بثقل: انتهى النزال..

(دعجاء) وهي تقف بصعوبة وتعقد أصابعها: لم ينتهِ شيء!

(همابل) وهي تضحك بسخرية: ماذا تبقى في جعبتك؟!

(دعجاء) وهي لا تزال عاقدة لأصابعها وترفع أحد قدميها عن الأرض: بقي هذه.

قرأت (دعجاء) طلسماً وهي في ذلك الوضع فخرج خلفها مارد ضخم مكبل بالسلاسل ويصرخ بصوت عال.

(همابل) وهي متفاجئة من ظهور ذلك المارد: لم أكن أعرف أنكِ تتقنين الطلاسم المتقدمة.

عقدت بعدها (همابل) أصابعها وتقرفصت على الأرض وبدأت بقراءة طلسم أخرج من تحت الأرض أمامها حية حمراء كبيرة انطلقت نحو ذلك المّارد والتفت عليه وبدأت بخنقه ، أمسك المارد بقبضته الكبيرة رأس الافعى وبيده الأخرى بدأ يدكه حتى هلكت. ابتسمت (دعجاء) عندما رأت انتصار المارد وأمرته بالهجوم فوراً على (همابل) فما كان منه إلا أن ضرب صدره بقبضته عدة مرات وهو يصرخ بقوة أتبعها باندفاع هز الأرض نحو (همابل) التي كانت واقفة ولم يبدُ عليها الاكتراث لاندفاعه وبمجرد اقترابه منها أمسكت بقبضتها حفنة من الرمال ونفختها تجاهه فتبخر المارد وتحول لسحابة من الغبار. غضبت (دعجاء) عندما رأت ماردها يتبخر أمامها بكل سهولة فعقدت أصابعها مرة أخرى ولكن (همابل) رفعت يدها وهي تبتسم وتقول: كفى! كفى! لقد أثبتِ أنك صادقة!

(دعجاء) وهي تتنفس بثقل: أنا لا أكذب!

(همابل) وهي تحمل عصاها الخشبية وتنفض التراب عن عباءتها: يبدو ذلك.

(دعجاء) بتجهم: ماذا الآن؟!

(همابل) وهي تجلس على الأرض: ننتظر حتى تشرق الشمس وتفتح بوابة المدينة.

(دعجاء) وهي تقترب من (همابل) الجالسة: هل قبلتِ بي الآن؟

(همابل) تنظر لـ(دعجاء) وتشير لها بالجلوس بجانبها..

جلست (دعجاء) بجانبها بصمت وحدقت بالأفق معها..

(همابل) وهي تحدق بالأفق مع (دعجاء): لماذا تركتِ (عانكة)؟

(دعجاء): أنا لم أتركها هي من تركتني..

(همابل): لا أستغرب ذلك فـ(عانكة) لا تبقي على فتاة معها أكثر من عامين وأنتِ بقيتِ ثمانية أعوام وهذه فترة قياسية ويبدو أنكِ إستفدتِ من بقائك معها فطلسم ذلك المارد ليس من الطلاسم التي تستخدمها الساحرات المبتدئات.

(دعجاء) وهي تمسح دمعة باغتتها: العمة ماتت ولم تتركني..

(همابل) وهي مصدومة: (عانكة) ماتت؟

(دعجاء) بحزن: نعم.. ألم تعلمي بذلك؟

(همابل): لا.. فعندما وصلني خبر احتراق منزلها وخلو حانوتها في السوق ظننت أنها هاجرت المدينة للأبد وأخفت كل أثر لها فيها.

(دعجاء) تصمت بحزن..

(همابل) وهي تنزل رأسها وتنظر للحجارة المضيئة أمامها: لم أظن يوماً أني سأسمع بخبر موت امرأة كـ(عانكة).

(دعجاء): لماذا كنتِ تكرهينها؟ ما الذي فعلته لك؟

(همابل): ليس من المروءة التحدث بسوء عن الأموات..

(دعجاء): وهل كرهك لها سينتقل لي عندما أعمل عندك؟

(همابل): ومن قال أني قبلت بك كخادمة عندي؟

(دعجاء): لا بأس.. سأرحل عن «الحجاز» إذاً.

(همابل): إلى أين؟

(دعجاء): الرياح تأخذني دائماً لـ«هجر» وسوف أسير معها هذه المرة..

(همابل) وهي تنظر للأفق وتبتسم: وظيفة الخادم يقوم بها (ربيل) لكن لدي وظيفة أخرى يمكنك القيام بها لو رغبتِ.

(دعجاء): ماهي؟

(همابل): بقاؤك مع (عانكة) كل تلك المدة يدل على أنكِ شاركتها في الأعمال التي كانت تقوم بها.

(دعجاء): تقصدين مساعدة الناس.

(همابل) وهي تضحك: هل هذا ما كانت تسميه تلك العجوز؟!

(دعجاء) بتجهم: لا تسخري من عمتي!

(همابل) بسخرية: أنا عمتك الجديدة الآن وسوف نقوم بنفس الأعمال الخيرية التي كنتِ تقومي بها مع عمتك السابقة.

(دعجاء): وهل ستعلمينني شيئاً من علمك؟

(همابل) وهي تبتسم: لن تحتاجي أكثر مما تعرفينه الآن.

(دعجاء): أنا لا أعرف الأساسيات مثل طلاسم الانتقال.

(همابل): طلاسم الانتقال سأعلمك إياها لأننا لا نتنقل بغيرها.. حتى طلاسم «الفناء» سأعلمك إيها كي لا تقعي أسيرة لأحد.

(دعجاء) باستغراب: وماهي طلاسم «الفناء» هذه؟

(همابل): طلاسم لا يتمنى أي ساحر أن يحتاج إليها أبداً.

عاشت (دعجاء) لسنوات مع (همابل) و(ربيل) وتعلمت منها الكثير من فنون السحر وخاصة السحر الأسود الذي كانت (همابل) تتقنه جيداً وبعد عشرة أعوام تقريباً والتي تخللها أحداث كثيرة مثل زواج (ربيل) من جارية اختارتها (همابل) له واستمراره في خدمتها مع زوجته ومرض (همابل) وتقدمها في العمر وتسليمها (دعجاء) أغلب المهام التي كانت تتولاها لكن (دعجاء) اتخذت قرار الرحيل عندما أكملت عامها الأربعين وبدأت صحة (همابل) بالتدهور لذا عقدت العزم على أن تتوقف عن العمل معها والبدء في السعي في أمور أخرى لأن هاجس حلم (عانكة) في القضاء على سحرة «اليمامة» أصبح يراودها خاصة مع عودتهم لقوتهم السابقة خلال الأعوام التي قضتها مع (همابل) وبدئهم في انتهاج منهجهم السابق في تصفية ساحرات الجزيرة وسميت تلك الفترة بفترة (اليقظة) لأن سحرة «اليمامة» كانوا يرون أنهم كانوا في سبات مكن الساحرات من العودة والانتشار بحرية في الجزيرة وهذا أمر كانوا ومازالوا يرفضونه وبقوة.

أحست (دعجاء) أيضاً أن ببقائها مع (همابل) التي لم تعد قادرة على الخروج ومزاولة عملها كالسابق وسوف تبقى أسيرة لتلك المهام، لذا تحدثت مع (ربيل) يوماً وأخبرته أنها تريد السفر لفترة كي تشق لنفسها طريقاً مختلفاً فأخبرها بأن الكثيرين هذه الأيام يسافرون لـ«دمشق» وأنها أرض بها الكثير من فرص العمل. اقتنعت (دعجاء) بفكرة الرحيل ولم تمضِ أياماً بعد حوارها مع (ربيل) حتى شدت الرحال للشمال نحو «دمشق».

(عِمرة): وكم بقيتِ هناك يا عمة؟

(دعجاء): لم أبقَ أكثر من أسبوع بعد وصولي وعدت بعدها مباشرة لـ«الحجاز» مرة أخرى.

(عِمرة) باستغراب: لماذا؟.. ألم تعجبك المدينة؟

(دعجاء): بل كانت من أجمل المدن التي زرتها لكني أدركت أن قلبي كان معلقاً بأرض الجزيرة منذ اليوم الأول الذي وطأت فيه قدماي «دمشق».

(عِمرة): لم تستفيدي شيئاً من رحلتك إذاً؟

(دعجاء) وهي تبتسم بحزن: بل كان أفضل قرار اتخذته لأني عدت منها مع ابنتي (ربوح).

(عِمرة): (ربوح)؟

(دعجاء): نعم.. عدت معها وهي لاتزال طفلة بعدما ماتت أمها

لكني لم أعد لنفس المدينة التي كنت فيها مع عمتي واخترت مدينة أخرى قريبة من الساحل وبدأت معها حياة جديدة وقدمتها للناس على أنها ابنتي.

(عِمرة): لماذا لم تعودي للعمة (همابل)؟

(دعجاء): لم أخرج كي أعود لها ولم يكن هناك شيء يمكنها أن تقدمه لي في تلك الفترة فقد بلغت في السحر مبلغاً كافياً.

(عِمرة): وهل حققتِ حلم العمة (عانكة)؟

(دعجاء) وهي تبتسم: كان حلمها حلمي ومع مرور الوقت أصبح هاجسي لذا عندما أكملت (ربوح) عامها السابع والعشرين قررت البدء والسعي في تحقيق ذلك الحلم وقمت بتجنيد عصبتي وتحقق حلم العمة وأبدتهم جميعاً.

(عِمرة) وهي تبتسم: هذا أمر رائع.

(دعجاء): لكن الحلم لم يكتمل بموتهم كان لابد أن أقيم مملكة الساحرات في «اليمامة» وكنت بحاجة للمال وهذا ما دفعنا للبدء بالإغارة على القوافل وفي أحد غاراتنا فقدت كل شيء في لحظة.

(عِمرة) وهي تضع يدها على كتف (دعجاء): لا تقلقي ستستعيدين كل ماخسرتِه يا عمة.

(دعجاء) وهي تمسح ظهر يدها: أين خواتمي؟

(عِمرة): تقصدين خواتمك الخمسة؟

(دعجاء) بتوتر: نعم أين هي؟.. هل سرقتموها؟

(عِمرة): لا يا عمة إنها محفوظة.

(دعجاء): محفوظة أين؟

(عِمرة): كبيرنا كان يحتفظ بها عنده حتى تستعيدي عافيتك.

(دعجاء): أين؟

(عِمرة): لقد دفنها في مكان في أرضنا.. لماذا تذكرتيها الآن؟

(دعجاء): عندما استرجعت قصة غارتنا الأخيرة تذكرت خواتمي التي حصلت عليها من كبير سحرة «اليمامة».

(عِمرة): لقد رأيتها.. كانت جميلة.

(دعجاء): تلك الخواتم ليست للزينة.

(عِمرة): لماذا تلبسينها إذاً؟

(دعجاء) وهي تلتفت إلى (عِمرة):

بما أنك من الجن ألا تستطيعين الذهاب وإحضارها لي؟

(عِمرة): بلى لكن لِمَ العجلة؟

(دعجاء): تلك الخواتم قيمة جداً ولا أريد أن أخسرها.

(عِمرة): هل ترغبين مني أن أذهب وأحضرها لك الآن؟

(دعجاء): نعم وخذي (شَبَث) معك.

(عِمرة): لماذا؟

(دعجاء): كي لا تضلي طريق العودة.

(عِمرة) وهي تضحك: هل تخشين بأني سأسرقها؟

(دعجاء) وهي تبتسم: لا يا أفعى.

(عِمرة): لا تقلقي علي إذاً.

اختفت (عِمرة) وخلال دقائق عادت وتشكلت أمام (دعجاء) ومدت لها الخواتم الخمسة وقالت: تفضلي يا عمة..

(دعجاء) وهي تأخذ خواتمها الخمسة بابتسامة عريضة:

هذه الخواتم هي آخر ما تبقى لي..

(عِمرة) وهي تجلس بجانب (دعجاء): ما أهمية تلك الخواتم يا عمة؟

(دعجاء) وهي تلبس الخواتم: هذه الخواتم تمنح لابسها قوة لا يمكنه الحصول عليها بالطلاسم.

(عِمرة): مثل ماذا؟

(دعجاء): ألستِ متعبة؟.. الشمس أشرقت.

(عِمرة) بعبوس: هل تتهربين من الإجابة؟!

(دعجاء) وهي تضحك: وأين المهرب منكِ في هذا المكان؟

(عِمرة) وهي لاتزال عابسة: لماذا لا تخبريني عن فائدة تلك الخواتم إذاً؟!

(دعجاء) وهي ترفع يدها وتحرك أصابعها وتنظر للخواتم:

لان كل خاتم يحمل وراءه حكاية..

(عِمرة) وهي تبتسم بحماس: قصص؟!.. أحب أن اسمعها كلها!

(دعجاء): أنا مرهقة الآن وأحتاج للنوم فأنا لا أنام إلا النهار بسببك والنوم في النهار دون الليل يصيب الجسد بالإرهاق والعلل ولست جنية مثلك كي أتحمل قلة النوم.

(عِمرة): نحن الجن لا ننام كثيراً.

(دعجاء): تشكلك كبشر لمدة طويلة سيؤثر عليك وإصابتك بالحمى ذلك اليوم كان بسبب تشكلك.

(عِمرة): صحيح فأنا لم أصب بها من قبل.

(دعجاء): لذلك تخلي عن تشكلك خلال نومي ولا توقظيني حتى آخذ كفايتي من النوم.

(عِمرة) وهي جالسة وتنظر لـ(دعجاء) وهي تدخل الخيمة:

وماذا عن قصص الخواتم؟

(دعجاء) وهي تدخل الخيمة: سأحكيها لكي لاحقاً يا أفعى..

***

وادي سوق

وصلت (نافجة) مع (غُرير) لوادي «سوق» عند الغروب وعندما دخلوا الوادي قالت: هذا الوادي قاحل ولا أثر للحياة فيه.

(غُرير) وهو ينزل من بغلته: سيكون مناسباً للغرض الذي أتينا من أجله.

(نافجة) وهي لاتزال على ظهر (الجسور): وما غرضنا تحديداً؟

(غُرير) وهو يربط بغلته: تعليمك كل ما أعرفه عن السحر.

(نافجة) وهي تنزل من ناقتها وتتفحص المكان حولها: وكيف سنعيش بلا ماء أو زاد؟

(غُرير) وهو يشعل ناراً: الماء وفير هنا لكنه في جوف الأرض والوصول إليه ليس بالأمر الشاق أما بالنسبة للزاد فلا تقلقي سوف نتزود به من قرية صغيرة على بعد يسير من هنا كلما احتجنا لذلك.

(نافجة) وهي تربط ناقتها: وكم سنمضي هنا؟

(غُرير) وهو يجلس أمام النار: هذا يعود لفطنتك وسرعة استيعابك.

(نافجة) وهي تجلس أمام النار: ومتى سنبدأ.

(غُرير): غدا مع أول نور للفجر..

في تلك الفترة كانت (نافجة) في أوائل الثلاثينات من العمر وبقيت مع (غُرير) سنوات تتعلم فيها فنونه الخاصة بالسحر. علم (غُرير) كان مختلفاً فهو لم يعتمد كثيراً على الكتب المقروءة بل اعتمد كلياً على الطلاسم الملقنة والتي كانت متوارثة ولم يتم تدوين أغلبها في الكتب. (نافجة) لم تكن تجيد القراءة أو الكتابة لكن ملكة الحفظ عندها كانت قوية جداً مما اختصر المدة التي كان (غُرير) قد وضعها لتعليمها كل علمه. لم تكن (نافجة) تختلط بالناس بسبب تلك العزلة في الوادي التي فرضها عليها (غُرير) حتى عندما كان يخرج للتزود بالزاد من القرية المجاورة كان يرفض طلب (نافجة) مرافقته وكان يقول لها أن عزلتها عن العالم جزء مهم في تعليمها. بعد مضي ما يقارب خمسة أعوام من العزلة وصلت (نافجة) لمرحلة متقدمة جداً من السحر وأصبحت تجيد الكثير من الطلاسم القديمة والنادرة لكن طباعها تغيرت كذلك وأصبحت أكثر حدة وغلظة ومع دخولها منتصف عقدها الثالث من العمر أخبرها (غُرير) أنه لم يعد يملك شيئاً أخر ليعلمها وأنها حرة ويمكنها الرحيل. لم يكن قرار الرحيل سهلاً على (نافجة) بعد تلك السنوات من الانعزال عن الناس وفضلت البقاء في «وادي سوق» لكن (غُرير) الذي بلغ من العمر أرذله أخبرها بأنه سيرحل.

(نافجة): إلى أين ستذهب أيها الكهل؟.. بغلتك لم تعد تقوى السفر كما كانت في السابق. مكتبة

(غُرير): لقد أنجزت مهمتي معك وبقائي هنا سيكون مضيعة للوقت.

(نافجة): ما زلت لا أعرف لِمَ أفنيت بقية عمرك معي؟

(غُرير): علمي كان لابد أن يورث فهو علم لا يكتب وأنتِ كنتِ الوعاء المناسب لذلك العلم.

(نافجة): ألا تخشى أن يموت ذلك العلم بموتي؟

(غُرير) وهو يركب بغلته: لا سلطة لي على الأقدار أنا أقوم بدوري فقط.

(نافجة): وما دوري الآن؟

(غُرير) وهو يتحرك مبتعداً على ظهر بغلته: لقد طلبتِ العلم وقد حصلتِ عليه أما فيما ستستخدمينه فسيكون ذلك خيارك أنتِ.

وقفت (نافجة) تراقب (غُرير) وهو يبتعد عنها وقبل أن يخرج من مدى بصرها صرخت وقالت: لَمِ لم تعلمني طلاسم الانتقال؟!

(غرير) وهو يسير مبتعداً على ظهر دابته: علمتك ماهو أهم!

(نافجة) بصوت مرتفع: شكراً أيها الصُرد!

لم يرد (غُرير) واكتفى برفع يده في الهواء وتحريكها مودعاً (نافجة) للأبد..

في الأيام التي تلت رحيل (غُرير) بدأت (نافجة) تقلب فكرة الرحيل

عن الوادي في عقلها وادركت بعد تفكير لم يدم طويلاً أن خيار الرحيل لا مفر منه خاصة وأن ناقتها (الجسور) لم تعد في كامل قوتها السابقة وحصول (نافجة) على الزاد والماء سيضطرها للخروج عاجلاً أم آجلاً لأن مهمة التزود بها كانت مسؤولية (غُرير) الذي لم يفصح لها يوماً عن طريقته في توفير الماء. لم تكن (نافجة) تعرف شيئاً عن تلك القرية التي كان (غُرير) يتوجه إليها للحصول على الطعام سوى الاتجاه الذي كان يسلكه لذا قررت في صباح أحد الأيام امتطاء (الجسور) والسير في ذلك الطريق على أمل أن تمر من خلالها.

بعد مسيرة يوم دون انقطاع رأت (نافجة) في الأفق مجموعة من المنازل الصغيرة والكبيرة التي جاورت الساحل فتوقعت أنها مقبلة على قرية متواضعة يقطنها شعب بسيط لكن مع اقترابها اكتشفت أنها مدينة صغيرة متطورة بالرغم من صغر حجمها وقلة منازلها إلا أنها كانت مبنية من طوب الطين وهي طريقة في البناء لا تستخدمها سوى المدن الكبيرة والمتقدمة ولبناء مبانٍ معينة فقط كالقصور والأسوار. كان في تلك المدينة الصغيرة ميناء مزدحم بالبضائع والتجار من معظم الأقطار وكذلك سوق كبير استحوذ على نصف مساحتها. انبهرت (نافجة) بما رأته ولم يكن انبهارها بالحجم أو العدد بقدر التنظيم والإنسجام الذي كان واضحاً ومتجلياً على شعب تلك المدينة الصغيرة وزائريها.

أحست (نافجة) مع تقدمها وتجولها في تلك المدينة بأن لا مكان لها فيها إذا لم تكن تعمل فالعمل والتجارة كانا روح تلك البلدة لذا قررت بيع

(الجسور) لأحد التجار الذي ألح عليها وعرض مبلغاً كبيراً لاقتنائها بالرغم من أنها لم تكن صغيرة في العمر. كان هدف (نافجة) من بيع (الجسور) هو الحصول على بعض المال لها فقد أدركت أن تلك البلدة بيئة خصبة للتجارة وأي تجارة تحتاج للمال لذا أمضت بضعة أيام في ترتيب أحوالها للاستيطان هناك بشراء منزل والتجول بين السوق والميناء لأخذ فكرة والتعرف عن طبيعة العمل في تلك المدينة. قررت (نافجة) بعد تفكير وبحث أن تتاجر في التوابل التي كان ربحها وفيراً وبدأت بالتعاقد مع السفن القادمة من بلاد السند كي يجلبوا لها تلك التوابل لتعرضها وتبيعها في سوق البلدة. مع مرور الأيام والأشهر وصلت البضائع التي اشترتها (نافجة) ولم يمضِ سوى يوم واحد حتى تمكنت من بيعها بالكامل بأضعاف السعر الذي اشترتها به فكررت العملية عدة مرات على مدار سنوات حتى أصبحت من كبار تجار التوابل هناك. توسعت تجارة (نافجة) واشترت مجموعة من الحوانيت وأصبح لديها عمال ومساعدون يعملون معها وبالرغم من أنها لم تكن تجيد القراءة والكتابة إلا أن ذكائها وفطنتها عوضاها عن ذلك. أتقنت (نافجة) العديد من اللغات بسبب تعاملها مع التجار من البلدان المختلفة فتمكنت من إتقان لغة أهل «السند» ولغة أهل «فارس» وكذلك بعض اللهجات المحلية. أمضت (نافجة) مايقارب خمسة عشر عاماً تمارس التجارة في تلك المدينة وبعدما أكملت (نافجة) عقدها الرابع من العمر عرض عليها تجار البلدة الانضمام لمجلس كبار

التجار والذي كان محصوراً على خمسة من أكبر التجار في المدينة فقط وبعد وفاة أحد الأعضاء كانت (نافجة) المرشح الأول لأخذ مكانه.

لم تكن (نافجة) في تلك الفترة تفكر في الرحيل عن تلك البلدة التي وجدت فيها سعادة كبيرة بين أهلها الطيبين لكن ذلك تغير عندما رست سفينة ضخمه في الميناء وكانت قادمة من بلاد «فارس» وعرض التاجر الذي أتى على متنها بضائع لم تكن رائجة كثيراً في تلك البلدة مثل السجاد والحرير والمنسوجات المختلفة. كان تجار المدينة مترددين في التعامل مع ذلك التاجر الذي أغرقهم بالهدايا الثمينة كي يروج لبضاعته لكن أغلب التجار لم يثقوا به وفضلوا عدم التعامل معه إلا أن (نافجة) كانت ترى أنها فرصة لتطوير تجارتهم. اجتمع مجلس التجار ليلاً بعدما كثر الجدال حول إمكانية التعامل مع ذلك التاجر الفارسي:

(كبير التجار): البضائع التي يعرضها ذلك التاجر جيدة الصنع لكننا لم نتاجر بها من قبل ولم يعتد التجار الذين يتعاملون معنا من خارج المنطقة شراءها فتجارتنا في الغالب تكون في التوابل واللبان والفخاريات أما الحرير والسجاد فتجارتنا فيه محدودة جداً وهذا الرجل يعرض علينا كمية كبيرة منها وهذه مخاطرة برؤوس أموالنا.

(نافجة): لكن المردود سيكون كبيراً.

(تاجر١): الطلب على مثل هذه البضائع كبير في «الحجاز» والقليل يعرضها هناك

(تاجر٢): أنا لا أنكر أهمية تلك البضائع لكن مشكلتي ليس مع البضائع بل مع من يعرضها.

(نافجة): ماذا تقصد؟

(تاجر٢): الفرس ليسوا محل ثقة عندنا فقد غدر بنا بعض تجارهم في السابق لذا أصبح معظم تعاملنا محصوراً مع تجار «السند» و«الحجاز»

(نافجة): وكيف سنتيقن من أمانته؟

(تاجر١): لا يوجد طريقة للتأكد إلا بالتعامل معه؟

(نافجة): فلنجربه برأس مال بسيط كي نتيقن من أمانته.

(كبير التجار): لقد عرضت عليه شراء كمية بسيطة من بضاعته وتحججت بأننا نريد تجربة مدى الأقبال عليها ولكنه رفض وطلب شراء كمية كبيرة لكن بسعر أرخص.

(نافجة): لكنه باع كل بضاعته تقريباً على تجار التجزئة.

(تاجر٣): يريد منا تسليمه الأموال ليعود لـ«فارس» ويشتري البضائع ويعود إلينا بها بعد ثلاثة أشهر.

(نافجة): لقد قمنا بمثل هذه الاتفاقات من قبل مع تجار التوابل من «السند».

(تاجر١): نعم لكن تجار «السند» لم يغدروا بنا قط

(نافجة): لا أفهم سر الخوف من هذا التاجر؟

(كبير التجار): السفينة التي أتى بها هي سبب قلقنا.

(نافجة): السفينة؟.. ما بها؟

(تاجر٢):تحمل شعار الملك المقدوني حاكم «فارس».

(نافجة): لم أفهم قصدك.

(كبير التجار): يقصد أنه إذا نهب ذلك الفارسي أموالنا فلن نستطيع استعادتها أبداً وفي الغالب هذا ما سيحدث.

(نافجة) بتعجب: الملوك لا يغدرون.

(كبير التجار) وهو يضحك بقوة: لأنك لم تتعاملي مع ملوك «فارس» من قبل أو أحد من أتباعهم.

(نافجة): أخشى أننا نضيع فرصة كبيرة بشكوكنا هذه.

(كبير التجار): حسناً يا (نافجة).. سوف أساهم أنا وبقية التجار هنا بنصف ما نملك في الاتفاق مع التاجر الفارسي لكن بشرط أن تساهمي أنتِ بكل ما تملكين بالإضافة لعهد منك على تعويضنا في حال أن غدر بنا ذلك التاجر.

(نافجة): وكيف سأعوضكم إذا ساهمت بكل مالي؟

(كبير التجار): هذا هو عرضنا..

(نافجة): موافقة.

(التاجر٣) وهو يدنو بالقرب من (نافجة) ويهمس في أذنها: لماذا تخاطرين بأموالك الأمر لا يستحق.

(نافجة): أنا لا أفرض السوء في البشر حتى أرى بعيني..

(التاجر٣): ولكن من الحكمة أخذ المشورة ونحن أكبر منك سناً وأقدم في هذه المهنة.

(نافجة): إذا لم أخاطر لن يتغير حالي.

(التاجر٣): ما به حالك؟ أنتِ من كبار التجار الآن وتملكين من الأموال الكثير.

(نافجة) وهي تبتسم: لو كنت اكتفيت بما أملك في أي مرحلة من حياتي لما كنت أجلس معكم الآن.

(التاجر٣): كما تشائين..

في اليوم التالي عقد التجار الاتفاق مع التاجر الفارسي وسلموه الأموال ووعدهم بأن يعود بعد أربعة أشهر بالبضائع التي اشتروها لكن (كبير التجار) قاطعة وقال:

ثلاثة أشهر كافية لمثل هذه الرحلة فلماذا تطلب أربعة؟

(التاجر الفارسي) مبتسماً بالعربية: البضائع التي طلبتموها موزعة على عدة مدن في «فارس» وأحتاج وقتاً أطول من المعتاد لجمعها.

(التاجر الكبير) وهو يرمق (نافجة) بنظرة: ما رأيك يا سيدة (نافجة)؟

(نافجة) موجهة كلامها للتاجر الفارسي: أربعة أشهر فقط أيها الفارسي؟

(التاجر الفارسي) وهو يصعد على متن سفينته مبتسماً: لا تقلقي يا سيدتي أربعة أشهر لن أزيد عليها يوماً.

رحل التاجر الفارسي ومضى الشهر الأول والثاني وانتصف الثالث ولم يدب القلق والشك في قلب (نافجة) وبقية التجار من عودة التاجر الفارسي إلا بعدما مضى أسبوع بعد اكتمال الشهر الرابع لذا طلب (كبير التجار) عقد اجتماع لمناقشة الأمر:

(كبير التجار) وهو يفتتح الاجتماع بكلام موجه لـ(نافجة): ما العمل الآن؟.. التاجر الفارسي لم يعد.

(نافجة) وعلى وجهها خليط من الإحراج والغضب: لا أعرف ماذا أقول..

(التاجر٢): أنا لست متفاجئاً مما حدث.

(التاجر٣) بحسرة: هل معنى ذلك أن أموالي قد ضاعت؟!

(نافجة) وهي تقف: لا.. أموالكم محفوظة وستعود لكم.

(التاجر١) بسخرية: وكيف ستعود لنا؟.. أنتِ الآن معدمة ولا تملكين شيئاً سوى منزلك وحوانيتك ولو قمتِ ببيعها كلها لن تعوض مال واحد منا.

(نافجة) تنزل رأسها وتقول: سأرحل لـ«فارس» وسأنتزع حقنا عنوة.

(كبير التجار): أقدر حرصك يا (نافجة) لكن كلامك لا يقبله عقل.

(نافجة) وهي ترفع رأسها وتنظر لـ(كبير التجار): لماذا؟

(التاجر١): أنتِ مجرد امرأة ولم تزوري «فارس» من قبل فكيف ستجدين ذلك التاجر وتأخذين حقك منه؟

(التاجر٢): ولا تنسي أنه على علاقة بالأسرة الحاكمة هناك وهذا سيجعل الأمر أكثر تعقيداً.

(التاجر٣) يحدق بـ(نافجة) بصمت..

(نافجة) موجهة كلامها لـ(كبير التجار): إما أن أعود بأموالكم أو أموت هناك هذا عهد مني..

(كبير التجار): قد لا أثق بتجار «الفرس» لكني أثق بك.. ارحلي وسأمهلك ستة أشهر كاملة.

(التاجر١) بغضب: كيف تسمح لها بالرحيل دون أن تعوضنا بما تسببت لنا به من خسارة؟!

(التاجر٢): أتفق معه فأنت تعطيها فرصة للهرب وسوف تستغلها للتملص من ديونها.

(التاجر٣): أنا أثق بالسيدة (نافجة) ولا أمانع رحيلها.

(التاجر١) بصوت مرتفع: هذا شأنك أنت ونحن لسنا ملزمين برأيك!

(التاجر الكبير): كفى!!

صمت الجميع ولم يتحدث أحد..

(التاجر الكبير): إذا مضت الأشهر الستة ولم تعد (نافجة) سوف أسدد ديونها بنفسي.. هل ترضون بذلك؟

(التاجر١) بتجهم: لا بأس.

(التاجر٢): موافق.

(التاجر٣): لا بأس.

(نافجة): لا تقلقوا سأعود بأموالكم مهما كلفني الأمر.

خرج الجميع من المجلس وقبل خروج (نافجة) نادى عليها كبير التجار وطلب منها البقاء. جلست (نافجة) بجانبه وهي منصته فقال: أنا متيقن من صدقك وعزمك على استرجاع أموالنا لكنك وحدك لن تستطيعي النجاة في أرض غريبة.

(نافجة): لا تقلق يا سيدي سوف أتدبر أمري.

(كبير التجار): أريد أن تصطحبي شخصاً معك في رحلتك هذه.

(نافجة): شخص؟

(كبير التجار): نعم.. (طود).

(نافجة): ومن يكون (طود) هذا؟

(كبير التجار): أحد سكان هذه المدينة وأصله من شعب وادي «سوق» الذين هجروا الوادي.

(نافجة): لم أره من قبل؟

(كبير التجار): لأنه لا يبقى كثيراً في المدينة ويخرج دائماً ليرافق التجار المتوجهين لشمال الجزيرة وغربها ليوفر لهم الحماية بمقابل.

(نافجة): إذاً فهو فارس؟

(كبير التجار) وهو يضحك: لا.. (طود) كتيبة من الفرسان لوحده.

(نافجة): ماذا تقصد؟

(كبير التجار): لا تفكري بشأنه الآن.. عندما يعود يمكنك الرحيل بصحبته.

(نافجة): ولماذا تريد منه مرافقتي؟.. هل تشك بنيتي في العودة؟

(كبير التجار): لا أشك بنيتك في العودة لكن أشك بقدرتك..

(نافجة): أنا قادرة على الاعتناء بنفسي ولا احتاج حارساً معي.

(كبير التجار): بلاد «فارس» ليست بالمكان الهين أو الصغير كي تتجولي فيه لوحدك خاصة وأنكِ من المحتمل أن تصطدمي مع بعض المرتبطين بالملك و(طود) سيقدم لك عوناً كبيراً في هذا الجانب فقد رافق الكثير من التجار لـ«فارس» في أكثر من مناسبة.

(نافجة) تنزل رأسها وتفكر..

(كبير التجار): الأمر لا يتطلب تفكيراً فـ(طود) سيكون عاملاً مهماً في تحقيق مسعاك.

(نافجة): ومتى سيعود؟

(كبير التجار): القافلة التي رافقها وصلت لـ«الحجاز» وبالتأكيد تحركت للعودة ولا أظن أن الأمر سيستغرق أكثر من شهر

(نافجة): أخبره إذاً بأن يلتقي بي في «هجر» بعد شهرين من الآن.

(كبير التجار) بتعجب: ولماذا «هجر» بالذات؟

(نافجة): قبل رحيلي عن الجزيرة يجب أن أقوم ببعض المهام وسوف أنتهي منها خلال تلك الفترة.

(كبير التجار): وكيف سيتعرف عليك أو تتعرفين أنتِ عليه؟

أخرجت (نافجة) من جيبها وشاحاً أحمر ومدته لـ(كبير التجار) وقالت:

أخبره بأن يلف هذا الوشاح على عنقه بمجرد دخوله «هجر» وأن يتوجه للسوق الكبير هناك وسوف أجده.

أخذ التاجر الكبير الوشاح من (نافجة) وقال: متى تنوين الرحيل؟

(نافجة): لن تشرق شمس الغد إلا وأنا في الطريق نحو «هجر».

(كبير التجار): رافقتكِ السلامة يا ابنة (أملج).

خرجت (نافجة) من منزل التاجر الكبير والذي كان مقر الاجتماع وتوجهت لمنزل تاجر الدواب المعروف في البلدة وطرقت بابه ففتح لها وقال باستغراب:

سيدة (نافجة)؟.. ما الذي أتى بك في هذه الساعة؟

(نافجة): أحتاج دابة قوية كي أصل بها لـ«هجر».

(تاجر الدواب): في الصباح توجهي لمتجري واختاري ما تشائين.

(نافجة): لا وقت لدي فأنا راحلة الآن.

(تاجر الدواب) وهو يتقدم خارج منزله: الآن؟.. ما الذي حدث؟ لِمَ العجلة؟

(نافجة): هل ستضيع وقتي بالكلام أم أنك ستعطيني ما أتيت لأجله؟

(تاجر الدواب) وهو يغلق باب منزله: لا لا يا سيدة (نافجة) هيا بنا لمربط الدواب في السوق واختاري منها ما تشائين.

ذهب الاثنان للمكان الذي كانت دواب التاجر مربوطة فيه وأوقظ الحارس الذي كان موكلاً بحراستها وقال لـ(نافجة): اختاري ما تشائين..

(نافجة) وهي تمعن النظر بالدواب المربوطة ثم تشير لأحدها:

ماذا عن ذلك الجواد؟

التاجر وهو يتقدم نحو الجواد ويضع يده على ظهره: اختيار جيد فهو سريع وقوي لكن هذا النوع لا يتحمل العطش كثيراً وتحتاجين لسقيه بشكل متكرر.

(نافجة): لن يكون نافعاً لأن مصادر المياه في طريقي شحيحة.

(تاجر الدواب) باستغراب: الطريق من هنا لـ«هجر» به وقفات كثيرة للتزود بالمياه.

(نافجة) وهي تتمعن بقية الدواب: وجهتي الأولى لن تكون «هجر».

(تاجر الدواب): إلى أين إذاً؟

(نافجة) وهي تتجاهل سؤال التاجر: وهذه الفرس.. هل قدرتها على تحمل العطش جيدة؟

(تاجر الدواب): نعم لكن سرعتها ليست كبيرة.

(نافجة): لا بأس سأخذها.. كم ثمنها؟

(تاجر الدواب) وهو يبتسم: هي هدية لك.. رافقتكِ السلامة يا سيدة (نافجة).

ابتسمت (نافجة) وامتطت الجواد وصرخت في حارس المربط وقالت: متى كانت آخر مرة تزودت هذه الفرس بالماء والعلف؟!

(الحارس): نحن نطعمها مرتين في اليوم وللتو انتهيت من إطعام جميع الدواب وسقيها.

(تاجر الدواب) وهو يمد صرة من الطعام لـ(نافجة): لا تنسي نفسك يا سيدة (نافجة).

(نافجة) تأخذ الصرة من التاجر مبتسمة وتضرب خصر الفرس بقدميها وتنطلق في الأفق..

سارت (نافجة) واعتمدت على النجوم للوصول لأماكن التزود بالماء وبعد مسيرة أيام وصلت لمضارب قبيلة (الحيادرة) ودخلت عليهم وهي امرأة في أول عقدها الخامس من العمر وبمجرد دخولها اعترضها فرسان القبيلة وسألوها عن غرض زيارتها فأخبرتهم بأنها ترغب في لقاء شيخ القبيلة (هماد) فقال أحدهم:

وماذا نقول للشيخ إذا سأل عن هوية من يرغب في لقائه؟

(نافجة) وهي ترفع الخمار عن رأسها: أخبروه بأن (الجدعاء) ترغب في لقائه.

(الفارس): سنخبره لكن قد لا يوافق على مقابلتك ويرسل لكِ مندوباً عوضاً عنه فهو لا يقابل أحداً إلا من الأمراء والشيوخ.

(نافجة): لا بأس.

(الفارس): اتبعينا إذاً.

تبعت (نافجة) الفرسان حتى أوقفوها خارج خيمة شيخ القبيلة وطلبوا منها الانتظار حتى يسمح لها بالدخول عليه أو مقابلة من سينوب عنه لكن وبعد دقائق من دخول الفرسان خرج من كان في المجلس من الأمراء والشيوخ الذين كانوا في مجلس الشيخ وضيافته وتبعهم الشيخ (هماد) وهو يلتفت بنظره يميناً وشمالاً بتوتر حتى وقعت عينه على (نافجة) التي كانت لاتزال على ظهر فرسها فتوجه لها بخطوات متسارعة وبعض حراسه يتبعونه وضيوفه عند مدخل خيمته الكبيرة يراقبون ما يقوم به باستغراب لأن الشيخ (هماد) عُرف واشتهرعنه بأنه لا يخرج من خيمته لاستقبال أحد أبداً لذا تحول تعجبهم لاندهاش عندما رأوه يصل لفرس (نافجة) ويمسك بلجامها ويحدق بـ(نافجة) ويقول:

أطلتِ الغياب يا ابنة (أملج)..

نزلت (نافجة) من على صهوة الفرس ووقفت أمام (هماد) وقالت وهي تبتسم:

كيف حالك يا شيخ (الحيادرة)؟

أمسك (هماد) برأس (نافجة) وقبله وهو يقول: بأفضل حال والفضل يعود لك..

اندهش جميع من كان يشاهد تقبيل (هماد) لرأس تلك المرأة لدرجة أن بعض الاحاديث الجانبية الساخطة مما فعله بدأت تنشأ بين ضيوفه الذين تجاهلهم بوضعه يده على كتف (نافجة) واقتيادها لخيمته وأمره للحراس بأن لا يدخل عليهم أحد.

جلست (نافجة) وقالت: لا تتجاهل ضيوفك من علية القوم لأجلي لقد أتيت للسلام عليك فقط.

(هماد) وهو يجلس وعلى وجهه ابتسامة عريضة: فليذهبوا للجحيم فكلهم أتوا ليطلبوا شيئاً من فضلي وأنتِ فقط من أدين له بكل الفضل.

(نافجة): لا تقل ذلك فأنت من صنعت مجدك بنفسك وأنا لم أكن سوى عونٍ لك في مرحلة ما.

(هماد): أنتِ السبب الوحيد في ما وصلت إليه من مجد ولو أنكرت ذلك لأصبحت ناكراً للمعروف ولا أستحق شيئاً منه.

(نافجة) تبتسم ولا ترد..

(هماد): كيف حالك وأين كنتِ تلك السنين؟

(نافجة): ما زلت أتنفس وما زلت أسعى خلف حلم بعيد وضعته نصب عيني.

(هماد): انتهى ترحالك ومستقرك سيكون بيننا.

(نافجة) مبتسمة: لا يا شيخ ما زال الطريق طويلاً أمامي.

(هماد) بتجهم: هل سترحلين مرة أخرى؟!

أحد الفرسان يستأذن بالدخول على (هماد)..

(هماد) بغضب: ماذا تريد؟!.. ألم آمر بأن لا يزعجنا أحد.

(الفارس) ورأسه للأرض: عذراً يا شيخ لكن بعض الضيوف بدأوا بالرحيل عن مضارب القبيلة.

(دهام) بغضب: فليرحلوا!!

خرج الفارس بسرعة وتوتر..

(نافجة): ما هكذا علمتك يا شيخ (هماد).

(هماد) بتجهم: أنتِ لا تعرفين ما أعاني منه فكل من يتقرب مني يريد شيئاً لنفسه وكل مودته لي ماهي إلا نفاق!

(نافجة): العظمة وعلو الشأن لا يأتيان بلا ثمن..

(هماد): أنا لم أتزوج حتى الآن بسبب عدم ثقتي بأحد.. إذا كان أعمامي كانوا يريدون قتلي والاستيلاء على مشيخة القبيلة فما بالك بالأغراب؟

(نافجة): يجب أن تثق بالناس وإلا ستستيقظ يوماً لتجد نفسك وحيداً في هذا العالم.

(هماد): الوحدة لن تؤذيك إذا كنت متصالح مع نفسك..

(نافجة): لكنك لست متصالحاً مع نفسك والدليل القلق الذي تعيشه.

(هماد) وهو يبتسم: كنتِ وما زلتِ الوحيد الذي يربط لساني عن الرد.

(نافجة) وهي تضع يدها على خد (هماد):

لا تكن عدو نفسك وتحرمها من حب الناس..

(هماد) يضع يده على يد (نافجة) ويبتسم بصمت..

(نافجة) وهي تسحب يدها مبتسمة: اخرج الآن والحق بضيوفك واعتذر منهم.

(هماد) وهو يقف مبتسماً: أمرك يا (جدعاء)..

في المساء استأذن (هماد) بالدخول على (نافجة) في الخيمة التي أمر بتجهيزها لها وبعد دخوله وجلوسه بجانبها قال: هل تحتاجين شيئاً آخر؟

(نافجة): سأبقى في ضيافتك بضعة أيام ثم سأشد الرحال نحو «هجر».

(هماد) وهو يبتسم: لا فائدة من الجدال معك.

(نافجة) وهي تبتسم: وهل أفادك ذلك في الماضي؟

(هماد) وهو يضحك: لا!

(نافجة) وهي تضحك: لا تبدأ اليوم إذاً.

(هماد): لماذا تريدين العودة لـ«هجر»؟.. ألم تخبريني أنك تركتيها عندما كنتِ صغيرة ولم تعودي لها منذ ذلك الوقت؟.. هل عدت إليها بعد رحيلك من القبيلة؟

(نافجة): لا ولم أفكر بالعودة إليها إلا من وقت قريب.

(هماد): ولِمَ الآن؟

(نافجة) وهي تزفر: سأتوجه لبلاد «فارس» ولا أعرف إذا كنت سأعود من تلك الرحلة أم لا.

(هماد) وهو يضع يده على يد (نافجة) بقلق: لا تذهبي إذاً..

(نافجة): قطعت عهداً ولن أحنث به حتى لو خسرت حياتي سعياً لتحقيقه.

(هماد) بحزن: ما الذي تحتاجينه مني كي أجعل من رحلتك أكثر سهولة؟

(نافجة) وهي تبتسم: لا شيء يا شيخ سوى رؤيتك بأحسن حال وزيارة قبر أبي ورؤية أمي إذا كانت لاتزال على قيد الحياة ولم ترحل للجنوب كما كانت تقول.

(هماد): وهل ستتوجهين لـ«هجر» على تلك الفرس الضعيفة؟

(نافجة) وهي تبتسم:

تعرف عشقي للخيل الأصيل وهديتك مقبولة مقدماً يا شيخ (هماد).

(هماد) وهو يبتسم: لن أسألك أين (كحلان) لكن سوف أهديك فرساً من نسله.

(نافجة): سأراها في اليوم الذي أقرر فيه الرحيل.

بعد بضعة أيام عقدت (نافجة) العزم على الرحيل من مضارب قبيلة (الحيادرة) والتوجه نحو «هجر» وقبل رحيلها أهداها الشيخ (هماد)

فرساً من نسل (كحلان) وكانت فرساً شقراء كلون الذهب وخصرها ضيق ولم يكسر لونها إلا غرتها البيضاء. عيناها كانتا واسعتين وجبينها عريض بالرغم من صغر حجم رأسها ورقبتها المقوسة كانت أبرز معالم الجمال فيها. أمسكت (نافجة) لجام الفرس وقالت وهي سارحة في جمالها: ما اسمها يا شيخ (هماد)؟

(هماد) وهو يمسح على ظهر الفرس مبتسماً: (الجموح ابنة شويم ابن كحلان).

(نافجة) وهي تحك خدي الفرس: أصيلة ابنة أصيل..

(هماد): وهي محملة بما تستطيع حمله من الذهب والغلام الذي معها عبدٌ سيرافقك خلال سفرك وسيكون بخدمتك.

(نافجة): أخبرتك أني لا أريد شيئاً يا شيخ (هماد).

(هماد): وأنا لم أعطك شيئاً يا (جدعاء).

امتطت (نافجة) (الجموح) وودعت (هماد) وتوجهت نحو «هجر»..

***

ابنة الجنوب

عندما رأت (نافجة) أسوار «هجر» تطل عليها من الأفق تحت ضوء النهار أخذت نفساً عميقاً واسترجعت في ثوان ذكريات طفولتها فيها وزفرت غبار السنين الذي تراكم على قلبها وهي بعيدة عنها. دخلت المدينة وهي تمتطي (الجموح) ولم تتوقف حتى وصلت لمنزلها السابق الذي لم يكن مهجوراً كما توقعت فقد رأت بعض الأطفال يلعبون أمامه وبابه مفتوح فنزلت من فرسها ومدت لجامها للغلام الذي كان بصحبتها كي يربطها وأمرته بالانتظار بجانبها. بدأت تتقدم بخطوات مترددة نحو المنزل وقبل وصولها لعتبة الباب استوقفها أحد الأطفال الذين كانوا يلعبون أمام باحته بشد لباسها وهو يقول: من أنتِ؟!

(نافجة) وهي تنزل على ركبتيها وتبتسم للطفل وتقول: هل تسكن مع أهلك في هذا المنزل؟

(الطفل) وهو يهز رأسه بالموافق: نعم!.. أنا وبقية إخوتي وخالاتي.

(نافجة) وهي تنزل خمارها وتقبل الطفل: وأين أمك؟

جرى الطفل مسرعاً إلى داخل المنزل وهو ينادي بصوت مرتفع

ويقول:

أمي!.. أمي! هناك سيدة غريبة تبحث عنك!

بعد دقائق خرجت سيدة من المنزل والطفل يجري أمامها ويعود للعب مع بقية الأطفال. وقفت (نافجة) وهي تبتسم وتقول: عذراً على إزعاجكم لكني كنت أقيم في السابق في هذا المنزل واحببت المرور به فقط.

ادارت (نافجة) ظهرها وهي تعيد الخمار على رأسها وتهم بالرحيل لكنها توقفت مصدومة عندما قالت المرأة بصوت متوتر: هل أنتِ (نافجة)؟

(نافجة) وهي تلتفت على المرأة باستغراب: كيف عرفتِ اسمي؟

تقدمت المرأة والدموع تغمر عينيها وعانقت (نافجة) وبدأت تبكي..

خرج من المنزل ثلاث نساء أخريات وعندما رأوا تلك المرأة تعانق (نافجة) وتبكي سألتها أحداهن وقالت: ما بك يا (نجمة)!

(نجمة) وهي تفك عناق (نافجة) ولا تزال تدمع: لقد عادت (نافجة)!

اندفع النساء الثلاثة وعانقوا (نافجة) المستغربة والمتعجبة مما يحدث وعندما رأى الأطفال عناق أمهاتهم لها اندفعوا كذلك وعانقوها و(نافجة) بينهم تكاد تختنق وتقول: ما بكم؟! ما الذي يحدث؟!

بعد انتهاء ذلك العناق الجماعي طلب النساء الأربعة من (نافجة) الدخول وعندما دخلت للمنزل نسيت أمرهن وبدأت تتمعن في

اركانه وتتذكر أبيها وأمها والأيام الخوالي التي قضتها كطفلة شقية فيه. جلست (نافجة) في أحد الأركان والحزن يهيمن على محياها ولم تتكلم واكتفت بالصمت والتحديق بالأرض. جلست أحد النساء الأربعة بجانبها ووضعت يدها على كتفها وهي تقول:

لقد كان مع العمة حق..

(نافجة) وهي ترفع نظرها للمرأة: عمّن تتحدثين؟

(المرأة) وهي تبتسم وتدمع: العمة (فيصاء) كانت تقول دائماً أن أختكم (نافجة) ستعود.

(نافجة) والحماس يغزوها: هل أمي لاتزال تسكن هنا؟!.. أين هي؟!

(نجمة) وهي تقف مع أخواتها أمام (نافجة): العمة (فيصاء) تركتنا قبل عامين

(نافجة): أين ذهبت؟!

(نجمة): ذهبت لتعانق العم (أملج) كما قالت..

(نافجة) وهي تنزل رأسها: ماتت إذاً..

(نجمة): لقد انتظرتك لسنوات وكانت تقول دائماً إنك ستعودين.

(المرأة) وهي تبتسم وتدمع: بصراحة كنا نظن أنك من نسج خيالها.

(نافجة): ومن أنتم؟

(المرأة): أنا (جليلة) وهذه أختي (نجمة) وذات الشعر الطويل (ميسر).

(نافجة): وتلك الممتلئة؟

(جليلة) وهي تضحك: تلك (وجناء) أكبرنا عمراً وحجماً.

(نافجة): وماذا تفعلون هنا؟.. هل تزوجت أمي بعد أبي وانجبتكم؟

(جليلة): لا أظن أن العمة (فيصاء) كانت تملك في قلبها حباً لأحد بعدك أنتِ والعم (أملج).

(نافجة) بتجهم: ماذا إذاً؟! لماذا تقيمون هنا مع أطفالكم في منزلها؟!

(وجناء): هؤلاء ليسوا بأطفالنا.

(نافجة): هل سنمضي بقية اليوم في الحديث بالألغاز؟!

(نجمة) وهي تجلس بجانبه (نافجة): سأخبرك..

حكت (نجمة) ما حدث بعد رحيل (نافجة) من «هجر» وأخبرتها بأن (فيصاء) عقدت العزم بالفعل على الرحيل نحو الجنوب لكن حبها لذكراها وذكرى أبيها كان أقوى منها ولم تستطع ترك منزلها حتى وإن كان خاوياً ويملك في كل زاوية منه ذكرى أليمة لذا قررت البقاء والعيش من الأموال التي حصلت عليها من تصفية تجارة (أملج). ومع مرور الأيام صادفت (فيصاء) في طريقها وهي عائدة من السوق فتاة صغيرة تبكي لوحدها وعندما سألتها اكتشفت بأنها يتيمة الأب وأن سبب بكائها هو أنها لا تملك ثمن شراء طعام لها ولأمها، فأعطتها المال الذي تحتاجه ورافقتها لمنزلها وساعدت تلك الأسرة المعدمة بالمزيد من المال ووجدت في تلك المساعدة حلاوة وتذوقت لأول مرة

السعادة منذ فراق زوجها وابنتها ومنذ ذلك الوقت أصبحت (فيصاء) تعين الفقراء وتتبنى الأيتام الذين يفقدون ذويهم وتربيهم في منزلها وكأنهم أطفالها.

(نافجة) وهي تبتسم بحزن: وهل أنتن من الأيتام الذين تبنتهم؟

(جليلة): نعم ومنذ أن فقدت قدرتها على العناية بالأطفال الذين كانت تتبناهم دائماً تولينا نحن المهمة بدلاً عنها.

(نافجة) وهي تبتسم وتدمع: حولت منزلنا إذاً لدار للأيتام.

(نجمة): نعم شيء من هذا القبيل.

(نافجة): وما علاقة هذا بمعرفتكم لي؟

(ميسر): لقد كانت تقول لنا دائماً أنها تقوم بها تقوم به لأجل ابنتها (نافجة) ومع مرور الوقت أخبرتنا بحكايتك وحكاية رحيلك عن «هجر» بعد مقتل العم (أملج) وكانت متيقنة من عودتك يوماً لـ«هجر».

(نافجة) وهي تدمع: يبدو أني تأخرت..

(نجمة): لقد وصفت لنا شكلك بالتفصيل أكثر من مرة.. كانت تحب الحديث عنك وعن مشاكساتك عندما كنتِ صغيرة.. عندما رأيت أذنك المقطوعة عرفتك مباشرة

(نافجة) بحزن: وأين دفنتموها؟

(وجناء): خلف المنزل بجانب قبر العم (أملج) كما طلبت منا قبل وفاتها..

(نافجة) وهي تنهض بثقل وتتوجه لقبر والديها: اتركوني معهم..

رحل النساء الأربعة وتركوا (نافجة) أمام قبر والديها تدمع وتقول لأمها:

كسرتِ قلبي مثلما كسرت قلبك يا ابنة الجنوب.. حياتك كانت أكثر قيمة من حياتي وتمنيت لو أني عشتها معك..

(نافجة) وهي تضع يدها على قبر أبيها: اعتنِ بها يا أبي فلن يطول فراقنا..

نهضت (نافجة) من أمام قبر أبويها وعادت للمنزل وطلبت من (جليلة) إحضار الحمولة التي كانت على (الجموح) وعندما وضعوها أمامها أخرجت محتواها من الذهب ووقالت:

سوف أشتري لكم مزرعة وبعض الأبقار والغلام الذي بالخارج سيكون في خدمتكم ومايتبقى من المال أكملوا به عمل أمي واعتنوا بهؤلاء الأطفال.

(نجمة): ألن تبقي معنا يا سيدة (نافجة)؟

(نافجة): أياماً معدودة فقط وبعدها سأرحل..

(جليلة): إلى أين؟

(نافجة): إلى حيث يجب أن أكون..

أقامت (نافجة) في الأيام التي تلت ذلك في منزل والدتها مع من كانوا يقيمون فيه وشاركتهم كل أمور حياتهم اليومية وأحست (نافجة)

بسعادة لم تحس بها منذ زمن طويل لأنها قضت معظم حياتها في الترحال. خلال إقامتها كانت (نافجة) حريصة على الخروج يومياً للسوق حتى لو لم يكن لها حاجة في ذلك لأنها كانت في انتظار وصول (طود) حسب اتفاقها مع كبير التجار وفي أحد الأيام وبينما كانت تتجول في السوق مع (نجمة) لمحت رجلاً ضخماً مفتول العضلات يمشي في السوق بين الناس وكان رأسه ومنكبيه أعلى من حشود الناس التي كان يسير بينهم وعرفت بأنه (طود) عندما رأت الوشاح الأحمر ملفوفاً على عنقه. تقدمت (نافجة) حتى وصلت إليه واستقرت أمامه فنظر إليها بصمت حتى قالت: (طود) من وادي «سوق»؟

هز (طود) رأسه بالموافقة ولم يتفوه بكلمة واحدة..

(نافجة) وهي تبتسم: اتبعني..

سارت (نافجة) وتبعها (طود) بصمت و(نجمة) تلتصق بها والتوتر والخوف ظاهرانِ عليها وهي تقول: من هذا يا عمة ولماذا طلبتِ منه أن يتبعنا؟

(نافجة) وهي تكمل المسير وتنظر أمامها: لا تقلقي فلا خوف منه..

وصل الثلاثة للمنزل وبمجرد وصولهم اندفع الأطفال وعانقوا (نافجة) و(ونجمة) ولكنهم عندما رأوا (طود) توجهوا إليه وبدأوا يتفحصونه وبعضهم بدأ بمحاولة تسلقه.

(نافجة) وهي تنظر لـ(طود) وتبتسم: تفضل بالدخول يا (طود).

مشى (طود) بضع خطوات وتوقف عند باحة المنزل ولم يتقدم أكثر فقالت (نجمة) لـ(نافجة):

لا أظنه يستطيع الدخول يا عمة فباب المنزل لا يتسع لرجل بضخامته.

(نافجة) لـ(طود): لا بأس يمكنك الجلوس في الخارج وسوف أطلب من بناتي إعداد مكان لك كي تنام فيه.

جلس (طود) بصمت وعاد الأطفال يجتمعون حوله ويتسلقون عليه وهو يجلس صامتاً دون حراك يحدق أمامه.

(نجمة) وهي تهمس في أذن (نافجة): هل هذا الرجل آمن يا عمة؟

(نافجة) وهي تنظر لـ(طود) وتبتسم: اذهبي وأعدي له بعض الطعام واطلبي من بقية أخوتك أن يعدوا له فراشاً كي ينام عليه مع الغلام خارج المنزل.

(نجمة): ومن أين لنا بفراش بحجمه يا عمة؟

(نافجة) بعصبية: تصرفي يا (نجمة) حتى لو استلزم الأمر أن نبتاع فراشاً جديدا!

(نجمة): أمرك يا عمة.

في المساء وبعد أن جهز النساء مكان نوم (طود) خارج المنزل ووضعوا أمامه بعض الطعام الذي تناوله لوحده بهدوء جلست (نافجة) بجانبه وبدأت تتحدث معه:

(نافجة): هل أخبرك التاجر الكبير بتفاصيل مهمتك معي؟

(طود) يهز رأسه بصمت وهو يتناول الطعام..

(نافجة): أخبرني التاجر أنك زرت «فارس» عدة مرات هل هذا صحيح؟

(طود) يهز رأسه بالموافقة..

(نافجة) وهي تبتسم: يبدو أنك لا تحب الحديث كثيراً.

(طود) يهز رأسه بالموافقة..

(نافجة) وهي تبتسم: لا يهمني حديثك بقدر عملك.

(طود) وقد انتهى من تناول طعامه: يجب أن نرحل غداً إلى ميناء الساحل الشرقي

(نافجة) وهي تنهض: سأكون جاهزة في الصباح.. خذ قسطاً من الراحة الآن.

في الصباح الباكر خرجت (نافجة) من المنزل دون أن توقظ أحداً من النساء أو الأطفال النائمين لتجد (طود) في انتظارها فقالت: أين دابتك؟

(طود) وهو يضرب على قدميه: هذه هي دابتي.

(نافجة) وهي تبتسم: المسافة ليست قصيرة ويجب أن نعبر البستان الكبير قبل بلوغنا الساحل الشرقي.

(طود) ينحني ويشير لـ(نافجة) بالركوب على أكتافه..

(نافجة) وهي تبتسم بتعجب: هل أنت جاد؟

(طود) وهو لا يزال منحنياً: يجب أن نرحل الآن..

صعدت (نافجة) على ظهر (الجموح) وهي تقول: قد الطريق وسوف أسير خلفك.

(طود) يبدأ بالمسير بخطوات متسارعة بصمت..

(نافجة) وهي تغطي رأسها بخمارها وتشد لجام (الجموح): لا تنسَ أن تقف لنتزود بالماء أيها الضخم.

بعد مسيرة نهار كامل وجزء من الليل توقف (طود) عند بئر البستان الكبير الذي كان المسافرين القادمين والذاهبين من وإلى الساحل الشرقي يتزودون منه بالماء. نزلت (نافجة) من على ظهر (الجموح) وجلست على الأرض تحدق بالناس الذين تجمعوا حول البئر ليتزودوا بالماء وكانت أعدادهم كبيرة فقالت:

هناك زحام على البئر الآن لننتظر حتى يرحلوا..

مد (طود) يده لـ(نافجة) في إشارة منه بأن تعطيه القربة المخصصه للماء والتي كانت معها فمدتها له. أخذ (طود) القربة وتوجه للبئر وبمجرد اقترابه تفرق الناس في ذهول من ضخامته وأفسحوا له الطريق طواعية دون أن يكلمه أحد فقام بملء قربته بالماء وعاد لـ(نافجة) التي كانت تراقب المنظر وهي تبتسم. عندما جلس (طود) بجانب (نافجة) مد لها قربة الماء فقالت وهي تبتسم:

اشرب أنت أولاً فلقد بذلت مجهوداً أكبر مني خلال الطريق..

(طود) يهز القربة وهي ممدودة في إشارة منه بأنه لن يشرب قبل (نافجة)..

(نافجة) وهي تأخذ القربة وترفعها لتشرب: متى تظن أننا سنصل للساحل الشرقي؟

(طود): غداً وبعدها سنستقل أول سفينة متوجهة لـ«فارس»..

(نافجة) وهي تمسح فمها بظهر يدها وتمد القربة لـ(طود):

وهل سنركب سفينة عربية أم فارسية؟

(طود) وهو يتناول القربة من يد (نافجة) ويرفعها ليشرب: لا فرق..

(نافجة): بل يوجد فرق فأنا لا أثق بالفرس خاصة بعد ما قام به ذلك التاجر من نهب لأموالنا.

(طود) وهو يضع القربة جانباً: في البحر يجب أن تثقي بالجميع لأن الموت لا يفرق بين عربي وفارسي عندما يأتي باحثاً عنك.

(نافجة) وهي تستلقي لتنام: كما تشاء لكني أحذرك من التعامل مع هؤلاء القوم.

(طود): شعبي حاربهم في الماضي وأبيد معظمهم بسبب الفرس لذا فالوقت قد فات على هذه النصيحة.

(نافجة) وهي لا تزال مستلقية: ومع ذلك ما زلت تثق بهم..

(طود): أنا أثق بقوتي في صد غدرهم..

(نافجة) وهي تغمض عينيها: كما تشاء أيها الضخم.

كان البستان الذي أمضت فيه (نافجة) و(طود) ليلتهما منطقة مليئة بالنخيل والأشجار المثمرة لذا عند استيقاظهما في الصباح تزودوا بالماء من البئر مرة أخرى بالإضافة لبعض البلح والثمار الأخرى التي انتشرت في ذلك البستان. تحرك (طود) باتجاه الساحل الشرقي و(نافجة) تتبعه مُمتَطِيَة فرسها (الجموح) ولكنه هذه المرة بدأ يهرول بشكل أسرع من السابق فسألته (نافجة) وهي تضرب خاصرة فرسها للحاق به: لماذا تجري بسرعة؟

(طود): سوف أقطع مسافة كبيرة قبل أن تشتد حرارة الشمس..

وبالفعل وبعد أن أصبحت الشمس عمودية على رأس (طود) خفف من وتيرة هرولته حتى أصبحت خطوات متقاربة ومشيه بطيئاً:

(نافجة) وهي تخفف من سرعتها وتسير بجانب (طود): هل تعبت أيها الضخم؟

(طود) ورأسه للأرض متفادياً أشعة الشمس فوق رأسه: لا

(نافجة): ألم يكن من الأفضل لو أنك أمتطيت دابة؟

(طود) بصوت خافت ورأسه للأرض: الدواب لا تطيق معي صبراً..

(نافجة) وهي تبتسم: لا بأس أكمل طريقك أيها الضخم..

عندما نزل قرص الشمس وأصبح في الأفق توقف (طود) وقال:

لقد بقي مسيرة يوم سأقطعها في نصف المدة جرياً لكنني أحتاج للتزود بالماء قبلها..

(نافجة) وهي تمد قربة الماء لـ(طود) مبتسمة: يبدو أن عقدة لسانك تحل مع حرارة الشمس

(طود) ينزل القربة بعدما شرب ويبتسم..

بعدما أخذ (طود) كفايته من الماء انطلق بسرعة نحو الساحل الشرقي لـ«هجر» للحاق بأول سفينة متوجة لأرض «فارس» و(نافجة) تتبعه بفرسها..

بعد وصولهم للساحل الشرقي باعت (نافجة) الفرس لأحد التجار في السوق (الخاوي) وأعطت جزءاً من المال لـ(طود) كي يدفعه لقبطان سفينة فارسية كي يستقلوا أول رحلة متوجهة لـ(فارس).

***

طعام الجن

استيقظت (دعجاء) ليلاً وخرجت من الخيمة الصغيرة وألقت بنظرها في الأفق وخلال تأملها خرجت لها (عِمرة) وتشكلت وقالت بحماس: أخيراً استيقظتِ يا عمة!!

(دعجاء) وهي تضحك: لقد أفزعتني يا أفعى!

(عِمرة) بحماس: هل ستخبرينني بقصص الخواتم الآن؟!

(دعجاء): انتظري حتى أستجمع أفكاري وأتناول شيئاً من الطعام.

(عِمرة) وهي تشعل ناراً وتشير لـ(دعجاء) بالجلوس: استريحي يا عمة وسوف أحضر لك كل ما تريدين.

جلست (دعجاء) أمام النار مبتسمة وتراقب (عِمرة) وهي تتجول ذهاباً وإياباً بينها وبين الخيمة وتحضر لها الماء والزاد. بعدما انتهت (دعجاء) من تناول طعامها جلست (عِمرة) بجانبها وقالت بحماس: هيا يا عمة!

(دعجاء) وهي تحدق بالنار وتعقد أصابعها: انتظري قليلاً.

بدأت بعدها (دعجاء) بقراءة بعض الطلاسم وبمجرد انتهائها ارتفعت ألسنة النار عالياً فتبسمت (دعجاء) وقالت: لقد زال أثر النقوش أخيراً.

(عِمرة) بسعادة: مبارك يا عمة!

(دعجاء): يمكنني الآن الخروج من هذا المكان والبحث عن بناتي.

(عِمرة) بوجه حزين: وماذا عن قصص الخواتم يا عمة؟

(دعجاء): ألا تريدين الرحيل عن هذا المكان؟

(عِمرة) بوجه محبط: بلى.. لكن..

(دعجاء) وهي تبتسم: حسناً سنمضي ليلتنا الأخيرة هنا وسأحكي لك قصص الخواتم بشرط أن نرحل من هنا أول الصباح.

(عِمرة) بسعادة كبيرة: موافقة!

رفعت (دعجاء) يدها أمام النار وقالت لـ(عِمرة): هيا اختاري واحداً منها.

(عِمرة) وهي تتمعن في الخواتم على يد (دعجاء) ثم تشير لواحدٍ منها وتقول:

هذا.. أختار هذا الخاتم الحجري!

(دعجاء) وهي تخلع الخاتم من يدها: هذا الخاتم ليس مصنوعاً من الحجر.

(عِمرة): من ماذا إذاً؟

(دعجاء) وهي تتمعن في الخاتم: من العظم.

(عِمرة): عظم؟.. عظام من؟

(دعجاء): لا أعرف لكنه كان هدية لامرأة..

(عِمرة): امرأة؟.. من كانت ولماذا أهديت خاتماً من العظم؟

(دعجاء): اسمعي قصتها وستجدين الإجابة على كل تساؤلاتك..

سردت (دعجاء) قصة الخاتم العظمي وتحدثت عن امرأة امتهنت رعي الغنم في الصحراء وكانت لا تغير مكان رعيها إلا في بعض المواسم بحثاً عن الكلأ لمواشيها. كانت تلك المرأة تعيش وحيدة مع أغنامها ولم تستوطن مدينة أو قرية طيلة حياتها ولا تعرف من الدنيا إلا ناقتها والغنم التي كانت ترعاها وتبيعها من وقت لآخر للقوافل التي تمر بها مصادفة. كانت تلك المرأة وبالرغم من قلة مواردها كريمة جداً فهي لا ترد الضيوف الذين تصادفهم في الصحراء ولا تقبل أبداً أي شيء مقابل استضافتها لهم فقد كانت تذبح لضيوفها أفضل مواشيها وتقدمها لهم بكل ود وسرور وتقوم أيضاً بإرشاد القوافل التائهة في الصحراء عن مصادر الماء إذا لجأوا إليها كعادة العرب في الكرم.

في أحد الأيام رأت تلك المرأة وهي تسير مع أغنامها شخصاً ملقىً على الأرض وكان فيما يبدو تائها أو قد افترق عن قافلته وتمكنت منه حرارة الشمس المحرقة. توجهت إليه بسرعة وسقته بعض الماء فاستعاد شيئا من عافيته لكنه لم يفق تماماً فأخذته معها ونصبت له خيمة صغيرة كانت تستخدمها للنوم إذا كان هناك رياح رملية لأنها

غالباً تفترش الأرض ولا تنام في الخيم. بدأ الرجل بإصدار أصوات غريبة خلال الليل فاستيقظت المرأة وتوجهت للخيمة للاطمئنان عليه فوجدته يئن وكأن ألماً قد أصابه فسألت وهي تقف عند مدخل الخيمة دون أن تقترب منه:

هل تشكو من شيء أيها الغريب؟

(الرجل) بصوت غريب: أحتاج للزاد..

(المرأة) وهي تخرج من الخيمة: سأعد لك بعض الطعام.

ذبحت المرأة أفضل خرافها وأشعلت ناراً لتطهو اللحم ولأن الماء كان شحيحاً ذلك الوقت اكتفت المرأة بتقليب قطع اللحم على النار حتى نضجت وقامت بوضع الخروف المشوي على بساط من سعف النخيل كانت تحتفظ به لتقديم الطعام لضيوفها عليه. وضعت المرأة الطعام أمام الرجل الذي كان مستلقياً في الخيمة وقالت له:

تناول طعامك الآن وستشعر بالتحسن..

نهض الرجل وبدأ يتناول الطعام بطريقة أثارت استغراب المرأة فقد كان يأكل وكأنه حيوان مفترس لكنها عزت ذلك لجوعه وخرجت من الخيمة لتحضر له بعض من الماء من القربة التي كانت على ناقتها وبالرغم من أن القربة كانت شبه فارغة من الماء إلا أنها حملتها للرجل ودخلت الخيمة لتسقيه فوجدته قد عاد واستلقى مكانه والطعام على حاله ولكن اللحم كان ممزقاً ومتناثراً. لم تلق المرأة بالاً لحال الطعام وركزت على سقي الرجل الذي شرب محتوى القربة بالكامل وعاد

واستلقى مرة أخرى. حملت المرأة سعف النخيل الذي كان فوقها اللحم الممزق وخرجت من الخيمة ووضعتها على الأرض وبدأت بتفحصها. لاحظت المرأة أمراً غريباً بعد تفحص الطعام وهو أن اللحم لم يمس لكنها لم ترى عظمة واحدة فزاد تعجبها واستغرابها عندما أدركت أن ضيفها لم يأكل سوى العظام. تناولت المرأة بعض من ذلك اللحم الممزق ثم قامت بدفن المتبقي ولم تفكر كثيراً في الأمر.

في الصباح دخلت على الرجل والذي كان لايزال نائماً فحاولت إيقاظه لتخبره بأنها سترحل كي تحضر بعض الماء من واحة قريبة لكنه لم يستيقظ فاختارت الرحيل والعودة بسرعة قبل نهاية النهار. امتطت المرأة الناقة وسارت باتجاه الواحة وفي المساء وقبل غروب الشمس بقليل عادت بالماء ونزلت عند الخيمة ودخلت لتسقي الرجل لكنها لم تجده على فراشه فخرجت من الخيمة تلتفت يميناً وشمالاً تبحث عنه لكنها لم تجد له أثرا فقامت بعد خرافها خشية أن يكون قد سرق بعضاً منها لكن أغنامها كانت مكتملة العدد مما زاد في استغرابها وحيرتها. لم تمض المرأة وقتاً طويلاً في التفكير وعادت لممارسة حياتها المعتادة وحيث قامت بإنزال ولف الخيمة الصغيرة التي كانت قد نصبتها للرجل سابقاً.

دخل الليل وأشعلت المرأة ناراً استلقت بجانبها في نية منها للخلود للنوم وبدأت تتمعن في ألسنة اللهب المشتعلة أمامها تفكر في ما حدث اليوم وخلال تحديقها بالنار لمحت وميضاً في الأفق يمر بسرعة أمامها

خلف النار نهضت المرأة مفزوعة عندما رأت ذلك الوميض الذي كان أشبه بكرة من الضوء. لم يكن هذا الوميض في السماء بل مر بسرعة خاطفة على الرمال ولكنها عندما وقفت وبدأت تمعن النظر لم ترَ شيئاً وقالت في نفسها:

يبدو أني أتوهم وما رأيته كان شرارة من النار الموقدة أمامي وخيالي تمكن مني..

استلقت المرأة مرة أخرى وعادت لتحدق بالنار حتى بدأ النعاس يداعب عينيها وقبل أن تغلقهما لمحت الوميض يمر أمامها مرة أخرى ولكنه هذه المرة لم يختفِ وبدأ يتحرك يميناً وشمالاً في الأفق والمرأة تراقبه بخوف. ظل وميض النور يتحرك في عدة اتجاهات بسرعة أمامها وهي تراقبه بقلق حتى اختفى تماماً. هجرها النوم وجلست أمام النار تقاوم الأفكار المريبة التي غزت عقلها تلك الليلة لكنها في النهاية استسلمت للنعاس وغطت في نوم عميق. استيقظت المرأة أول الصباح على صوت بعض الخيول التي كانت تقترب منها فنهضت لترى أنهم مجموعة من الرجال الذين كانوا يمرون من تلك المنطقة وبمجرد وصولهم إليها توقفوا وطلبوا منها إرشادهم للطريق نحو أقرب مصدر للمياه فأرشدتهم للبئر الذي كانت تتزود به من الماء لكنهم وبعد إرشادها لهم لم يرحلوا ونزل بعضهم من على خيولهم وقيدوها وسرقوا أغنامها وناقتها ورحلوا عن المكان فعلمت أنهم قطاع طرق كانوا تائهين في الصحراء.

بقيت المرأة مقيدة تحت حرارة الشمس حتى أسدل الليل أستاره فوضعت رأسها على الرمال وهي متيقنة من موتها. ظهر الوميض الخاطف الذي ظهر لها في الليلة السابقة وبدأ يتحرك أمامها يميناً ويساراً كما فعل في الليلة السابقة لكنها هذه المرة لم تجزع كثيراً واكتفت بمراقبة ذلك الوميض وهو يتراقص أمامها. لم تمضِ فترة طويلة حتى بدأت كرة الضوء بالاقتراب منها وهنا تسلل القلق إلى صدرها لكن ذلك القلق تحول لتعجب عندما تشكل الضوء بهيئة الرجل الذي ساعدته وجلس أمامها وقال: يبدو أنكِ واجهتِ بعض المشاكل اليوم..

(المرأة) وهي تراقب الرجل بخوف:...

(الرجل): أنا مدين لك بحياتي وسوف أرد ذلك الصنيع.

(المرأة): هل يمكن أن تحل قيودي أولاً؟

(الرجل) مبتسماً: بالطبع.

حل الرجل قيود المرأة التي جلست أمامه بصمت حتى قال:

الرجال الذين نهبوك لم يبتعدوا كثيراً.

(المرأة): وكيف تنوي استرجاع ما نهبوه مني؟

(الرجل) مبتسماً: اشعلي ناراً.

(المرأة): لا أقوى على ذلك فأنا منهكة.

(الرجل) وهو ينهض: لا بأس.

نهض الرجل وبدأ بجمع بعض الحطب ووضعه أمام المرأة ثم قام بإشعاله بطرق بعض أحجار الصوان وبعد اشتعالها جلس وقال: هل تحتاجين شيئاً أخر؟

(المرأة) وهي مرتابة: من الواضح أنك لست من البشر لكن لماذا أشعلت النار بتلك الطريقة.

(الرجل) مبتسماً: أي طريقة؟

(المرأة): بالطريقة المعتادة.. ألا تملك قدرة على إشعالها بشكل أسرع.

(الرجل): أنا متشكل الآن وقدراتي محدودة.

(المرأة): ومن تكون أنت؟

(الرجل): رجل يدين لك بمعروف ولن يرحل قبل أن يرده.

(المرأة): وكيف ستردُه؟

(الرجل) وهو يخرج خاتماً من العظم من جيبه ويمده لها:

قدّمتِ لي العظم وسأقدم لك العظم..

(المرأة) وهي تأخذ الخاتم وتقول بسخرية: شكراً على كرمك.

(الرجل) مبتسماً: هذا الخاتم لن يعيد ما فقدته لكنه سيقتص من الذي تسبب في خسارتك إذا رغبت.

(المرأة): كيف؟

(الرجل): عندما أرحل قبلي الخاتم وسترين.

نهض الرجل وأخذ جمرة من النار التي كانت تشتعل أمامه وتناولها

وهو يبتسم ويقول: خادم الخاتم مربوط بمن يلبسه لذا لا تخلعيه أبداً

تحول الرجل لوميض من نور ورحل بسرعة خاطفة عن المكان..

بقيت المرأة تحدق في الخاتم وتقلبه في يدها وهي تتساءل عما إذا كانت تحلم وأنها تعيش خيال سكرات الموت لكنها قررت تقبيل الخاتم لرؤية ما سيحدث وبالفعل لبست الخاتم وقبلته وبعد أن فارقت شفتيها الخاتم بدأت بعض العظام تخرج من باطن الأرض وتلتصق ببعضها البعض لتشكل شكلاً غريباً يقف على قدميه. نظرت المرأة بخوف للشيء الذي تشكل أمامها وقال: من ظلمك كي أقتص منه؟

لم ترد المرأة على ذلك الكائن ونهضت وبدأت تتمعن في شكله الغريب الذي كان مجموعة من عظام الدواب تشكلت فوق جمجمة بشرية ولكن بعد أن استوعبت الموقف قالت: اقتص من الذين نهبوا ماشيتي ودابتي..

انهار الكائن الذي كان يقف أمامها ولم يبقَ منه سوى كومة من العظام وعلى رأسها جمجمة بشرية بفك مفتوح..

(المرأة) وهي تنظر لتلك الكومة بتعجب: يبدو بالفعل أني أحلم..

قررت المرأة الاستلقاء بجانب النار والنوم والتوجه في الصباح نحو البئر القريب منها للتزود بالماء والانتظار بجانبه حتى تمر قافلة ما لأن ذلك البئر كان أحد مصادر الماء المعروفة والتي تستخدمه الكثير من القوافل المسافرة، وكانت على يقين من أن أحدها سيمر بالبئر خلال أيام. استيقظت المرأة أول الصباح ولم تجد كومة العظام فانطلقت نحو

البئر مشيئاً على قدميها تحت حر الشمس وعند حلول المساء توقفت للراحة قليلاً في نية لإكمال المسير لأن البئر لم يعد بعيداً. استلقت على الأرض لتنال قسطاً من الراحة وبدأت تحدق بالنجوم وخلال تحديقها بها رفعت يدها وبدأت تمعن النظر بالخاتم العظمي وتقول في نفسها:

لا شك أني لم أكن أحلم..

قبلت المرأة الخاتم مرة أخرى لترى ما الذي سيحدث فبدأت العظام تخرج من الأرض حولها فنهضت مفزوعة وهي تراقب تلك العظام وهي تتجمع لتكون ذلك المخلوق الغريب لكنها هذه المرة لاحظت شيئاً غريباً عندما اكتمل تشكله. لاحظت المرأة أنه هذه المرة تشكل بستة جماجم بدلاً من جمجمة واحدة وكان حجمه أكبر بقليل من السابق. وقف الكائن أمامها بصمت ولم يتحدث معها حتى سألته وقالت:

لماذا اليوم تملك ستة رؤوس بدلاً من واحد؟

(الكائن العظمي): لقد كانوا خمسة..

(المرأة) بتعجب: عن من تتحدث؟

(الكائن العظمي): من نهبوك.. كانوا خمسة..

أدركت المرأة أن الجماجم التي أمامها كانت تعود لقطاع الطرق الذين اعتدوا عليها وأن هذا الكائن قد قتلهم وأخذ جماجمهم وضمها لتشكله..

(المرأة) بتوتر: وماذا عن ناقتي وماشيتي؟

(الكائن العظمي): أنا رسول للموت فقط..

(المرأة) وهي تقترب من ذلك الكائن وتمعن النظر في تشكله الذي كان أضخم من السابق: هل أخذت عظامهم أيضاً؟

(الكائن العظمي): أخذت العظم وتركت اللحم..

(المرأة): وكيف أصرفك؟

(الكائن العظمي): قبلة أتت بي وقبلة تصرفني..

قبلت المرأة الخاتم العظمي وراقبت العظام وهي تنهار أمامها..

لم تنم المرأة وأكملت طريقها نحو البئر الذي وصلت إليه قبل الفجر بقليل وبعد أقل من يوم مرت قافلة بالبئر وأخذوها معهم ومنذ ذلك الوقت بقي الخاتم معها وحكت ما حدث معها لكثير من الناس الذين لم يصدقوها وطلبوا منها أن تقبل الخاتم أمامهم لتثبت صحة كلامها لكن في كل مرة كانت تقبل فيه الخاتم لم يحدث شيء ولم يظهر لها ذلك الكائن مرة اخرى.

(عِمرة): الشخص الذي أنقذته كان من الجن.

(دعجاء): نعم يبدو كذلك.

(عِمرة): لكن هذا الكائن العظمي لا يبدو منا.. ماذا يكون؟

(دعجاء): لا أعرف..

(عِمرة): وكيف وصل الخاتم اليك يا عمة؟

(دعجاء): انتزعته من يد الهالك كبير سحرة «اليمامة».

(عِمرة): ومن أين حصل عليه هو؟

(دعجاء): لا أعرف لكن قصة الخاتم العظمي معروفة منذ القدم ولكن لا يوجد دليل على صحتها فالخاتم موجود والقصة موجودة لكن لم نسمع بظهور ذلك المخلوق لاحد غير تلك المرأة لذا فمن المحتمل أن تكون مجرد أسطورة.

(عِمرة): لكن وصف الجني في القصة كان دقيقاً

(دعجاء) وهي تبتسم: ما رأيك أن أقبل الخاتم لنجرب؟

(عِمرة) وهي خائفة: لا يا عمة.

(دعجاء) وهي تضحك: أي نوع من الجن أنتِ؟!.. من المفترض أن أكون أنا من يخاف!

(عِمرة) وهي متوترة: هناك مخلوقات أسوأ منا يا عمة صدقيني.

(دعجاء): ماذا تقصدين؟

(عِمرة): نحن لا نختلف كثيراً عنكم وهناك مخلوقات نراها في عالمنا تخيفنا وترعبنا.

(دعجاء): مثل ماذا؟

(عِمرة): لا أعرف لكنه هناك عوالم تخفى علينا مثلما يخفى عليكم عالمنا.

(دعجاء) وهي تحدق بالخاتم العظمي: إذاً فلنترك أمر هذا الخاتم الآن..

(عِمرة) وهي تبتسم: ما زال الليل في أوله يا عمة حدثيني عن خاتم

أخر..

رفعت (دعجاء) يدها أمام (عِمرة) وقالت: اختاري..

(عِمرة) وهي تمعن النظر في خواتم (دعجاء): أنا محتاره يا عمة بين خاتمين..

(دعجاء): أيهما؟

(عِمرة) وهي لاتزال تنظر ليد (دعجاء): الخاتم ذو الفصين والخاتم ذو الفص الأسود المدبب.

(دعجاء): لا داعي للحيرة فالخاتم ذو الفصين لا أعرف عنه شيئاً ولا حتى قدرته.

(عِمرة): وكيف تلبسينه دون معرفة شيء عنه.. قد يكون ضاراً لك.

(دعجاء): لم يكن كبير سحرة «اليمامة» ليلبسه إذا ألم يكن يرجو من وراءه فائدة.

(عِمرة): صحيح.. ماذا عن الخاتم ذو الفص المدبب؟

(دعجاء) وهي تبتسم: هذا الخاتم أعرف كل شيء عنه.. قصته.. قدرته.. وكيف وصل إلينا..

(عِمرة) وهي تبتسم بحماس: كلي آذان صاغية يا عمة!

***

لبن الدب

حكت (دعجاء) قصة الخاتم ذو الفص الأسود المدبب وأخبرت (عِمرة) بأنه في أحد الممالك القديمة أقصى الشمال البعيد حكم ملكٌ أرضاً تغطيها الثلوج على مدار العام وكان شعبه شعباً محارباً غازياً لكل الشعوب المجاورة له، وكان يسمح لمقاتليه بارتكاب كل أنواع وأشكال الظلم والتنكيل في حق الشعوب والقبائل التي يغزوها ولم يكن يرتد له طرف ندم أو يتعكر صفو منامه عندما تنقل له أخبار المجازر التي كان يرتكبها رجاله. لم يكن ذلك الملك ملكاً على شعب متحضر بل كانوا همجاً حتى في التعامل مع بعضهم البعض وكان من وسائل سيطرة ذلك الحاكم عليهم هو السماح لهم بممارسة همجيتهم بحرية بشرط أن لا يتعارض ذلك مع جلوسه على عرشه الملطخ بالدم. لم يكن ذلك الشعب من العرب بل كانوا من شعوب بني الأصفر ذوي الأعين الزرقاء، وكانت من عاداتهم خلط أنسابهم كالبهائم فلا توجد زوجة محصورة على رجل واحد فكل نساء تلك المملكة كانوا مباحين لجميع الرجال فيما عدا زوجة الملك التي كان نسلها محفوظاً للإبقاء على سلالة الحاكم نقية لتحكم من بعده.

كان للحاكم من الأولاد والبنات الكثير لكنهم كانوا من نساء مباحات لرجال آخرين لذلك لم يكن لهم نصيب في الحكم وكان ينتظر اليوم الذي تضع فيه زوجته حمل بطنها كي يطمئن على بقاء نسله حاكماً لتلك المملكة لكن المفاجأة كانت صادمة للملك عندما أنجبت زوجته ولداً ببشرة رملية كما قال هو وعيناه كانتا كلون الطين وشعره كسواد الفحم. انفجر الملك غضباً عندما رأى ذلك الطفل الملون يخرج من أحشاء زوجته وقطع رأسها بسيفه الضخم قبل أن تقطع القابلة حبل السرة بينهما. رفض الملك أخذ ابنه المولود حديثاً من يدي القابلة وهم بقتله لكن القابلة والتي كانت أيضاً ساحرة وعرافة للملك أخبرته أنه لو قتل هذا الولد فان مملكته ستنهار وسيخسر حكمه لها. تراجع الملك عن قتل الطفل لإيمانه الشديد بكل ما يخرج من شفتي تلك العرافة العجوز وأمرها بأن تأخذ الطفل بعيداً عن ناظره وأن تتخلص منه بالطريقة التي تراها مناسبة.

تزوج الملك أكثر من مرة بعد قتله لزوجته لكن لم تحبل أية واحدة من الزوجات الكثيرات اللواتي ارتبط بهن فاستدعى العرافة ليسألها عن سبب العقم الذي أصاب النساء اللاتي ارتبط بهن فأجابته وقالت:

الفتيات اللاتي تزوجت بهن لسن عقيمات وكلهن كن أبكاراً عندما اقترنت بهن..

(الملك) بغضب: هل تقصدين أن العقم مني؟!

(العرافة): لقد استشرت النجوم والآلهة عاقبتك لقتل زوجتك بقطع نسلك.

(الملك): سوف آمر رجالي بأن يتزوجوا منهن وسأثبت لكِ أن أرحامهن قبور مظلمة.

(العرافة): كما تشاء أيها الملك.

وجه الملك مجموعة من رجاله بالزواج من النساء اللاتي تزوج منهن كي يثبت أنهن لن يحبلوا من غيره لكن المفاجأة أتته عندما بدأت بوادر الحمل تظهر عليهن بعد عدة أشهر والتي أكدتها (العرافة) بفحصها لهن ولم يقتنع الملك بكلامها حتى أنجبت جميع زوجاته السابقات أطفالاً بين بنات وصبية.

أصيب الملك بإحباط كبير بعد اقتناعه بكلام (العرافة) وأنه بالفعل عوقب من الآلهة لقتل زوجته فارسل في طلبها وقال عندما امتثلت أمامه:

كيف أكفر عن ذنبي لتصفح عني الآلهة؟

(العرافة): بأن تقبل هبتها وترضى بمشيئتها..

(الملك): ماذا تقصدين؟

(العرافة): زوجتك أنجبت لك ابنا من صلبك وهو من سيحكم بعدك.

(الملك): لكنك تخلصتِ منه فكيف سيحكم؟

(العرافة): ابنك أكمل عامه الأول معي ولم أتخلص منه.

(الملك) وهو يقف بتعجب: لماذا عصيتِ أمري ولم تتخلصي منه؟

(العرافة): عندما ينعق بوق الغضب تُصم الحكمة أذنيها..

(الملك): وأين هو الآن؟

(العرافة): يقيم معي.

(الملك) بغضب خفيف: ومن أرضعته؟! لا أريد أن يكون له أخوة من نسل وضيع!

(العرافة) وهي تبتسم: أعرف تفكيرك أيها الملك.. لا تقلق لقد سقيته من لبن لن تمانعه.

(الملك): أي لبن سقيتيه؟

(العرافة): لبن الدب

(الملك): الدب؟

(العرافة): نعم فقد استعنت بطلاسمي للحصول على لبن الدببة المرضعات في الجبل الكبير.

(الملك): وهل أمضيتِ عاماً كاملاً في جمع لبن الدببة لإرضاع ذلك الطفل؟

(العرافة): نعم وسأمضي العام المقبل في ذلك أيضاً حتى أقوم بفطمه.

(الملك) بتعجب: ولماذا تقومين بذلك؟

(العرافة): لأن هذا الصبي مرسل من السماء ليحكم مملكتنا ولن أسمح لبطشك بأن يناله لأي سبب.

جلس الملك على عرشه وهو في حالة من الاستغراب والذهول مما

قامت به تلك العرافة لكنه لم يأمرها بالتوقف وفي نفس الوقت لم يطلب منها إحضار الطفل إليه واكتفى بالصمت. خرجت العرافة من خيمة الملك ولم تتحدث معه في ذلك الموضوع مرة أخرى وبعد سنوات وخلال خروج الملك مع رجاله لغزو قبيلة مجاورة لهم لمح الصبي الذي كانت العرافة تعتني به وقد كان وقتها قد بلغ العاشرة من العمر تقريباً وتعرف عليه من ملامحه المختلفة عن بقية أفراد شعبه. كان الصبي يلعب مع بقية الصغار في عمره فترجل الملك عن حصانه واقترب منه وبقي يراقبه وهو يلعب لفترة وجيزة حتى نادى عليه أحد أتباعه وقال: ألن نرحل يا سيدي؟

قطع الملك تحديقه بالصبي وامتطى جواده وانطلق دون أن يلتفت وخلفه أتباعه المقاتلون. عاد الملك مع مقاتليه بعد عدة أيام محملين بالغنائم التي غنموها وهم ينشدون أهازيج الانتصار وكان من عادات شعبهم الاحتفال ليلة العودة من أي غزوة حتى الصباح سواء كانوا منتصرين أو خاسرين. بدأ الاحتفال بإشعال نار ضخمة وسط مملكتهم والتي لم تكن كبيرة بل كانت قرية صغيرة لكن غطرسة ملوك تلك المناطق تجعلهم يسمون القرى الصغيرة بممالك والقرى الكبيرة بالإمبراطوريات أحياناً. بدأ المقاتلون الذين شاركوا في الغزوة يحتسون الخمور ويرقصون حول تلك النار وملكهم جالسٌ يراقبهم ويشاركهم الاحتفال بالثمالة والغناء. لم يتعكر مزاج الملك تلك الليلة إلا عندما رأي ابنه الملون يطل من خيمة العرافة ويراقب الاحتفال

فأمر رجاله وهو مخمور بإحضاره. نفذ الرجال أمر ملكهم وجروا الصبي إليه بالقوة لأنه كان يمانع الخروج من خيمة العرافة وعندما امتثل أمام أبيه المخمور قال الملك بكلام متقطع:

حتى.. وإن كنت من نسلي.. فلن تحكم أبداً..

لم يرد الصبي لكنه وقف أمام أبيه يحدق فيه بصمت دون خوف..

(الملك) وهو يخرج سيفه الكبير من غمده ويلوح به في الهواء وهو مخمور:

حكم السيف لا ينتزع إلا بالسيف!..فهل علمتك تلك العجوز كيف تستخدم الحديد؟!

بقي الفتى صامتاً ولم يتحرك بالرغم من أن تلويح الملك بالسيف كاد أن يصيبه أكثر من مرة لكنه ومع ذلك لم يتحرك قيد أنملة وبقي يحدق بأبيه المخمور الذي سقط مغشياً عليه من أثر الثمالة بعد فترة وجيزة من التلويح بذلك السيف الضخم.

زارت العرافة الملك في اليوم الذي تلا تلك الحادثة وتحدثت معه بخصوص ابنه الملون وقالت: ألم يحن الوقت أيها الملك كي تأخذ ابنك وتضمه إلى مملكتك؟

(الملك) بغضب وصوت مرتفع: هذا الملون ليس بابني!

(العرافة): إنكار العمى لن ينير طريقك..

(الملك) بصوت مرتفع: لولا خشيتي من سخط الآلهة لكنت قتلتك معه وتخلصت من هذا العار الذي ألصق بي!

(العرافة) وهي تبتسم: العار هو ان تكون أنت حاكماً لشعب عظيم كشعبنا..

(الملك) وهو يقف بغضب ويشهر سيفه في وجه العرافة ويضع نصله على مقربة من أنفها المجعد: سأقتلك ولتسخط الآلهة علي!!

(العرافة) مبتسمة: أمهلني خمسة أعوام وبعدها اقتلني أنا وابنك.

(الملك) بغضب: لن أمهلك يوماً واحداً وستموتين اليوم!

(العرافة): لو قتلتني سيطولك سخط شعبك قبل سخط الآلهة..

(الملك) ينظر لـ(العرافة) بتوتر وينزل طرف سيفه قليلاً..

(العرافة): أمهلني خمسة أعوام وبعدها سأطلب منك قتلي أمام الناس وبذلك لن يطولك سخطهم.

(الملك): ولماذا خمس أعوام؟

(العرافة):حتى يشتد ساعد (بيهارك).

(الملك): (بيهارك) من؟

(العرافة): ابنك الملون كما اسميته.

(الملك) بسخرية: وهل تريدين منه الدفاع عنك عندما يشتد ساعده كما تقولين.

(العرافة): لا بل لينتزع الحكم منك انتزاعا بدل أن يرثه.

(الملك) وهو يضحك بقوة: هذا الأحمق الهزيل ينتزع الحكم مني؟!

(العرافة): الحكم في مملكتنا لا ينتقل إلا بالتوريث لنسل الحاكم أو أن ينتزع منه في قتال يوافق عليه الملك.

(الملك) باستهزاء: لكِ الأعوام الخمسة يا شمطاء وبعدها سأقتلك وأقتل ذلك الوغد الملون!

لم يكن الملك مخطئاً عندما وافق على عرض العرافة فهو أقوى مقاتل في شعبه بل يعتبر من أقوى المقاتلين المعروفين في ممالك الشمال في ذلك الوقت وضخامة جسمه وسيفه كانتا مصدر رعب لأي شخص يواجهه فهو لم يسقط في نزال سابق حتى أنه لا يستخدم الدروع خلال القتال مع أن ذلك كان مألوفاً لكنه كان يراه بلا قيمة خاصة وأن ضربته كانت من القوة بحيث تفلق أي درع وتقتل حامله بضربة واحدة. مضت السنوات الخمس وبالرغم من أن الملك لم يكن مكترثاً لما كانت تقوم به الساحرة مع (بيهارك) في تلك الفترة إلا أنه كان يرسل من كان ينقل الأخبار إليه والتي لم تكن تحوي الكثير لأن العرافة كانت تذهب معه للغابة عندما كانت تريد تدريبه فيما يبدو. لم يلاحظ الملك على (بيهارك) أي تغير خلال السنوات الخمس سوى في طوله وضخامة جسده التي كانت تزداد بشكل ملحوظ لكنه لم يصل للضخامة التي كان عليها والده. في السنة الخامسة وخلال احتفال الملك وشعبه بأحد انتصاراتهم تقدمت العرافة وتوسطت تجمعهم وقالت بصوت مرتفع أسكت الحضور:

بمناسبة النصر الذي حققه شعبنا العظيم فأنا اتقدم للملك بطلب أتمنى أن لا يرده!

(الملك) وهو يحتسي بعض الخمر: هاتي ما عندك يا شمطاء!

(العرافة) وهي تشير بيدها لـ(بيهارك) بالاقتراب:

أطلب نزالاً ملكياً على عرش الملك لا ينتهي إلا بالموت!

ارتفعت أصوات الناس المتجمهرة بين متحمس ومعارض وكان المعارضين يعارضون أحقية (بيهارك) في تقديم مثل هذا الطلب كونه ملوناً ومجهول النسب لأن الملك لم يعترف يوماً أمام شعبه بأن (بيهارك) من نسله ونسبه للعرافة.

(الملك) وهي يقف مخموراً ويتحدث مع شعبه: سواء كان له الحق أم لا فهذا لن يغير شيئاً من حقيقة أنه سيفقد رأسه من أول ضربة من سيفي!

ارتفعت أصوات الناس بالحماس بعد كلام الملك وبدأت تصرخ مطالبة بالنزال في الحال. رفعت العرافة يدها وقالت:

الملك مخمور الآن لذا فليكن النزال غداً!

(الملك) وهو يرمي وعاء الخمر جانباً ويسل سيفه الضخم: حتى وأنا مخمور يمكنني أن أقتل ذلك الهزيل الملون!

بدأت الجماهير تهتف باسم الملك الذي تقدم وهو يترنح ويقول: وبعد أن أقتل ذلك الهزيل الملون سنحرق هذه الساحرة!

أيد الناس كلام الملك بمزيد من الصراخ والهتاف فتقدم (بيهارك) ووقف أمام الملك ولم يتحدث واكتفى بمد يده لتضع العرافة فيه

سيفاً غريباً. كان السيف أسود اللون ومصنوعاً من مادة أشبه بالماس الأسود وكان لمعانه قوياً خاصة عندما رفعه (بيهارك) في إشارة منه للاستعداد لبدء النزال. اندفع الملك المخمور وبدأ بتوجيه ضربات قوية لـ(بيهارك) الذي استطاع صدها جميعا بسيفه الأسود. استمر الملك بالهجوم واستمر (بيهارك) بصد هجمات أبيه الذي بدأ التعب والاجهاد يتمكن منه وشعبه ينظر إليه بقلق لأنهم لم يروا ملكهم يتقهقر أمام أحد من قبل بهذا الشكل.

توقف الملك قليلاً ليلتقط أنفاسه وعيناه كانتا لا تزالان تحدقان بـ(بيهارك) الذي مرر سيفه في النار الضخمة المشتعلة بجانبه ليشتعل معها السيف وسط انبهار الحضور مما دفع الملك للاندفاع مرة أخرى نحو (بيهارك) وهو يصرخ بقوة ويقول: لن تحكم مملكتي أيها الملون!!

وجه الملك ضربة قوية بسيفه الضخم لكن ضربته لم تعانق سوى الأرض خلف (بيهارك) الذي تنحى عن طريق ضربة الملك بسرعة وهدوء تبعها إنزال للسيف الأسود المشتعل على عنق أبيه الذي تدحرج على الأرض ولم يتوقف حتى توسط النار الكبيرة ليحترق داخلها.

عم الصمت المكان لفترة بعد سقوط الملك ولم يكسر ذلك الصمت سوى صرخة العرافة في الناس بقول:

ليستمر الاحتفال ولنحتفل بملكنا الجديد (بيهارك) ابن الدب المقدس!

تعالت أصوات الناس وعادوا للاحتفال واحتساء الخمور ونصبوا (بيهارك) ملكاً عليهم..

(عِمرة): قصة غريبة يا عمة..

(دعجاء): لماذا؟

(عِمرة): ذكرتني ببعض قصص انتقال الحكم عند شعوب الجن التي كان يحكيها لنا كبيرنا.

(دعجاء) وهي تبتسم: كما قلت سابقاً نحن لا نختلف كثيراً.

(عِمرة): لكنك لم تذكري شيئاً عن الخاتم خلال القصة ولا عن فائدته.

(دعجاء) وهي تشير بإصبعها للرأس الأسود المدبب على الخاتم: هذه القطعة التي صنع منها فص الخاتم هي رأس نصل سيف (بيهارك) الأسود.

(عِمرة) وهي تحدق بفص الخاتم باندهاش: وكيف وصل للجزيرة؟ ومن صنع الخاتم؟ وكيف كُسر السيف؟

(دعجاء) وهي تضحك: هذه قصة أخرى؟

(عِمرة): أخبريني بها أريد سماعها!

(دعجاء) وهي ترفع نظرها للسماء: لقد وعدتك بأن أقضي ليلة واحدة أخيرة معك في هذا المكان ولم يبقَ على الفجر إلا القليل.

(عِمرة) بوجه محبط: ماذا يعني ذلك؟

(دعجاء) وهي تبتسم: معنى ذلك هو أن أمامنا وقت لقصة واحدة فقط فاختاري أنتِ اي قصة تريدين سماعها؟

(عِمرة): ولكن بقي خاتمان يا عمة معنى ذلك بقي قصتان.

(دعجاء): الخاتمان المتبقيان مربوطان بقصة واحدة.

(عِمرة) بحزن: حسناً لا تكملي قصة خاتم (بيهارك) وأخبريني بقصة الخاتمين المتبقيين لكن بشرط.

(دعجاء): شرط ماذا؟

(عِمرة): أن تخبريني على الاقل بالقدرة التي يمنحها الخاتم للابسه.

(دعجاء) وهي تبتسم: لا بأس.. الخاتم يمنح لابسه القدرة على تطويع الحديد وتشكيله بسهولة كالصلصال.

(عِمرة) بسخرية: هذه القدرة موجودة عند أغلب بني الجن وليست بالشيء المميز.

(دعجاء): أعرف لكن البشر لا يملكونها وهذا ما يجعل من هذا الخاتم ذو قيمة عندنا.

(عِمرة): هل لبس الجن لهذه الخواتم يؤثر فيها أو يمنحها شيئاً من قدرتها؟

(دعجاء): إذا كنتِ متشكلة بأجساد البشر ربما ستتأثرين عدا ذلك لا أعتقد.

(عِمرة): حسناً أخبريني بقصة الخاتمين المتبقيين.

(دعجاء) وهي ترفع سبابتها وإصبعها الأوسط وتنظر إليهما: هذان الخاتمان لم يفترقا إلا مرة واحدة منذ صقلهما وطرقهما كما يشاع.

(عِمرة) وهي تحدق بالخاتمين على أصابع (دعجاء): أحدهما من الذهب والأخر من الفضة.. فص الذهبي قطعة من الفضة وفص الفضي قطعة من الذهب.

(دعجاء): نعم فمن صنعهما تعمد ذلك كي تكون قيمتهما متساوية.

(عِمرة): وما الحكمة من ذلك يا عمة؟

(دعجاء): اسمعي القصة وقد تفهمين..

***

لمعان وبريق

أخبرت (دعجاء) (عِمرة) عن قبيلة عاشت شرق «البحر الميت» وكانت تلك القبيلة لا تزوج بناتها وأولادها لأحد من خارج القبيلة وكان تناسلهم محصوراً بين أبنائهم وبناتهم فقط وفي أحد الأيام رزقت أحدى الأسر في تلك القبيلة بولد وبنت في بطن واحدة فأسمت أمهم الفتاة بـ(مآب) والفتى بـ(يأب) وكانا متشابهين إلى حد ما. كانت العلاقة بين (يأب) و(مآب) قوية جداً فمنذ طفولتهما وحتى بلوغهما ريعان الشباب كانا لا يفترقان حتى في مضاجعهما ولم يكن ذلك امراً مستنكراً أو غير مألوف في تلك القبيلة. كان من العادات المألوفة أيضاً الزواج في عمر مبكر للفتيات فبمجرد بلوغ الفتاة عامها الحادي عشر تصبح هماً على أهلها حتى تتزوج لأن نسبة الرجال في تلك القبيلة كانت أقل بكثير من النساء لذا لم يكن من غير المألوف رؤية الكثير من الفتيات غير المتزوجات في أعمار متقدمة.

عندما أكملت (مآب) عمرها الرابع عشر بدأت معالم شخصيتها بالبروز والتفرد عن شخصية أخيها الهادئة فشخصيتها كانت قوية

وكانت ترفض بقوة جميع الخطاب الذين يتقدمون لها لجمالها الملفت ولم تجد محاولات أهلها المستمرة للتأثير عليها حيث لم تصل تلك المحاولات معها لنتيجة، حتى أوعزت أحدى نساء القبيلة لأمها بأن سبب رفض (مآب) المستمر للزواج كان أخيها (يأب) وأن تعلقها به وخوفها من فراقه هو السبب الوحيد الذي يجعلها تثور غضباً عند طرح فكرة الزواج عليها. اقتنعت الأم بكلام المرأة وقررت حل تلك المشكلة بتزويج (يأب) بالرغم من صغر سنه فبدأت تبحث له في القبيلة عن زوجة تليق به، لكنها وخلال بحثها قررت التنازل عن الجمال في مقابل المال لأن أسرتهم كانت فقيرة وتكاليف تزويج (يأب) و(مآب) كان أعلى من أن يتكفلوا به. بعد بحث مطول لم تجد الأم سوى امرأة ناهزت الستين من العمر تزوجت أكثر من سبع مرات وكل أزواجها السابقين ماتوا ولم يعمر معها أحد لأكثر من خمسة أعوم، ولكنها كانت غنية جداً لأنها كانت ترث أزواجها ولم تنجب من أحدهم طفلاً كي يشاركها الميراث الذي اكتنزته عبر السنين.

لم تكن شخصية (يأب) قوية كأخته لذلك لم يستطع مقاومة ضغط أمه وأبيه عليه للزواج من تلك المرأة فوافق في النهاية على مضض. دخلت (مآب) على أمها يوم زفاف أخيها وهي تصرخ بغضب وتقول: كيف تزوجين (يأب) لتلك العجوز الهرمة؟!

(الأم) وهي تجهز بعض الملابس لـ(يأب): وما شأنك أنتِ فنحن لن نزوجك معه؟

(مآب) بصوت مرتفع: أنا و(يأب) شخص واحد وما يؤلمه يؤلمني!

(الأم) بغضب: ومن قال لك إنه غير سعيد؟!

(مآب) بعصبية: أين هو الآن؟!

(الأم) وهي ترتب ملابس (يأب): خرج مع أبيك لـ«البحر المالح» كي يتحمم ويستعد لعروسه.

(مآب) بسخرية وغضب: عروسه؟! هذه العجوز لا تملك سوى الموت بين أحضانها!

(الأم) وهي تتجاهل النظر لـ(مآب) وتعود لترتيب ملابس (يأب): على الأقل هي لا تملك سماً زعافاً بين فكيها.

خرجت (مآب) من المنزل وهي غاضبة جداً وتحطم الاشياء التي كانت في طريقها وتصرخ كالمجنونة حتى استوقفها رجل وأمسك يدها بقوة وقال:

ماذا تفعلين يا فتاة؟!

(مآب) وهي تسحب يدها بقوة من قبضة الرجل وتقول: ابتعد عني أيها الكهل!

الرجل وهو يبتسم: هل يستحق أخوك كل هذا السخط؟

(مآب) بغضب: لا شأن لك!!

(الرجل) مبتسماً: ماذا لو ساعدتك في استعادته؟

(مآب) وغضبها يتحول لهدوء وتحديق بالرجل: ماذا تقصد؟

(الرجل) وهي يسترق النظر يميناً ويساراً: لا أستطيع الحديث هنا..

(مآب): لا يوجد أحد هنا أيها الرجل.. تحدث..

(الرجل) وهو يسير مبتعداً عن (مآب): إذا أردتِ استعادة أخيك فالحقي بي.

(مآب) تنظر بريبة للرجل الذي كان يسير مبتعداً عنها..

قبل ابتعاد الرجل من ناظرها قررت (مآب) اللحاق به وتبعته حتى وصل لمنزل صغير. فتح الرجل الباب وأشار مبتسماً لـ(مآب) بالدخول.

(مآب) وهي تقف خارج منزل الرجل: لست حمقاء كي ادخل معك منزلك!

(الرجل) مبتسماً: هل تملكين مالاً؟

(مآب) باستغراب: لا.

(الرجل): فكيف إذاً ستدفعين قيمة خلاص أخيك؟

(مآب) بتوتر: ماذا تقصد؟

(الرجل) بتجهم: لا تراوغي يا فتاة فأنا أعرف سبب رغبتك ببقاء أخيك معك وما ستقدمينه لي لن يكون أمراً جديداً عليك!

(مآب) وهي تحدق بالرجل وتقول بهدوء: وكيف ستعيد أخي لي؟

(الرجل) وهو يخرج خاتمين من جيبه أحدهما ذهبي بفص فضي والأخر فضي بفص ذهبي: بهذين الخاتمين..

(مآب): لا أفهم قصدك..

(الرجل): ادخلي معي وسأشرح لك كل شيء ويمكنك دفع قيمتهما عندما تقررين أخذهما.

(مآب): بقي على زفاف أخي على تلك العجوز ساعات قليلة.

(الرجل) وهو يدفع باب منزله ويفتحه على مصراعيه: لا تضيعي الوقت إذاً.

دخلت (مآب) منزل الرجل ولم تخرج إلا مع غروب الشمس وتوجهت مسرعة لمنزلها..

في تلك الأثناء كانت الأم تضع طوقاً من الزهور على رأس ابنها (يأب) لأنها كانت من العادات التي تتبعها تلك القبيلة عندما تزف الرجال.

(يأب) وهو يتابع أمه بنظره وهي تتأكد من شكله وملابسه: أين (مآب) يا أمي؟

(الأم) وهي تمرر أصابعها في شعر (يأب) لتصفيفه: لا تقلق بشأنها الآن وركز في ليلة زفافك.

(يأب) وهو يحدق أمامه: وما المطلوب مني يا أمي؟

(الأم): ألم يتحدث معك أبوك بهذا الشأن عندما كنتما في البحر؟

(يأب): تحدث عن أمور كثيرة لكني لم أفهم شيئاً.

(الأم) وهي تجلس أمام (يأب) وتبتسم: لا تقلق كل شيء سيسير على ما يرام وزوجتك ستساعدك فهي ليست جديدة على الزواج.

خلال ذلك الحديث دخل الاب واستعجل خروج (يأب) وقال:

هيا فالناس بالخارج تنتظرك لتزفك لمنزل زوجتك!

(الأم) وهي تقبل (يأب): سأخرج مع أبيك الآن لا تتأخر والحق بنا واخرج أمام الناس برأس مرفوع.

(يأب) بوجه قلق: أمرك يا أمي.

خرجت الأم من المنزل مع زوجها وتركت (يأب) جالساً والقلق على وجهه..

بعد دقائق أخذ (يأب) نفساً عميقا ونهض من مكانه في نية للخروج لمرافقة الناس الذين سيزفونه لكنه وبمجرد وقوفه أحس بيد على كتفه فأدار رأسه ليرى (مآب) تنظر إليه وتبتسم:

(يأب) وهو يبتسم بسعادة: أين كنتِ؟!.. ظننت أنكِ لن تأتي.

(مآب) وهي تبادل أخيها الابتسام: وهل كنت تظن أني سأتركك فريسة لتلك العنكبوت الخرفة؟

(يأب) بتعجب: ماذا تقصدين؟

(مآب) وهي تمد الخاتم الذهبي ذو الفص الفضي لـ(يأب) وتقول: لا عليك فقط البس هذا الخاتم عندما تكون لوحدك مع تلك المرأة.

(يأب) وهو يأخذ الخاتم ويتمعن به: هل هذا هدية زواجي؟

(مآب) وهي تأخذ الخاتم من (يأب) وتضعه في جيبه: شيء من هذا القبيل..

(يأب) بتعجب: ماذا تفعلين؟.. لماذا أخذتِ الخاتم؟ أريد أن ألبسه!

(صوت الأب من خارج المنزل): هيا يا (يأب) لقد تأخرنا!!

(مآب) وهي تدفع أخيها للخروج: لا تنسَ ما أخبرتك به.. البس الخاتم فقط عندما تكون لوحدك مع تلك العجوز!

خرج (يأب) من الدار وهو في حالة من التعجب والاستغراب لما رآه وسمعه من أخته لكن تفكيره قطع عندما حمله الناس على أكتافهم وبدأوا يغنون ويحتفلون عند رؤيته. سار موكب الزواج عبر منازل المدينة و(يأب) محمولا على الأكتاف حتى وصلوا إلى عتبة باب العروس فأنزلوه عن أكتافهم وبدأوا يهتفون ويغنون. كان من العادات التي تتبعها تلك القبيلة الانتظار عند باب المتزوجين حديثاً حتى يتم الزفاف ويستمرون بالغناء والاحتفال خارج الدار حتى يخرج الرجل ويعطيهم الإشارة بالرحيل. دخل (يأب) لبيت زوجته الجديدة بخطوات متوترة ليجد أنه قد اضيء بالشموع ومائدة كبيرة من الطعام والفاكهة أمامه لكنه لم ير زوجته فجلس أمام الطعام وتناول بعض الشراب الذي كان نبيذاً مصنوعاً من العنب. بدأ (يأب) يشعر بالثمالة بعد احتسائه لمزيد من النبيذ وأصوات الاحتفالات والغناء بالخارج مسموعة.

بعد فترة وجيزة سمع (يأب) صوتاً يناديه من الغرفة المجاورة يطلب منه الدخول فنهض بتوتر وتوجه لتلك الغرفة التي سمع منها الصوت ومن شدة توتره وثمالته تعثر في طريقه فسقط طوق الزهور من على

رأسه لكنه نهض مرة أخرى وتوجه بخطوات متسارعة نحو الغرفة وفتح بابها ليجد امرأة خالط الشيب رأسها مستلقيه على فراش كبير من الصوف وتشير له بالاقتراب منها وهي تقول:

اقترب ولا تخف يا صغير..

تسمر (يأب) مكانه وظل يحدق بتلك المرأة التي تشير له بالاقتراب ولم يتقدم خطوة واحده نحوها. نهضت المرأة وهي تبتسم ودنت من (يأب) المتوتر وبدأت تخفف من لباسه بنزع بعض من قطعه. عندما نزعت المرأة جلباب (يأب) سقط الخاتم الذهبي ذو الفص الفضي على الأرض فالتقطته وبدأت تتمعن فيه مبتسمة وتقول:

ما هذا الخاتم؟

(يأب) وهو متوتر ويحدق بالخاتم: هذا هدية من أختي.

(المرأة) وهي لاتزال تحدق بالخاتم: يبدو أن أختك لا تملك ذوقاً رفيعاً في الحلي

(يأب) وهو يمد يده ويخطف الخاتم من يدها:

قيمة الهدية بمن يهديها..

(المرأة) وهي تضع يدها على كتف (يأب) وتقترب بوجهها من وجهه.

و أهلك قدموا لي أجمل هدية الليلة..

توتر (يأب) من اقتراب المرأة منه وخلال توتره لبس الخاتم وعيناه تحدق بعينيها وفي لحظة صرخت المرأة عندما رأت أن (مآب) أمامها

وبين أحضانها. لم يسمع الواقفون خارج الدار صرخة المرأة بسبب علو أصواتهم خلال الغناء والاحتفال. اندفعت (مآب) دون تردد وأطبقت بيديها على عنق المرأة التي كانت تصارع بحثاً عن الأنفاس، والغناء والأهازيج تهز أركان المنزل من الخارج ولم ترخِ (مآب) قبضتها عن عنقها حتى فارقت المرأة الحياة. بعد أن تأكدت (مآب) من موتها قامت بسحب جثتها ووضعها على الفراش وتغطيتها. سحبت بعدها غطاء من الغرفة والتفت به وخرجت للناس دون ان يظهر شيء من جسدها سوى أنفها وعينيها وبدأت تلوح بيدها للناس في إشارة منها أن مراسم الزفاف قد تمت. ابتهج الناس بمن فيهم والداها وبدأت الجماهير المحيطة بالمنزل بالتفرق. بدأت الأم تدنو من (مآب) في نية للحديث معها لكن (مآب) عندما لمحتها دخلت للمنزل بسرعة وأغلقت الباب خلفها بقوة.

(الأم) باستغراب: ما به (يأب)؟ ولماذا يغطي نفسه بهذا الشكل؟

(الأب) مبتسماً وهو يمسك يد زوجته ليرحل معها:

أتركيه فهذه ليلة زواجه الأولى وأي شيء يقوم به لا يحق لنا التدخل فيه.

رحل الاثنان و(مآب) تراقبهما خلسة من النافذة وعندما تأكدت من رحيلهما أعادت الغطاء من حيث اخذته وتأكدت بأنها لم تترك أثراً لوجودها بالمنزل ثم وقفت وسحبت الخاتم من أصبعها لتعود بسرعة خاطفة لمنزلها وليظهر (يأب) مكانها. وقف (يأب) متعجباً من عودته

لمنزل زوجته بعد ظهوره المفاجئ في منزل أهله ولم يستدرك ما حدث وعزي ذلك لثمالته فجلس أمام مائدة الطعام وبدأ يحتسي النبيذ الذي كان أمامه ليهدئ من روعه وهو يتحدث مع نفسه بثمالة ويقول:

ألم أكن داخل تلك الغرفة مع تلك المرأة؟.. كيف عدت لمنزلنا؟ وكيف عدت إلى هنا أمام النبيذ؟.. يجب أن أتوقف عن الشرب قبل أن أعود لبطن أمي.

بعد فترة من جلوس (يآب) أمام المائدة قرر الدخول للغرفة التي كانت زوجته بها فنهض وهو يترنح من الثمالة وقبل فتحه لباب الغرفة سمع طرقاً على باب المنزل فتوجه للباب بخطوات غير متزنة وفتحه ليجد أخته (مآب) أمامه تلتقطه وتسنده قبل أن يقع. أجلست (مآب) أخيها وبدأت تشرح له ما حدث وكيف أنها انتقلت وأخذت مكانه كي تخلصه من زوجته لأنها كانت على يقين بأنه لن يستطيع القيام بذلك لو طلبت منه. لم يستوعب (يأب) كلام أخته بالكامل وغفا على صدرها فقامت بحمله ووضعه بجانب جثة زوجته وتغطيته ثم قبلت جبينه ورحلت عن المكان.

في اليوم التالي استيقظت (مآب) مفزوعة على صراخ وبكاء أمها وبعد أن استفسرت منها عن سبب بكائها أخبرتها أن (يأب) قتل زوجته والأهالي قبضوا عليه. وقتها أدركت (مآب) أن تصرفها بالأمس لم ينطوِ على الناس بأن موت المرأة كان موتاً طبيعياً.

(مآب) وهي تدمع بعصبية: لكنه لم يقتلها!.. أخي لا يمكنه أن يؤذي أحداً.

(الأم) وهي تبكي وتغطي وجهها بيديها: لا أعرف! كل ما أعرفه أنهم ساقوه لوسط المدينة ليرجموه!

(مآب): وأين أبي الآن!

(الأم) وهي تبعد يديها عن وجهها وتنظر لـ(مآب): لقد خرج ليحاول التحدث مع القاضي قبل أن يحكم عليه؟

(مآب) بعصبية وهي تبكي: سوف أذهب لوسط المدينة!

(الأم) وهي تنهض وتمسك بملابس (مآب): لا أريد أن أخسر ابني؟!

صمتت (مآب) وهي تدمع وتحدق بأمها..

بدأت الام بضرب (مآب) التي كانت تحاول معانقتها وتهدئتها بقول:

لا تقلقي يا أمي سيعود اليك..

خرجت (مآب) من المنزل وهي تجري بسرعة للساحة التي اجتمع فيها الأهالي لرجم (يأب) وعند وصولها رأت جمعاً غفيراً من الناس مجتمعين حول أخيها الذي دفن جسده بالكامل في الأرض ولم يبقى سوى رأسه وأبوها يقف وهو يبكي ويستمع للقاضي الذي كان ينهي تلاوة نص عند رأس (يأب) ويقول:

.. ولما قمت به من قتل زوجتك سعياً وراء أموالها فأننا قد حددنا عقوبتك بالرجم حتى الموت عسى أن يغفر لك في الحياة الأخرى..

تنحى القاضي بعدما غطى رأس (يأب) بخرقة وربطها حول عنقه ورفع يده في السماء في إشارة لمن يرغب من الحضور بالمشاركة في الرجم بان يلتقط حجراً من الأرض فبدأ بعض المتجمهرين بحمل الحجارة بأحجام مختلفة. أدركت وقتها (مآب) أن أخاها سيدفع ثمن جريمتها لذا تراجعت ووقفت خلف الناس وأخرجت الخاتم الفضي ذو الفص الذهبي من جيبها ولبسته لتأخذ مكان أخيها في نفس اللحظة التي أنزل القاضي يده فيها معلناً عن بدأ الرجم فانهالت الحجارة على (مآب) وهشمت راسها لتفارق الحياة وأخوها (يأب) خلف الناس يحاول أن يستوعب الموقف. لم يدرك (يأب) أن أخته هي من أخذت مكانه وعاد مسرعاً إلى منزله دون أن يلحظ احدٌ وجوده فقد كان أغلب الناس مشغولين بالرجم ومشاهدته.

أشار القاضي بالتوقف عن الرجم عندما انخفض مستوى الغطاء في دلالة على تهشم الرأس بالكامل وأعطى الإشارة أيضاً لأبو (يأب) بأن يكمل دفن جثة ابنه بطمر التراب فوق رأسه المهشم.

(عِمرة): ألم يكتشفوا أن (مآب) هي من كانت مطمورة تحت التراب؟

(دعجاء): لاشك أنهم علموا بذلك لاحقاً وإلا لما تم تداول هذه القصة.

(عِمرة): وكيف وصلت الخواتم إلى ساحر «اليمامة»؟

(دعجاء): أنا لا أملك كل التفاصيل يا أفعى فكل ما نعرفه عن تلك الخواتم هي تلك القصة وطريقة وصولها لكبير السحرة في «اليمامة» أمر في علم الغيب.

(عِمرة) وهي تنظر في الأفق: الشمس بدأت تشرق..

(دعجاء) وهي تنظر للأفق: لقد حان وقت الرحيل عن هذا المكان..

(عِمرة) بوجه حزين: هل ستتركينني يا عمة؟

(دعجاء): لن أمنعك من مرافقتي..

(عِمرة) وهي تبتسم بسعادة: أين سنذهب؟

(دعجاء) وهي تقف: للمكان الأخير الذي كنت فيه مع بناتي.. البئر الجافة.

عقدت (دعجاء) أصابعها واستدعت شيطانها الأحمر وبعد ظهوره قالت:

اتبعني أنت والجنية لمكان البئر الذي كنا فيه مع البنات قبل عامين.

بعدها اختفت (دعجاء) بطلاسم الانتقال من أمامهما..

(عِمرة) لـ(شَبَث): أتمنى أن تجد العمة بناتها.

(شَبَث): خاتم (رتيكة).. خاتم (رتيكة)..

(عِمرة): من (رتيكة) هذه؟.. هل هي أحد بنات العمة؟

(شَبَث) وهو يقفز مكانه: لنذهب.. لنذهب..

(عِمرة) وهي تتخلى عن تشكلها: قد الطريق أنت فأنا لا أعرف وجهتنا.

(شَبَث) يتخلى عن تشكله وينطلق بسرعة نحو البئر و(عِمرة) خلفه..

وصل الاثنان واتخذ كل منهما تشكلاً عندما رأوا (دعجاء) تجلس بجانب البئر تفكر بحيرة..

(عِمرة) وهي تجلس بجانب (دعجاء): هل وجدتِ شيئاً يدلك عليهن يا عمة؟

(دعجاء) وهي تهز رأسها بخيبة أمل: لا.. لا أذكر شيئاً بعد هذه النقطة سوى أني توجهت لاعتراض القافلة لوحدي.

(عِمرة): أعتقد أن (شَبَث) يعرف شيئاً لأنه قال «خاتم (رتيكة)» مرتين.

(دعجاء) وهي تنهض وتقبض عنق (شَبَث):

ماالذي تعرفه وتخفيه عني يا شيطان؟!

(عِمرة) وهي تحاول تخليص (شَبَث) من قبضة (دعجاء):

اتركيه يا عمة فهو لم يقل شيئاً سوى ذلك!

(دعجاء) وهي تفلت رقبة (شَبَث) وتقول بغضب: أين (رتيكة)؟!

(شَبَث) وهو خائف ومرتبك ويرفع يداه ليحمي وجهه من سخط (دعجاء):

خاتمها فقط.. خاتمها فقط..

(دعجاء) وهي تحاول كظم غيظها: خذني للخاتم إذاً.

بدأ (شَبَث) بالمسير بخطوات متسارعة و(دعجاء) و(عِمرة) خلفه..

(دعجاء) وهي تصرخ في (شَبَث): خفف من وتيرة خطواتك أيها الأحمق فأنا لم أعد شابة كما كنت في السابق.

في تلك اللحظة أحست (دعجاء) بأنها ترتفع قليلاً عن الأرض لترى (عِمرة) أسفل منها تبتسم وتقول: لا تقلقي يا عمة يمكنني حملك إلى هناك.

(دعجاء): لنسرع إذاً..

بعد دقائق من الجري المتسارع توقف (شَبَث) وأشار للأرض وهو يقول:

خاتم (رتيكة)!.. خاتم (رتيكة)!..

نزلت (دعجاء) من فوق (عِمرة) وبدأت تتقدم بخطوات بطيئة نحو المكان الذي كان (شَبَث) يشير إليه وهي تقول بتعجب وقلق: عن ماذا تتحدث أيها الأحمق؟

(عِمرة): ربما أوقعت (رتيكة) خاتمها والرمال غطته.

(دعجاء) وهي تنزل على ركبها وتبدأ بالحفر: نعم ربما..

(عِمرة) وهي تقترب من (دعجاء) التي كانت تحفر بسرعة:

هل تريدين مساعدة يا عمة؟

لم ترد (دعجاء) واستمرت بالحفر بتوتر حتى توقفت عندما رأت قطعة من ملابس (رتيكة).. عاودت (دعجاء) الحفر مرة أخرى ودموعها تنهمر وهي تشاهد جثة (رتيكة) المتحللة تظهر. توقفت (دعجاء) عن الحفر وبدأت بالبكاء بحرقه عندما تيقنت أن الجثة التي أمامها كانت لـ(رتيكة).

(عِمرة) وهي حزينة لبكاء (دعجاء): ربما ليست هي يا عمة.

(دعجاء) وهي تبكي: أنا من اشتريت لها هذا اللباس من سوق «اليمامة».

(عِمرة) تصمت بوجه حزين وتراقب (دعجاء) وهي تبكي وتسجد بنحيب عند قبر (رتيكة)..

بعدها بقليل رفعت (دعجاء) رأسها بسرعة والدموع والرمال تغطي وجهها وهي تقول: أين بقية بناتي؟!.. هل واجهوا نفس المصير؟!

بدأت (دعجاء) تحفر بجنون حول قبر (رتيكة) و(شَبَث) و(عِمرة) يراقبانها..

(عِمرة) بتردد لـ(دعجاء): يمكنني أن أبحث تحت الأرض يا عمة..

(دعجاء) وهي تتوقف عن الحفر وتصرخ في (عِمرة): ماذا تنتظرين إذاً؟!

تخلت (عِمرة) عن تشكلها ونزلت تحت الارض..

جلست (دعجاء) أمام قبرها ومدت يدها في جيب (رتيكة) وأخرجت خاتمها وعند رؤيته قالت بحزن: بما أن ذلك الأحمق لم يجد سوى خاتمك فمعنى ذلك أن أخواتك بخير وخواتمهم ما زالت معهن.

خرجت (عِمرة) من تحت الأرض وتشكلت أمام (دعجاء) بوجه حزين ولم تتحدث..

(دعجاء) بوجه قلق جداً: هل وجدتي شيئاً؟!

(عِمرة) وهي تنزل رأسها: وجدت ثلاثة قبور أخرى وكلها لنساء..

على عكس ما توقعت (عِمرة) فإن (دعجاء) نهضت بهدوء وقالت: أين؟

حددت (عِمرة) أماكن القبور لـ(دعجاء) التي نبشتهم وتعرفت على بناتها من ملابسهن أيضاً ثم قامت بردمها مرة أخرى.

(دعجاء) وهي تضع خاتم (رتيكة) في جيبها وتقول بهدوء مخيف:

خواتمهن مفقودة و(هنان) ليست معهن..

(عِمرة) بحزن: لعلها نجت..

(دعجاء) وهي تنظر لأحد القبور:

هناك الكثير من الاسئلة وقد لا أملك الوقت أو الصبر لمعرفة الإجابة عليها.

(عِمرة) تنزل رأسها بصمت..

(دعجاء) وهي ترفع رأسها وتنظر لـ(عِمرة): أين ذلك الكهف الذي أخبرتني عنه؟

(عِمرة) وهي ترفع رأسها: تقصدين كهف المسترقين؟

(دعجاء) وهي لا تزال تحدق بـ(عِمرة) بنظرة حادة: نعم.

(عِمرة): أخبرتك يا عمة أني لا أعرف مكانه فكل ما أعرفه أخبرتك به.

(دعجاء) وهي تدير نظرها للأفق: تقولين أن كبيركم قال للذي سأل

عن مكانه أنه "يخفى عن قلوب البشر وعن أعين الجن وعن رغبة الشياطين.."

(عِمرة): نعم.. هذا ما قاله تماماً.

(دعجاء): إذا كان مخفياً عن قلوب البشر فهو ظاهر لأعينهم وإذا كان مخفياً عن أعين الجن فهو ظاهرِ لقلوبهم..

(عِمرة): والشياطين؟

(دعجاء): الشياطين لا رغبة لهم بذلك الكهف لذا فمعرفة مكانه ليست من رغباتهم لكنها من علمهم.

(عِمرة): لم أفهم قصدك يا عمة..

(دعجاء): سنجد الكهف بما يمليه عليك قلبك وسنراه بعيني..

(عِمرة) وهي تنظر لـ(دعجاء) بصمت لفترة وجيزة ثم تقول: قلبي يقول أن (شَبَث) يعرف الطريق للكهف..

(دعجاء): (شَبَث)؟

(عِمرة): نعم فهو شيطان وأنتِ قلتِ إنه من علمهم ولا رغبة لهم فيه.

(دعجاء) وهو توجه نظرها لـ(شَبَث) الذي كان يقف بالقرب من قبر (خود):

تعال هنا أيها الشيطان..

(شَبَث) يجري بسرعة ويخر عند قدمي (دعجاء) ويقبلها وهو يقول:

خادمك للأبد.. خادمك للأبد..

(دعجاء) وهي تنظر للأفق: أين كهف المسترقين؟

انطلق (شَبَث) بسرعة بعد كلمات (دعجاء) نحو الجنوب فقالت (عِمرة) بحماس وهي تشاهد انطلاقته: يبدو أنه يعرف الطريق يا عمة!

(دعجاء): لنتبعه إذا قبل أن نفقد أثره!

حملت (عِمرة) (دعجاء) على ظهرها وانطلقت بسرعة خلف (شَبَث)..

***

أشباح الماضي وشياطين المستقبل

استمر (شَبَث) بالعدو على قوائمه الأربعة بسرعة كبيرة و(عِمرة) تلاحقه وتقتفي أثره في كل منعطف يسلكه..

(دعجاء) وهي تتحدث بصعوبة بسبب اندفاع الهواء بقوة في وجهها: إلى أين يذهب هذا الأحمق لقد شارفنا على الوصول لحدود حضرموت.

(عِمرة) بصوت مرتفع وهي تجري بسرعة و(دعجاء) فوق أكتافها: لا تقلقي يا عمة لن يبتعد عن ناظري!

بعد ساعة أخرى من الجري المتواصل توقف (شَبَث) فجأة في وسط الصحراء في منطقة مفتوحة بلا تضاريس أو أثر للحياة فقط مجموعة من الكثبان الرملية. نزلت (دعجاء) بعدما توقفت (عِمرة) بالقرب من (شَبَث) الذي بقي واقفاً ولم يشر بيده لأي مكان. دنت (دعجاء) من الشيطان الأحمر الذي كان يقف متسمراً يحدق أمامه وقالت: أين؟.. أين مكان الكهف؟.. حدد مكانه!

لم يتحرك (شَبَث) ولم يرد عليها وقبل أن تعاود السؤال عليه صرخت (عِمرة) فيها وقالت وهي تشير أمامها: انظري يا عمة!

نظرت (دعجاء) حيث كانت (عِمرة) تشير ورأت في الأفق عاصفة رملية قادمة باتجاههم. تسمرت (دعجاء) وهي تحدق بتلك العاصفة التي علت لعنان السماء وأصبحت على بعد يسير منهم.

(عِمرة) بصوت مرتفع: هيا يا عمة لنخرج من هنا!!

(دعجاء) وهي تغمض عينيها وجدائلها الخمسة بدأت تتحرك من قوة الهواء:

لن نلحق..

عصفت العاصفة الرملية بالثلاثة واستمرت لدقائق حتى تخطتهم وعم الهدوء المكان..

خرجت (دعجاء) من تحت الرمال التي غطتها وهي تبحث عن النفس ولم ترَ حولها أياً من (عِمرة) أو (شَبَث). نهضت وبدأت تنادي عليهم وخلال ندائها رأت خلفها جبلاً كبيراً يتوسطه كهف بفوهة واسعة. استغربت (دعجاء) من ظهور هذا الجبل وبدأت تلتفت حولها لتتأكد أنها في نفس المكان الذي كانت فيه قبل هبوب العاصفة لكن ملامح المكان كانت مبهمة لها ولم تستطع التأكد أنها كانت في نفس البقعة.
تقدمت (دعجاء) نحو الكهف وهي تقول في نفسها:

هل يمكن ان يكون هذا هو «كهف المسترقين»؟

دخلت (دعجاء) الكهف وسارت فيه مسافة يسيرة ثم توقفت وبدأت تحاول رؤية معالم الطريق التي بدأت تختفي كلما تعمقت داخل الكهف

لابتعادها عن فوهته وخلال إمعانها النظر في الطريق أمامها سمعت صوتاً يأتي من خلفها فأدارت نظرها لترى أن الفوهة أغلقت ليتحول المكان لظلام دامس. ارتبكت (دعجاء) ولم تتحرك من مكانها في بادئ الأمر وأكملت سيرها وهي تتحسس بيدها الجدران حولها وخلال صمتها اشتعلت نارٌ في قلب الكهف أمامها وسمعت صوتاً تردد صداه في أركان المكان يقول: اجلسي بالقرب من النار..

نفذت (دعجاء) كلام الصوت الذي تحدث معها وجلست أمام النار بقلق..

(الصوت): ما العلم الذي أتيتِ لطلبه؟

(دعجاء): لدي الكثير من الأسئلة.

(الصوت): ولدينا الكثير من الأجوبة.

(دعجاء): هل هناك حد للعلم الذي يمكنني ان أطلبه؟

(الصوت): إلى أن تخمد النار التي أمامك يمكنك السؤال عما تشائين.

(دعجاء) وهي تنتبه لخنجر بجانب النار: ما هذا الخنجر؟

(الصوت): بعض من يطلبون العلم هنا لا يستطيعون تحمل ما يسمعونه وهذا الخنجر هو لمساعدتهم على الهروب.

(دعجاء): الهروب من ماذا؟

(الصوت): الهروب من الحقيقة ومن الألم الذي تسببه..

أخذت (دعجاء) نفساً عميقا وزفرته ثم قالت: ماالذي حدث لي ولعصبتي في اليوم الذي افترقت فيه عنهم؟

بدأ الصوت بسرد تفاصيل ما حدث لـ(دعجاء) وبناتها ذلك اليوم وكيف باغتتهم (أفسار) وعصبتها وقتلتهم جميعاً عدا (هنان) وكيف هربت (دعجاء) بطلسم «الفناء».

(دعجاء) وهي تدمع: من هذه الساحرة التي هجمت علينا ولماذا فعلت ذلك؟

حكى الصوت لـ(دعجاء) عن سبب هجوم (أفسار) عليهن وأن هدفها كان قتل (دعجاء) للانتقام لأبيها. أخبرها أيضاً أنها فارسية وقد عادت لبلادها.

(دعجاء) بحزن: و(هنان) أين أجدها الآن؟

أخبر الصوت (دعجاء) عن ما قامت به (هنان) من تجنيد للشياطين وكيف قادتهم مع (أزرق) لـ«فارس» للأخذ بثأر أخواتها وكيف انتهى بها المطاف مقتولة على يد (أزرق) بعدما أخذ (أفسار) لساحرة تدعى (جهنم).

(دعجاء) وقد بدأت تدمع وترتجف: وأين دفنت (هنان)؟

(الصوت): أعادها الجني الأزرق للجنوب ودفنها عند منزل أهلها تحت شجرة كبيرة.

(دعجاء) تبكي..

(الصوت): هل انتهت أسئلتك؟

(دعجاء) وهي تمسح دموعها: هل خمدت نارك؟

(الصوت): لا

(دعجاء): إذاً أجبني على هذا السؤال.. أين أجد الساقطة الفارسية الآن؟

(الصوت): أنها تقيم في جبل «آريان» وهي محمية من (جهنم) وجيشها الشيطاني.

(دعجاء): كيف أصل إليها دون أن أمر بذلك الجيش؟

(الصوت): استعيني بـ(عقربة البابلي).

(دعجاء) باستغراب: لكن (عقربة) مات منذ أعوام.

(الصوت): علمك يناقض علمنا.

(دعجاء): أين أجده الآن؟

(الصوت): في مدينة «لخمو».

(دعجاء): حيث يستوطن العبرانيون؟

(الصوت): نعم.

(دعجاء) وهي تشاهد النار وقد بدأت تخمد: لدي سؤال أخير..

(الصوت):...

(دعجاء): هل قتل أبي فعلاً ذلك الفارسي كما تدعي ابنته؟

(الصوت): لقد خمدت النار وعلمنا لم يعد متاحاً لك.

صرخت (دعجاء) بقوة وهي تقول: أجبني!

لم يرد الصوت على (دعجاء) وحل الظلام في المكان مرة أخرى..

بعد ثوانٍ اهتزت جدران الكهف وفتحت فوهته ودخل النور للمكان ولم ترَ (دعجاء) أمامها إلا رماد النار والخنجر الذي كان بجانبها. أمسكت (دعجاء) بالخنجر ورفعته أمامها وبدأت تحدق به بأعين دامعة ثم بدأت بقص جدائلها الخمسة وهي تقول:

ستعرف تلك الفارسية قريباً كيف يأخذ العرب بثأرهم..

خرجت (دعجاء) من الكهف وبعدما ابتعدت عنه ببضع خطوات عصفت بالمكان عاصفة رملية دفعتها للنزول أرضاً وتغطية رأسها. هدأت العاصفة بعد دقائق فنهضت (دعجاء) ورأت أن الجبل قد اختفى وأن المكان عاد صحراء رملية فارغة. بعدها بدأت تبحث بنظرها عن (عِمرة) و(شَبَث) وتنادي عليهم لكنّ أحداً لم يستجب لها حتى بعد أن قرأت طلسم استدعاء شيطانها الأحمر.

لم تمضِ (دعجاء) وقتاً طويلاً في البحث عن (عِمرة) و(شَبَث) وقررت قراءة طلسم الانتقال كي تنتقل لـ«لخمو» للبحث عن (عقربة). ظهرت (دعجاء) عند أطراف المدينة وقبل دخولها لبست خاتم (رتيكة) والذي كان يملك خاصية تمنح لابسه القدرة على الانصات والتحدث بأي لسان أو لغة يشاء. دخلت للمدينة وبدأت بالسؤال عن (عقربة) وبعد بحث مطول استطاعت تحديد مكانه بعدما أخبرها أحد المارة أن هناك رجل دين يعالج الناس ويحمل نفس المواصفات التي كانت تتحدث عنها. توجهت (دعجاء) للمنزل الذي وُصف لها

وعند وصولها وجدت جمعاً من النساء والأطفال وقليل من الرجال ينتظرون خارج المنزل وعندما سألت أحدهم عن سبب تجمعهم أخبروها أن هذا منزل حكيم ومعالج من الشرق يملك قدرة عالية على علاج الأمراض فتبسمت (دعجاء) وجلست تنتظر حتى يخف ذلك الزحام. مع حلول المساء لم يبق أحد عند ذلك المنزل الذي خرج منه رجل عجوز يمشي مستعيناً بعصا خشبية. خرج العجوز وبدأ بالسير نحو (دعجاء) ووقف أمامها وقال بالعبرانية:

يمكنك العودة غداً..

(دعجاء) وهي تنهض مبتسمة وتقول بالأكادية (لغة أهل بابل):

أحتاج للحديث معك اليوم يا (عقربة).

(عقربة) وهو مصدوم: لم اسمع الأكادية منذ سنوات.. هل أنتِ من «بابل»؟!

(دعجاء): لا أنا من جزيرة العرب.

(عقربة): لغتك الأكادية رائعة.. هل تربيتِ في «بابل»؟

(دعجاء): لم أزرها من قبل.

(عقربة) بتعجب: كيف اتقنتِ الأكادية بهذه البراعة إذاً.

(دعجاء): هذا ليس محور حديثنا الآن لقد أتيت من بعيد كي أطلب مساعدتك.

(عقربة) يحدق بـ(دعجاء) لبرهة ثم يقول بالعربية: اتبعيني.. لنتحدث في الداخل.

دخل (عقربة) منزله و(دعجاء) خلفه وهي تقول مبتسمة: عربيتك لا بأسها بها أيضاً.

(عقربة) وهو يجلس ويضع عصاه الخشبية جانباً: كيف وجدتني؟.. كل من يعرفني يعرف بأني مت.

(دعجاء) وهي تجلس أمام (عقربة): لكنك أمامي وحي ترزق.

(عقربة): مجرد وصولك لعتبة بابي يدل على أنك تملكين علماً كبيراً ولن أناقشك في ذلك لكني أريد معرفة الغرض من هذه الزيارة.

(دعجاء): أنا أسعى لقتل ساحرة فارسية وقد بلغني أنك أفضل من يمكنه مساعدتي لتحقيق هذا الأمر.

(عقربة): لا أعتقد أنكِ تحتاجين مساعدتي في جانب القوة.

(دعجاء): معك حق.

(عقربة): ما معضلتك إذاً؟

(دعجاء): الساحرة التي أسعى لقتلها تختبئ خلف جيش كبير من الشياطين تقودهم ساحرة تدعى (جهنم).

(عقربة) وهو يفرك لحيته البيضاء: (جهنم)؟.. أعتقد أني أعرفها.

(دعجاء):...

(عقربة): نعم تذكرت.. إنها ابنة ساحر جبل «آريان» وهي من تولى أمر مسعري النار بعد موت أبيها..

(دعجاء): وما علاقتها بتلك الساحرة التي أرغب بقتلها ولماذا تحميها وتدافع عنها؟

(عقربة): ومن هي الساحرة التي تسعين خلفها؟

(دعجاء): كل ما أعرفه عنها أن اسمها (أفسار).

(عقربة): ابنة (آشور)؟

(دعجاء): نعم

(عقربة) وهو يفرك لحيته ويبتسم: يبدو أن الفرس بدأوا بتغيير نهجهم.

(دعجاء): ماذا تقصد؟

(عقربة): مسعرو النار قوم لا يتدخلون في أمور السحر والسحرة وهمهم هو تقديس النار فقط لكن منذ تولى ساحر الجبل قيادة مسعري النار بدأ يفرض عليهم إدخال الشعوذة والتعامل مع الشياطين تدريجاً في عقائدهم وبعد موته وتولي ابنته من بعده سارت على نهجه لكن توفير الحماية لساحرة كـ(أفسار) والاستعانة بجيش من الشياطين هو تطور ليس له إلا تفسير واحد.

(دعجاء): ما هو؟

(عقربة): أن (جهنم) لم تكن يوماً مؤمنة بعقيدة النار وأنها استغلتهم كي تطور مملكتها وأظن أن هذا هو في الأصل هو توجه أبيها وهي تسير على خطاه.

(دعجاء): وكيف أصل لتلك الساحرة دون أن أمر بذلك الجيش الذي يحميها؟

(عقربة): الوصول لها لن يكون بالأمر السهل والقوة لن تفيد.

(دعجاء): أعرف فقد حاولت ابنتي بالقوة وفشلت.

(عقربة): هل واجهت جيش (جهنم) لوحدها؟

(دعجاء): لا.. كان معها عصبة قوية من الشياطين لكنها لم تحسب حساباً للطعنة التي أتتها من الخلف..

(عقربة): من غدر بها؟

(دعجاء): غدر بها (أزرق).. تعرفه بالطبع فأنت من أسره لسنوات بعدما اطحت بمملكة أبيه.

(عقربة) بتجهم: (أزرق ابن وندل)؟!

(دعجاء): نعم..

(عقربة): لطالما رغبت في قتل ذلك الأمير.

(دعجاء): وهل ستساعدني في مسعاي؟

(عقربة): نعم سوف أساعدك للوصول لمبتغاك.

(دعجاء): وما المقابل؟

(عقربة) وهو يبتسم: في العادة لا أقوم بشيء دون مقابل لكن هذه المرة سأساعدك بكل امتنان.

(دعجاء): أريد أن أعرف السبب كي يطمئن قلبي ولا أخشى غدرك.

(عقربة): سحرة الفرس هم سبب وجودي اليوم في هذه الأرض.. ألا تظنين أني أرغب في العودة لـ«بابل» وتنفس هوائها والموت على أرضها وأن أدفن فيها؟.. سحرة الفرس حرموني من موطني عندما

تسللوا إليها واحتلوها دون أن نشعر.. والجن الأزرق هم من ساعدوهم ومكنهم من السيطرة على «بابل» ولن أضيع فرصة أخيرة للنيل منهم.

(دعجاء): لِمَ لم توقفوهم؟.. سحرة «بابل» من أقوى السحرة على الأرض؟

(عقربة): كيف توقف طوفان الماء بعد انهيار السد؟.. لم يكن أمامنا خيار إلا مشاهدة بلادنا وهي تسلب منا.. وتعاون بعض البابليين معهم وخيانتهم لنا لم يساعد كذلك..

(دعجاء): ولماذا لم تذهب لـ«فارس» للثأر لما حل ببلادك قبلها؟.. لماذا قررت التحرك عندما طلبت منك ذلك؟

(عقربة) وهو يضحك: قد لا تصدقيني لكني رأيت في منامي بالأمس طيراً من نار يحلق فوق «بابل» متوجها لـ«فارس» ويحرقها بالكامل وبحكم أني رجل مؤمن بأن رؤية مثل هذه ليس مجرد حلم عابر كنت أنتظر إشارة ما كي أتيقن منها فوجدتك عند بابي تطلبين مني مرافقتك لقتل أكبر ساحرة في «فارس».

(دعجاء) وهي تبتسم: متى نتوجه لـ«فارس» أيها العجوز؟

(عقربة): هل تملكين مالاً؟

(دعجاء): هل غيرت رأيك بشأن أخذ مقابل لذهابك معي؟

(عقربة): المال ليس لي.

(دعجاء): لماذا نحتاج المال إذاً؟

(عقربة) وهو يبتسم: المال يختصر الكثير من الطرق..

(دعجاء): كل ما جمعته في حياتي موجود في جبل «الغار».

(عقربة): تقصدين جبل «الغار» في «هجر»؟

(دعجاء): نعم.

(عقربة) وهو يقف: ماذا ننتظر إذاً؟

انتقل الاثنان لـ«هجر» بطلاسم الانتقال وحطوا عند جبل «الغار» وكان الوقت ليلاً..

(دعجاء) وهي تتأمل النخيل الممتدة تحت ضوء القمر:

مهما غبت عنها أعود لها وكأني أراها أول مرة..

(عقربة) وهو يدخل الكهف: أين كنزك الذي تتحدثين عنه؟

(دعجاء) وهي تلتفت وتتوجه لمدخل الكهف: بالداخل.

(عقربة): المكان مظلم.

(دعجاء) وهي تصفق وتشعل كفيها وتتعمق في الكهف: انتظرني في الخارج.

بقي (عقربة) خارج الكهف يتأمل منظر النخيل حتى خرجت (دعجاء) وعلى وجهها صدمة وتعجب..

(عقربة) وهو يلتفت عليها: هل وجدتِ كنزك؟

(دعجاء): باستغراب: لا.

(عقربة): هل أنتِ متأكدة انك وضعتِه هنا؟

(دعجاء): نعم!.. لقد كنت آتي هنا دائما مع..

(عقربة): مع من؟

(دعجاء) وهي تبتسم بخيبة أمل: لا شيء.. انس أمر الكنز.

(عقربة) وهو يجلس: بدون المال سنضطر للذهاب لوحدنا لـ«فارس».

(دعجاء) وهي تجلس بجانب (عقربة) وتحدق بالأفق: اسمع يا (عقربة) لا تظن أني أريد العودة من «فارس»، هدفي هو قتل الساحرة فقط حتى لو دفعت حياتي ثمناً لذلك.

(عقربة): أعرف أني عجوز لكني ما زلت أريد العيش.

(دعجاء): هل ستتخلى عني الآن؟

(عقربة) وهو يبتسم: لم تنضب حيلي بعد.

(دعجاء): ماذا سنفعل إذاً؟

(عقربة) وهو ينهض ويعقد أصابعه: هل تجيدين الفارسية؟

(دعجاء) وهي تنهض وتقف بجانب (عقربة) وتمسح على خاتم (رتيكة):

أعتقد أني لن أواجه مشكلة في الحديث بها.

(عقربة): أمسكي بعصاتي إذاً كي لا تضلي الطريق.

انتقل الاثنان لبلاد «فارس» وحطوا خارج مدينة «تيرازيس»..

(دعجاء) وهي تنظر لسلسلة من الجبال الممتدة: هل جبل «آريان» هنا؟

(عقربة) وهو يسير باتجاه مدخل المدينة: لا هذه جبال « زاغروس».

(دعجاء) وهي تلحق بـ(عقربة): ولماذا لم نذهب لجبل «آريان»؟

(عقربة): الصبر يا ابنة العرب الصبر..

***

طبول الحرب

(زمرك) يستأذن بالدخول على (أزرق)..

(أزرق) وهو جالس على عرشه البارد: ما الأمر يا (زمرك)؟.. هات ما عندك..

(زمرك): لقد جاءنا رسول من (جهنم).

(أزرق) وهو يبتسم بخبث: وماذا يقول؟

(زمرك): لقد وافقت على الخروج من جبل «آريان» ومقابلتك وهي في طريقها الآن.

(أزرق) وهو يضحك بسعادة: ألم أخبرك بأنها ستأتي زاحفة لطلب علاج أمها؟!

(زمرك) ورأسه للأرض: وبماذا تأمر الآن يا سيدي؟

(أزرق) وهو يقف: هل اتلفت جميع الزنابق كما أمرتك؟

(زمرك): نعم.

(أزرق): جيد.. اذهب الآن وأعد العدة للتصدي لحراس (جهنم) الذين سيرافقونها.

(زمرك) وهو يخرج بوجه مهموم: أمرك يا سيدي.

(أزرق): انتظر!.. ما بك؟!.. لَمَ تبدو مكتئباً هكذا؟

(زمرك) وهو ينزل رأسه ويقول بحزن: لا شيء.

(أزرق): تحدث ولن أعاقبك مهما كان فحوى حديثك.

(زمرك) وهو يزفر: أنا لا أشكك بقدرتك أيها الأمير لكني أرى أننا نحفر قبورنا بأيدينا.

(أزرق) وهو يجلس على عرشه: كيف؟.. أخبرني..

(زمرك): إذا قتلت (جهنم) هل تظن أن قادة جيشها سيتركوننا؟.. سوف يمسحون مملكتنا ويسوّون بها الأرض فما الفائدة من تحقيق نصر صغير بقتلها إذا كان الثمن سيكون باهظاً كإبادة شعب الجن الأزرق بأكمله.

(أزرق) وهو يبتسم بسخرية:

لا تتدخل فيما لا يعنيك يا (زمرك) ونفذ ما آمرك به دون جدال.

(زمرك) وهو يخرج بوجه متجهم: أمرك.

بعد أقل من ساعة دخل (رسكل) على (أزرق) دون أن يستأذن وهو في حالة من التوتر ويقول: لقد حضر جيش (جهنم) يا سيدي!

(أزرق) وهو يبتسم: وأين سيدتهم؟

(رسكل): لم أرَها معهم.. لم أرى سوى جحافل من المردة والشياطين يحاصرون الجبل بالكامل.

(أزرق) وهو يقف ويصرخ بعصبية: ماذا تعني بأنك لم ترَها؟!.. عد وأرسل رسولاً لهم كي يقودها إلى هنا!

(كاظم) وهو يدخل الكهف على (أزرق): لن يكون لهذا الأمر حاجة يا ابن (وندل).

(أزرق) وهو يشاهد قادة جيش (جهنم) الأربعة يدخلون عليه مع (زمرك) ورأسه للأرض: ماذا يحدث هنا؟!

(سقر) وهو يبتسم: أتينا لنقدم واجب العزاء..

(أزرق) بغضب: عزاء؟!.. عزاء بمن؟! بماذا تهرطقون؟!

(طرمد): ألم تسمع بالخبر المؤسف؟

(أزرق) ينظر لقادة جيش جهنم بصمت وتوتر..

(حاجب): لقد مات حاكم الجن الأزرق اليوم وهو يدافع عن مملكته ضد الغزاة..

(أزرق) والقلق واضح على وجهه: ماذا؟

(كاظم): نعم ولكن حكمة حاكمهم الجديد استطاعت إقناع الغزاة بترك شعب الجن الأزرق ليعيشوا بسلام.

(أزرق) وهو يوجه كلامه لـ(زمرك): ما الذي يحدث يا (زمرك)؟!

(زمرك) يرفع رأسه وينظر لـ(أزرق) دون أن يرد..

بدأ قادة الجيش الأربعة بالتقدم نحو (أزرق) الذي صرخ فيهم وقال: لو قتلتموني فلن تحصلوا على الزنبقة التي تريدها سيدتكم!

(كامظ) وهو يخرج زنبقة مقلوبة من جيبه: تقصد مثل هذه؟

(أزرق) وهو مصدوم: كيف حصلت عليها؟!

(سقر) وهو يخرج زنبقة أخرى ويرفعها: أو تقصد مثل هذه؟

(أزرق) وهو يجلس على عرشه بهدوء وبصوت يخالطه الحزن: ماذا فعلت يا (زمرك)؟

(زمرك) بحزن: فعلت ما كان يجب أن تفعله أنت.. الحفاظ على مملكة الجن الأزرق.

(أزرق) وهو يصرخ في (رسكل): اذهب واطلب العون من الحراس حالاً!

(رسكل) وهو يقف بجانب (زمرك): أنا لا آخذ أوامري منك الآن..

(أزرق) يغمض عينيه ويبتسم بحسرة وحزن..

(سقر) بتجهم: لا نملك اليوم بطوله أيها الأمير الأزرق!

(أزرق): ما المطلوب مني الأن؟

(طرمد) وهو يبتسم بخبث: لا شيء سوى الموت

هجم قادة جيش (جهنم) على (أزرق) وبدأو يقاتلونه حتى تمكنوا منه ثم قامو بضربه والتنكيل به بشكل وحشي ولم يستطع مقاومتهم طويلاً ليخر على ركبتيه وهو في حالة من الإنهاك والتعب الشديد بسبب

الجراح الغائرة التي أصابته. فتح (كامظ) كفه ليتشكل به سيف ضخم أتبعه بنداء لـ(زمرك) وقال: تعال هنا أيها الجني!

تقدم (زمرك) بتوتر وعيناه على أميره (أزرق) وعندما وصل لـ(كامظ) ووقف بجانبه قال وهو يمد السيف له: حان وقت سداد الثمن يا (زمرك)..

(زمرك) يمسك السيف بتوتر..

(سقر) مخاطباً (زمرك) وهو يشير بيده لـ(أزرق):

هيا أيها الجني لننتهي من هذا الأمر..

(أزرق) يلتفت على (زمرك) بوجهه الذي كان ينزف بغزارة ويبدأ بالبكاء..

(زمرك) يرفع السيف فوق عنق (أزرق) وهو يرتعش..

(كامظ) وهو يحدق بـ(أزرق): الغادر يُغدر به ولو بعد حين..

(أزرق) وهو ينزل رأسه ويحدق بقطرات الدم المختلطة بدموعه والتي كانت تتساقط من وجهه على الأرض: سامحيني يا هنان

(كامظ) بصوت مرتفع: نفذ أيها الجني!

أنزل (زمرك) السيف على عنق (أزرق) وفصل رأسه عن جسده..

بعد موت (أزرق) أمر (كامظ) (زمرك) بترك جثته ورأسه المفصول

ليراها شعب الجن الأزرق وأن يخبرهم أن السيدة (جهنم) عفت عنهم فقط لأنها حصلت على عهد الولاء والسمع والطاعة منك كحاكم جديد عليهم.

(زمرك): وإذا لم يقبلوا بي كحاكم عليهم؟

(سقر): جيشنا سيعينك حاكماً بالقوة ما دمت حليفنا ومُعاهدًا لنا.

(كامظ): أي اعتراض تجده من شعبك سنضربه بيد من حديد فقط أعلمنا بذلك.

(زمرك) وهو ينزل رأسه: أمرك.

عادة القادة الأربعة لجبل «آريان» ليبشروا (جهنم) بأنهم حصلوا على الزنبقة المقلوبة لكنهم فوجئوا بأن جيشهم الذي تركوه في جبل «آريان» منتشراً على قممه وكأنهم في حالة حرب فتوجه الأربعة للقائد الذي عينوه في غيابهم لحراسة الجبل ليستفسروا منه عن سبب تأهبهم بهذا الشكل فأخبرهم أن جواسيسهم عند الساحل الشرقي أخبروهم أن هناك جيشاً جراراً قد عبر البحر للتو قادماً من «عربستان» ويقوده (الشيطان الأسير) وهو قادم باتجاههم.

(كامظ) بقلق: وأين السيدة (جهنم) الآن؟!

(القائد المنتدب): تجلس مع أمها و(أريس) في كهفها.

(كامظ) لبقية قادة الجيش: وجهوا فيالقكم وخذوا مواقعكم واستعدوا للمواجهة!

(طرمد): وأنت أين ستذهب؟

(كامظ): يجب أن أطمئن على السيدة (جهنم) وبعدها سأنضم إليكم بفيلقي!

انطلق (كامظ) بسرعة لكهف (جهنم) وأمر فيلقه بالكامل بأن يقف حارساً خارج الكهف وعندما دخل عليها وجدها تعانق (أفسار) و(أريس) تقف فوقهم تمسك في يدها إناء ماء. عندما رأت (جهنم) (كامظ) وقفت وتوجهت إليه ولطمته على وجهه لطمة قوية وقالت:

أين كنت؟!.. طبول الحرب قرعت وأنت وقادتك نائمون!!

(كامظ) وهو ينحني أمام (جهنم) ويمد لها الزنبقة:

أعتذر يا سيدتي كان من الخطأ أن نذهب جميعاً.. لقد قتلنا أمير الجن الأزرق كما أمرتِ وسيطرنا على شعبه بالكامل وقد حصلنا على علاج السيدة (أفسار).

(جهنم) وهي تمسك الزنبقة بكلتا يديها وتسرح بها قليلاً: أخيرا..

(كامظ) وهو يقف: سوف أترك فيلقي بالكامل هنا كي يحرسك مع السيدة (أفسار) وسوف أعود لأقود الجيش لمواجهة (الشيطان الاسير).

(جهنم): لا.. خذهم جميعاً معك لجبهة القتال.

(كامظ): لكن يا سيدتي..

(جهنم) بحزم: نفذ ما طلبته منك ولا تقلق علينا فلن نبقى هنا.

(كامظ): إلى أين سترحلون؟

(جهنم) وهي تلتفت وتحدق بـ(أريس) وهي تلاعب (أفسار): سوف نختفي حتى تنتهي حربكم مع الغزاة وعندما تهدأ الأمور سنعود.

(كامظ): وإذا احتجت أن أتواصل معك ياٰ سيدتي كيف أجدك؟

(جهنم): سوف نكون في نفس المكان الذي كنت أذهب إليه عندما كنت أزور قبر أبي.

(كامظ) وهو ينحني ويهم بالخروج: فهمت.. رافقتكم السلامة.

عاد (كامظ) لجبهة القتال ووقف بجانب (سقر) فوق قمة أحد الجبال وقال:

هل هناك أخبار عن الجيش القادم نحونا؟

(سقر) وهو يحدق بالأفق: الأخبار التي تصل إلينا غير مطمئنة.

(كامظ) وهو يلتفت على (سقر): ماذا تقصد؟

(سقر): لقد أرسلنا المزيد من الجواسيس كي يعطونا تصوراً عن نوع الحشود الزاحفة نحونا.

(كامظ): وماذا كان ردهم؟

(سقر) وهو يلتفت على (كامظ): لم يعد منهم أحد.

(كامظ) وهو مصدوم: ماذا؟ كيف لم يعد أحدٌ منهم؟!.. الجواسيس لا يمكن اقتفاء أثرهم أو كشفهم بسهولة!

(سقر) وهو يعيد نظره للأفق: يبدو أن هذا (الشيطان الأسير) من سلاطين الحرب ويعرف كيف ينتصر فيها.

(كاامظ) بغضب: أغلق فمك ولا تتحدث بمثل هذا الكلام المحبط أمام فيلقك كي لا يدب اليأس في قلوبهم!

(طرمد) وهو ينضم للحديث: فات الأوان على ذلك.. لقد انتشر خبر فقدان الجواسيس بين جميع الفيالق والتوتر قد أصابهم بالفعل.. لقد أعدمت للتو ماردين قررا الهروب من المواجهة.

(كاامظ) بغضب وصوت مرتفع قليلاً: نحن لسنا بلقمة سائغة لهذا (الأسير)! جيشنا أعظم جيش في «فارس» ولن نسقط بسبب قبيلة من الشياطين الهمجية من «عربستان».

(سقر) بهدوء وهو لا يزال يحدق بالأفق: لا أعرف يا (كاامظ) فذلك (الأسير) وحده كاد أن يفتك بنا ذلك اليوم ومواجهته وهو يقود جيشاً تحت إمرته قد لا يكون قراراً حكيماً.

(كاامظ) بغضب: ماذا تقترح يا قائد الشياطين العلوية؟!.. أن ننسحب من المواجهة؟!

(طرمد): (سقر) لم يقصد ذلك.

(كاامظ) بغضب: ماذا يقصد إذاً يا قائد المردة؟!

(سقر) وهو يلتفت على (كاامظ): أقصد أن لا نواجهه بالطريقة التي يريدها.

(كامظ): ماذا تقصد؟

(سقر): مقتل جواسيسنا تعني أنه قد عرف بأننا على علم بقدومه وهو يعول على تحصننا في جبل «آريان» كي يقضي علينا في مكان واحد.

(كامظ): وماذا تقترح أن نفعل؟

(سقر): الأخبار الأولية التي وصلتنا تفيد بأن عدد جيشه يعادل نصف جيشنا فمعنى ذلك أن العدد في صالحنا.

(طرمد): العدد ليس ضمان للنصر.

(سقر): أعرف لكنه بيدق يمكننا استغلاله.

(كامظ): أكمل.. نحن منصتون.

(سقر): (حاجب) الآن مرابط أسفل الجبل مع شياطينه السفلية لذا أرى بأن نوجهه للاشتباك مع جيش (الأسير) قبل أن يصل إلينا.

(طرمد): لكنهم سيبادون بالكامل.

(سقر) بوجه متسائل يخالطه شيء من اللامبالاة: وهل تكترث للشياطين السفلية لهذا الحد؟

(كامظ): وبعد أن يشتبك (حاجب) معهم ماذا سيحدث؟

(سقر) وهو يعيد نظره للأفق: إذا كنت مصيباً فإن (الشيطان الأسير) سيقلق من إهدار الوقت معهم وسيخرج مع مجموعة من شياطينه وسيأتون إلى هنا قبل أن نهرب لأن تقديم الشياطين السفلية هي إشارة واضحة بأننا سنحاول الهروب.

(كامظ) وهو يبتسم: وسيجد فيالقنا الثلاثة بانتظاره وستكون الكفة متعادلة.

(سقر): بل راجحة لنا لو وجهنا جميع شياطيننا لاستهداف (الشيطان الأسير) كلما سنحت لهم الفرصة لأن سقوطه سيكسر عزيمة جيشه وسيكون التغلب عليهم أسهل بكثير بعد موت قائدهم هذا إذا لم ينسحبوا.

(طرمد): خطة جيدة لكن (حاجب) ليس بهذا الغباء كي يذهب لمواجهة جيش (الأسير) وحده.

(سقر): لذلك ستذهب معه.

(طرمد): ماذا؟! أذهب معه؟!.. ألم تقل بأن خطتك مبنية على مواجهة الشياطين السفلية لوحدها لجيش (الأسير).

(سقر) وهو يهز رأسه وهو محبط..

(كامظ) وهو يبتسم ويوجه كلامه لـ(طرمد) وعينه على (سقر): حاول أن تفهم يا (طرمد).. ذهابك معه فقط لتشجيعه وعندما تقع المواجهة عد أدراجك وانسحب واتركه ليواجه جيش الأسير بفيلقه.

(سقر) وهو يلتفت على (طرمد): هل فهمت الآن؟

(طرمد) بوجه عابس: نعم.

(كامظ): تحرك الآن إذاً ولا تضيِّع الوقت وخذ مردتك وتوجه مع فيلق (حاجب) واعترضوا (الشيطان الاسير) قبل أن يصل إلى جبل «آريان».

نزل (طرمد) من قمة الجبل وترك (كامظ) و(سقر) يكملون حديثهم..

(كامظ) وهو يحدق بالأفق مع (سقر) بوجه متبلد:

هل ستخبرني الآن بخطتك الحقيقية؟

(سقر) وهو ينظر لـ(طرمد) ومردته وهم يتحركون مع فيلق الشياطين السفلية بقيادة (حاجب):

عندما يعود (طرمد) لجبل «آريان» لن يجد احداً منا وسيواجه (الشيطان الأسير) وحده في الوادي وسنكون في الجوار ننتظر الفرصة المناسبة للانقضاض بفيالقنا بضربة واحدة وقاضية على ذلك (الأسير).

(كامظ) وهو يراقب الفيلقين وهما يرحلان: ألن يغضب (طرمد) ممّا سنقوم به

(سقر): سنفكر في أمره إذا كان وقتها لايزال على قيد الحياة..

(كامظ) وهو يضحك بخبث: عقلك يخيفني أحياناً يا (سقر).. لا تفكر باستخدامه ضدي أبداً.

(سقر): لا تقلق فعقلي يعرف مدى قوتك وقوة فيلقك ثم إنه ليس من الحكمة أن تعادي من أوكلته السيدة (جهنم) بقيادتنا.. أين هي الآن بالمناسبة؟

(كامظ): رحلت.

(سقر) وهو يلتفت على (كامظ) بتعجب: رحلت؟.. إلى أين؟

(كامظ): أخذت السيدة (أفسار) و(أريس) وقالت بأنها ستبتعد عن جبل «آريان» حتى تهدأ الأمور.

(سقر): لا تريد إخباري؟

(كاظم): لنركز على مواجهة جيش (الأسير) في الوقت الحالي..

(سقر) وهو يعيد نظره للأفق:

كنت أظن أن كهنة النار لا يتركون جبل «آريان» أبداً.

(كاظم) وهو يبتسم ويراقب الأفق مع (سقر): وهل صدقت أن السيدة (جهنم) تهتم لكهنة النار أو عقيدتهم؟ لقد استخدمتهم لفترة من حياتها لتصل لمأربها وعندما انقضت حاجتها منهم أحرقتهم جميعا في نفس النار التي كانوا يعبدونها.

(سقر): هل صحيح ما يقال؟

(كاظم): ماذا؟

(سقر): أن السيدة (جهنم) تملك قدرة في السحر تفوق قدرة سحرة «فارس» مجتمعين؟

(كاظم): هل تعرف متى قابلتها أول مرة؟

(سقر): متى؟

(كاظم): عندما غزوت بجيشي جبل «آريان» لقتل كهنة النار.

(سقر): ولماذا كنت تريد قتلهم؟

(كاظم): لم أكن أنا من يريد قتلهم لقد كانوا مصدر إزعاج لحاكم العاصمة بسبب اعتناق الكثير من سكانها لعقيدة النار لذا وجه ذلك الحاكم ساحرا بالتواصل مع شعبنا للقضاء عليهم في مقابل بعض الهبات والنفوذ.

(سقر): ولماذا لم يرسل هذا الحاكم جيشه للقضاء عليهم بدل الاستعانة بالشياطين.

(كامظ) وهو يبتسم بحزن: لأنه كان يعرف مالم أكن أعرفه أنا وقتها وهو أن (جهنم) ليست ساحرة عادية فقد خرجت لنا وحدها في وادي جبل «آريان» ومزقت جيشي بالكامل ولم يبقَ سواي.

(سقر): ألهذه الدرجة؟

(كامظ): لم يكن جيشي كبيراً في تلك المواجهة ولم يكن بين صفوفه شياطين قوية، لكن لم أتوقع أن تستطيع ساحرة واحدة أن تبيدنا بالكامل.

(سقر): وماذا فعلت بعد أن أبيد جيشك؟

(كامظ): سألتني عن من أرسلني فأجبتها فعرضت علي أن أساعدها في تكوين جيش من الشياطين ليحمي كهنة الجبل.

(سقر): وهذا قادك لي ولبقية الشياطين في جيشها الآن.

(كامظ): نعم.. (جهنم) هي من يحكم «فارس» حتى وإن كانت تدعي الكهنوت وتسجد للنار.

(سقر) وهو يشير للأفق: انظر..

(كامظ) وهو يمعن النظر حيث كان (سقر) يشير: يبدو أن (طرمد) عاد.

(سقر): لكنني لا أرى أحداً في إثره.

(كامظ) هل تعتقد أن (الشيطان الأسير) كشف الخطة ولم يلحق به؟

(سقر) وهو يهم بالنزول من قمة الجبل: في كل الأحوال سنلتزم بخطتنا.. سوف أختبئ مع فيلقي في الجهة الغربية.

(كامظ) وهو يراقب (طرمد) وفيلقه العائد في الأفق:

وأنا سآخذ الجهة الشمالية من الوادي..

***

مذبحة تحت سليمان

(جهنم) تخرج صباحاً من كوخ صغير وسط مروج خضراء لتستنشق بعض الهواء..

(أريس) تخرج خلفها وتقول: السيدة (أفسار) نامت هل تأمرينني بشيء آخر يا سيدتي؟

(جهنم) وهي تجلس على كرسي من الخشب وتنظر لجبل من الثلج في الأفق البعيد: اجلسي معي قليلاً.

جلست (أريس) عند قدمي (جهنم) بصمت..

(جهنم) وهو تتمعن في الأرض الخضراء أمامها: أبي كان دائماً يحب القدوم إلى هنا بالرغم من أن كهنة النار لا يسمح لهم بمغادرة جبل (آريان) لكنه كان يكسر تلك القاعدة كلما اشتاق لهذه البلدة الجميلة.

(أريس): البلدة جميلة فعلاً فهي على البحر والخضرة منتشرة في كل مكان وجبال الثلج تحيط بها لم أرَ بلدة بجمالها قط.

(جهنم): لذلك طلب مني أن أدفنه فيها..

(أريس):...

(جهنم): يبدو أني سأقضي بقية حياتي هنا مع أمي.

(أريس): ألن نعود لجبل «أريان»؟

(جهنم): لقد مضى أسبوع كامل ولم تأتِ أخبار من هناك.. يبدو أنهم هزموا و(الشيطان الاسير) أبادهم جميعاً.

(أريس):...

(جهنم): هل سقيت أمي مرة أخرى من مغلي الزنبقة؟

(أريس): نعم لقد سقيتها آخر كمية اليوم.

(جهنم): وهل طرأ تغير على حالتها؟

(أريس) وهي تنزل رأسها للأرض: لا..

(جهنم) وهي تزفر: يبدو أنه لا أمل في شفائها.

(أريس) وهي تنهض: سوف أقوم بمهامي اليومية هل تأمريني بشيء آخر يا سيدتي؟

(جهنم): لا..

رحلت (أريس) وتركت (جهنم) على كرسيها تتمعن في المروج الخضراء أمامها..

بعد أقل من نصف ساعة ظهر (كامظ) أمام المنزل فنهضت (جهنم) من كرسيها ولم تتكلم وبدأت تنظر إليه وهو ينظر إليها بصمت حتى قالت: هل هزمتم؟

(كامظ) بانكسار: نعم

(جهنم) وهي تجلس على الكرسي: كم بقي من جيشنا؟

(كامظ): ما ترينه أمامك..

(جهنم) بتجهم خفيف: ألهذا الحد كنتم ضعفاء؟

(كامظ): بل خصمنا كان محظوظاً.

(جهنم): ما الذي أتى بك؟.. هل أتيت لتخبرني بالعار الذي ألحقته بي وبـ«فارس»؟

(كامظ): أتيت لأخبرك بما حدث وأستأذنك بالرحيل.

(جهنم) بسخرية: إلى أين ستهرب؟

(كامظ): سوف أترك «فارس» وأذهب إلى «جبال الملح».

(جهنم): ولِمَ «جبال الملح» بالذات؟

(كامظ): لا يوجد سببٌ محددٌ أريد أن أبتعد فقط وأموت بهدوء.

(جهنم): المحارب الحقيقي لا يبحث عن الموت إلا في ساحة القتال.

(كامظ): رأيت ما يكفي من الموت.

(جهنم): اقترب..

تقدم (كامظ) بضع خطوات حتى أصبح أمام شرفة الكوخ فقالت له (جهنم):

أريد أن أعرف ما الذي حدث في ساحة المعركة وجعلك تنكسر بهذا الشكل..

(كامظ) ينزل رأسه ويصمت..

(جهنم) بسخرية: تحدث يا قائد جيشي السابق..

روى (كامظ) لـ(جهنم) الأحداث منذ لحظة رحيلها وحكى لها عن الخطة التي وضعها (سقر) للإطاحة بـ(الشيطان الاسير) وجيشه وكيف أن (طرمد) عندما عاد لوادي جبل «آريان» كان يبدو عليه الفزع هو ومن معه لكنهم لم يتدخلوا وبقي هو مع (سقر) في أماكنهم يراقبونه حتى أغار عليه (الشيطان الاسير) في قلب الوادي مع مجموعة من شياطينه الأقوياء كما توقع (سقر) وبدأوا بتصفية فيلق (طرمد) واحداً تلوَ الآخر.

خلال قتال (طرمد) وفيلقه مع (الشيطان الاسير) وشياطينه أعطى (كامظ) الإشارة للنزول للوادي واستهداف (الشيطان الأسير) تحديداً وبالفعل نجحت تلك الهجمة المباغتة في إصابته لكنه استطاع مقاومتهم وقتل الكثير منهم بسيفه الضخم الذي كان متسلحاً به. استمر القتال و(كامظ) ينتظر تدخل (سقر) مع فيلقه لكن تدخله تأخر وبدأت كفة (الشيطان الاسير) ترجح بالرغم من سقوط معظم أتباعه قتلى. بعد قتال مرير ومحتدم سقط (طرمد) بعد تصفية مردته بالكامل ولم يبقَ في ساحة القتال سوى (كامظ) والقليل من شياطينه و(الشيطان الأسير) وحده وهو يعاني من إصابة لم تكن بليغة. بدأ فيلق (كامظ) بالتراجع أمام ضربات (الشيطان الأسير) القوية وبالرغم من حث قائدهم لهم على الهجوم إلا أنهم كانوا يرون في التقدم نحو (الشيطان الأسير)

انتحاراً وهلاكاً محتماً. في تلك اللحظة عاد (حاجب) مع مجموعة قليلة من الشياطين السفلية التي نجت من فيلقه بعدما أبادوا جيش الشيطان الأسير بالكامل خارج الوادي وعند دخوله الوادي ورؤيته لـ(الشيطان الاسير) وهو لايزال على قيد الحياة ويلوح بسيفه الضخم قال لـ(كاظم) بعصبية: ألم تتخلصوا منه بعد؟!

(كاظم) بغضب: كيف نتخلص منه و(سقر) غدر بنا؟

(حاجب): ماذا تقصد؟

(كاظم): كان من المفترض أن يشاركنا في القتال مع فيلقه لكن لا أثر له! يبدو أنه فر من أرض المعركة!

(حاجب): كيف فر وهو من أعانني على دحر الجيش الذي كنا نقاتله خارج الوادي ولولا قدومه مع فيلقه لكنا قد هلكنا.

(كاظم) باستغراب: ماذا؟!

لم يكمل الاثنان حديثهما لأن (الشيطان الأسير) تقدم وبدأ يحصد بسيفه رؤوس الكثير من الشياطين التي وقفت في طريقه ولم يكن بينه وبين (كاظم) و(حاجب) سوى مسافة بسيطة دفعتهما للابتعاد عن طريقه. أجهز (الشيطان الأسير) على من تبقى من الشياطين في أرض المعركة ولم يبقَ سوى (كاظم) و(حاجب) في مواجهته.

(الشيطان الأسير) وهو يتقدم نحوهما بغضب: أين الساحرة التي تقودكم؟!

(كامظ) بغضب وتجهم: قتالك معنا وليس معها!

(الشيطان الاسير) وهو يستمر في التقدم: هل تظن أني لن أجدها؟!

(حاجب) يبتسم..

(كامظ) بغضب: لماذا تبتسم يا أحمق؟!

رفع (الشيطان الأسير) سيفه لتوجيه ضربة لـ(كامظ) و(حاجب) لكن سيفه سقط بعدما أحس بحراب وسيوف تغرس في ظهره فالتفت بثقل ليرى (سقر) وجزءاً كبيراً من فيلقه يقفون خلفه. ترنح (الشيطان الأسير) وهو ينزف بغزارة وابتعد قليلاً بعدما حمل سيفه ليلتقط أنفاسه في أحد أركان الوادي.

(كامظ) وهو يبتسم ويتقدم نحو (سقر): أين كنت أيها اللعين لقد ظننت أنك هربت؟!

(سقر) وهو يشير مبتسماً لأتباعه بمحاصرة (الشيطان الأسير):

لو كنت أخبرتك بخطتي الأصلية لأفسدتها عليّ.

(حاجب) وهو يقترب منهما ويشير لـ(الشيطان الاسير): يبدو أنه أصيب إصابة بليغة ولن يستطيع المقاومة أكثر.

(سقر) يوجه نظره نحو (الشيطان الأسير) والذي كان يتكئ على سيفه ويتنفس بثقل وينزف بغزارة: سنحاصره حتى يستنزف قوته بالكامل ثم نجهز عليه ونقتله.

(كامظ) وهو ينظر معهم مبتسماً لـ(الشيطان الأسير) وهو محاصر من

فيلق (سقر): من المؤسف أن يموت شيطان بتلك القوة..

(سقر) بسخرية: يمكنك الاحتفاظ برأسه لو شئت.

(كامظ) وهو يضحك: ربما سأفعل!

خلال حديثهم بدأت الشياطين في الوادي تسمع أصواتٌ كالهتاف قادمة من خلف الجبل..

(حاجب) وهو يرفع رأسه مستغرباً: ما هذا؟.. هل تسمعون ما أسمع؟

(سقر) وهو يدير ظهره ويحاول الانصات: تبدو كهتافات لكنها ليست بشرية.

(كامظ): جن؟

(سقر): لا.. شياطين.

(كامظ) بتعجب: شياطين؟.. هل بقي أحد من أتباع (الأسير) عندما عدت من المواجهة خارج الوادي؟

(سقر) وهو يأخذ بضع خطوات نحو مصدر الصوت: لا..

(حاجب): من يهتف إذاً؟

(سقر) وهو يتحدث مع أحد أتباعه الذين يحاصرون (الشيطان الأسير):

اذهب وتحقق من الأمر!

ترك الشيطان موقعه وانطلق مسرعاً نحو مصدر الأصوات والهتافات

خلف الوادي وماهي إلا ثوانٍ حتى عاد وعلى وجهه الخوف والتوتر..

(سقر) بعصبية: ما بك؟! ماذا رأيت؟!

(الشيطان): آلافاً من الشياطين قادمة نحونا!!

(كامظ): شياطين؟.. من أين أتوا؟! معظم الشياطين في «فارس» مشاركة في الحرب معنا والبقية موالون لنا.

(حاجب): ربما أتوا لمساعدتنا..

(سقر) موجها كلامه لتابعه: بماذا كانوا يهتفون؟

(الشيطان): كانوا يهتفون بلغة أجهلها.

(سقر) وهو يرفع رأسه وينظر لمدخل الوادي: إذاً فهم ليسوا من «فارس».

(كامظ): من أين إذاً؟

انقطع الحوار الذي كان يدور عندما دخلت أفواج من الشياطين السفلية الوادي وكانت تهتف بالعربية:

الثأر لملاز!.. الثأر لملاز!

(جهنم): من كان هؤلاء الشياطين الذين أغاروا عليكم؟

(كامظ) بحسرة: فيما يبدو أنهم كانوا شياطين كهف «خور روري» العاشقة..

(جهنم): ألم نرسل من يتخلص من قائدتهم التي كانت تحرضهم على الهجوم علينا؟

(كامظ): نعم وكان من المفترض أن يتخلوا عن فكرة الهجوم بموتها.

(جهنم): لماذا أغاروا علينا إذاً؟

(كامظ): لا أعرف فشياطين الجزيرة لا يمكن التنبؤ بما يقومون به أبداً.

(جهنم) بتجهم: لكنهم شياطين سفلية فكيف استطاعوا التغلب عليكم!

(كامظ): أعدادهم كانت هائلة وكانوا مستميتين في القتال ضدنا ولم نستطع الصمود طويلاً أمامهم.

(جهنم): وماذا حل بـ(الشيطان الأسير)؟

(كامظ): مات وهو متكئ على سيفه قبل وصول جحافل الشياطين العاشقة.

(جهنم): ولم ينجُ أحدٌ سواك؟

(كامظ): نعم.

(جهنم) وهي تقف وتسير مبتعدة عن الكوخ: اتبعني يا (كامظ)..

تبع (كامظ) (جهنم) لمسافة حتى توقفت وقالت وهي تحدق أمامها:

هل يعرف أحد بأني استقريت هنا مع أمي؟

(كامظ): لا.

(جهنم) وهي تلتفت على (كامظ) وترفع كفها في وجهه: جيد.

احترق (كامظ) في ثوانٍ ولم يبقَ منه سوى الرماد..

عادت (جهنم) للكوخ وهي تسير ببطء ومع اقترابها منه رأت (أفسار) جالسة على الكرسي الخشبي الذي كانت تجلس عليه فأكملت سيرها وهي تبتسم وتتأمل أمها حتى وصلت إليها وقالت: ما الذي أيقظك يا أمي؟

(أفسار) باستغراب: أمك؟.. من أنتِ؟ وما الذي أتى بي إلى هنا؟

(جهنم) وهي متحمسة بسعادة وتمسك بيد (أفسار):

يبدو أن الدواء قد أزال الغشاوة عن عقلك!

(أفسار) وهي تقف وتتفلت من (جهنم):

عن أي غشاوة تتحدثين يا امرأة؟! أين ابنتي (نازانين)؟!

(جهنم) وهي تبتسم وتحاول احتضان (أفسار): أنا ابنتك يا أمي!.. أنا (نزيم)!

(أفسار) بتجهم وتعجب: (نزيم)؟!

(جهنم): نعم!.. (نزيم) طفلتك التي تركتها مع ساحر الجبل.

(أفسار) وهي غير مرتاحة ومتقبلة لكلام (جهنم): وأين (نازانين)؟

(جهنم): لقد قتلتها ساحرة عربية لكني قتلتها قبل أن تقتلك أنتِ أيضاً.

(أفسار) وهي تعقد أصابعها: أنا لا أصدقك يا امرأة!

(جهنم) وهي تنزل على ركبتيها وتدمع: أرجوك يا أمي لا تقتلي فرحة لقائك بالشك والظنون!

(أفسار) وأصابعها لاتزال معقودة وتتراجع للخلف: سوف أرحل الآن ولا تفكري باللحاق بي وإلا لن أتردد في قتلك!

قرأت (أفسار) بعض طلاسم الانتقال واختفت..

نهضت (جهنم) بعينينن دامعتين ولم تتحرك من مكانها حتى خرجت (أريس) من المنزل وهي تقول: سيدة (جهنم) السيدة (أفسار) ليست في فراشها!

(جهنم): استعدي للرحيل..

(أريس) إلى أين؟

(جهنم): سنعود لجبل «آريان».

***

جذور الأنفة وثمار الإباء

دخل (عقربة) بصحبة (دعجاء) مدينة «تيرازيس» وبدأ بالتجول فيها ولم تكن (دعجاء) تعرف الهدف من زيارة تلك المدينة وعدم التوجه مباشرة لجبل «آريان» للبحث عن (جهنم) و(أفسار) ولكنها كانت تثق بقرار (عقربة) ولم تجادله كثيراً. بعد مسافة من التجول في المدينة توقف (عقربة) عند أحد المنازل وطرق بابه فسألته (دعجاء) وقالت: لماذا أتينا هنا؟

(عقربة): التجول في «فارس» أمر خطر على السحرة وخاصة العرب منهم.

(دعجاء): وما الذي تطمح إليه بزيارة هذا المنزل؟

فُتح باب المنزل وخرج رجل في عمر (عقربة) تقريباً وعند رؤيته أخذه بالأحضان وبدأ بتقبيله وبالسؤال عن أحواله. أشار الرجل لـ(عقربة) بالدخول فدخل وهو يشير لـ(دعجاء) بأن تتبعه وتدخل وراءه. بعد دخولهم وجلوسهم وسط منزل ذلك الرجل قال لهم بالفارسية: مرحباً بكم في منزلي المتواضع..

(عقربة) مبتسماً: منزلك أقل من متواضع ولا تحاول إقناعنا بغير ذلك.

ضحك الرجل وجلس أمام (عقربة) و(دعجاء) وهو يقول مبتسماً:

لم أرك منذ أعوام طويلة أيها البابلي.. ما الذي أتى بك لـ«فارس»؟ إذا لم تخني ذاكرتي فأنت تكرهها وتكره أهلها.

(عقربة) وهو يضحك: وما زلت أكرهها أيها الفارسي الخبيث!

(دعجاء) وهي تهمس في أذن (عقربة) بالأكادية: ما الذي تفعله أيها العجوز الخرف؟! هل تحاول التسبب في قتلنا؟!

(عقربة) وهو يضحك وبصوت مرتفع ومسموع بالفارسية: من سيقتلنا؟! هل تقصدين هذا الكهل؟! لو كان يريد قتلي لفعلها منذ أعوام مضت! أليس كذلك يا (نزاك)؟!

(نزاك) وهو يبتسم: ما الذي تحتاجه يا (عقربة)؟ فأنت بالتأكيد لم تأتِ للتسامر معي بعد كل هذه السنين.

(عقربة): أتيت لأقتل ساحرة فارسية وأريد مساعدتك.

(نزاك) وهو يمرر أصابعه في لحيته البيضاء الطويلة:

لا بد أنها ساحرة مميزة كي تطلب العون مني..

(عقربة): بل أقوى ساحرة في «فارس».

(نزاك) بتعجب: عمَّن تتحدث أيها البابلي؟

(عقربة): (جهنم) زعيمة كهنة النار في جبل «آريان» وساحرة أخرى تؤويها جهنم.

(نزاك) وهو يضحك بقوة: هل جننت؟!.. (جهنم) هي أقوى ساحرة في «فارس» وربما أقوى ساحرة في الشرق!

(عقربة): لذلك أتيت لك.

(نزاك) وهو ينظر لـ(دعجاء): ومن هذه المرأة التي معك؟

(عقربة): ساحرة ستعاونني في قتل (جهنم).

(نزاك) وهو يضحك: ستحتاج لأكثر من ذلك كي تتغلب على (جهنم).

(دعجاء) بالفارسية: أرشدنا إليها ونحن سنتكفل بالبقية.

(نزاك): أنتِ لا تعرفين (جهنم).

(دعجاء) بحدة: وأنت لا تعرفني!

(عقربة) وهو يرفع يده أمام (دعجاء) في إشارة منه لها بعدم التحدث بحدة مع (نزاك)..

(نزاك) لـ(عقربة): وما المطلوب مني يا (عقربة)؟ (جهنم) ليست مختبئة كي أدلك على مكانها؟

(عقربة): مشكلتي ليست مع (جهنم).

(نزاك): مع من إذاً؟

(عقربة): مع جيشها الذي تقف خلفه.

(نزاك) وهو يضحك بسخرية: (جهنم) لم تعد تملك جيشاً.

(عقربة): باستغراب: ماذا؟ ماذا تقصد؟

(نزاك): ألم تسمع بالمعركة الكبرى التي حدثت قبل أشهر في جبل «آريان».

(دعجاء): ما الذي حدث؟

(نزاك): أغار جيشان من شياطين الجزيرة وأبادوا جيش (جهنم) بالكامل.

(دعجاء): وهل قتلوها؟

(نزاك): في بادئ الأمر اعتقدنا أنها لقيت حتفها مع بقية شياطينها لكنها ظهرت مرة أخرى بعد أسبوع تقريباً في جبل «آريان»

(عقربة): وكيف علمتم بأنها هي من عادت للجبل؟

(نزاك): عندما رأينا نار الكهنة تشتعل مرة أخرى أرسلنا بعض أتباعنا للتحقق من الأمر فأخبرونا أن (جهنم) تقيم في الجبل وحدها وليس معها سوى خادمة فقط.

(دعجاء): هل لي بسؤال؟

(نزاك): ما سؤالك؟

(دعجاء): لماذا كل هذا الاهتمام بأمرها؟

(نزاك): ماذا تقصدين؟

(دعجاء): أقصد أنكم فيما يبدو تجمعون عنها الكثير من المعلومات هذا بالتأكيد ليس للتسلية فقط.

(عقربة) وهو يبتسم ويحدق بـ(نزاك): الكهل الذين ترينه أمامك كان في وقت مضى كبير السحرة في «فارس» لكن (جهنم) كسرت شوكته

وشوكة السحرة الذكور جميعاً وجعلتهم مشردين في جميع بقاع البلاد.

(نزاك) وهو يتجهم وينظر للأرض: ليتها قتلتني بدل أن تذلني بإبقائي حياً.

(دعجاء) وهي تبتسم: يبدو أن الساحرات في «فارس» يعانون من نفس المشكلة التي نعاني منها في الجزيرة.

(نزاك): ماذا تقصدين؟

(عقربة): لماذا لم تنتهزوا فرصة إبادة جيشها للقضاء عليها الآن قبل أن تسترد قوتها.

(نزاك) وهو يبتسم بحزن: (جهنم) لم تخسر شيئاً بزوال جيشها فهي لاتزال قوية وكثير من السحرة هنا لا يجرؤون أو يفكرون بمواجهتها.

(دعجاء): أين جبل «آريان»؟

(نزاك) وهو ينظر لـ(دعجاء): هل تظنين بأنك قادرة على هزيمتها؟

(عقربة): هذه المرأة ليست مستضعفة كما تظن ولم تقطع كل هذه المسافة كي تجلس للحديث معك.

(نزاك): هذه ليست أول مرة تأتي ساحرة عربية وتتسبب في المشاكل في هذه المدينة.

(دعجاء): من تقصد؟

(نزاك): هناك ساحرة عربية أخرى أتت لـ(فارس) قبل عامين تقريباً.. أتت برفقة رجل ضخم.. كان بينها وبين أحد التجار هنا نزاعاً وقامت بقتله وقتل الكثير من أتباعه.

(دعجاء): ولماذا قامت بذلك؟

(نزاك): ادّعت بأنه سرق منها أموالاً!

(دعجاء): وأين هي الآن؟

(نزاك): محبوسة في السجن.

(عقربة) لـ(دعجاء): وما شأننا بها؟ نحن هنا لهدف محدد وهو قتل (جهنم) و(أفسار) فقط.

(نزاك) باستغراب: (أفسار بنت آشور)؟

(دعجاء): نعم هل تعرفها؟

(نزاك): ثأرك مع من تحديداً يا عربية؟

(دعجاء): مع كل من ظلمني وظلم بناتي.

(نزاك): (أفسار) انقطعت أخبارها منذ زمن طويل ولا أعرف عنها شيئا.

(عقربة) وهو يقف: كنت عوناً كبيراً لنا، شكراً لك.

(دعجاء): إلى أين؟

(عقربة): سآخذك إلى جبل «آريان» كما كان الاتفاق.

(دعجاء): وماذا عن الساحرة العربية المحبوسة في سجن الفرس؟

(عقربة): ماذا عنها؟ هي ليست ضمن أهدافنا التي أتينا لأجلها.

(دعجاء): لا أستطيع تركها فهي في النهاية عربية ومن بنات جلدتي.

(نزاك): خذي الحذر منها فهي ساحرة متمكنة وقد تغدر بك.

(عقربة) بسخرية: لو كانت متمكنة لما استطاعوا الإمساك بها.

(نزاك): ومن قال لك أنهم أمسكوا بها.

(عقربة) أنت قلت ذلك قبل قليل أيها العجوز الخرف!

(نزاك): بعد قتلها التاجر مع ذلك الرجل الضخم أمر الملك بإحضارها مع من كان يرافقها ووجه جميع حراسه وقادته للبحث عنهم وإحضارهم مهما كلف الأمر وخصوصاً هي لأن يدها هي التي تلطخت بدم التاجر، لكنهم لم يستطيعوا الإمساك إلا بذلك الرجل الضخم الذي كان معها وبالرغم من تعذيبهم له على مدى أسابيع لم يعترف لهم بمكانها.

(دعجاء): كيف تمكنوا منها إذاً؟

(نزاك): يبدو أنها تركت «تيرازيس» لفترة حتى جاء رسول من خارج المدينة وتوجه للحاكم وشرح له ما حدث مع التاجر.

(عقربة): هل كان ذلك الرسول مرسل منها؟

(نزاك): نعم وبالرغم من اقتناع الحاكم بمظلوميتها إلا أنه لم يعفُ عنها ولكن يبدو أن الرسول الذي أرسلته للتحدث بالنيابة عنها كان صاحب حجة ولسان حكيم لذا استطاع التوصل مع الحاكم لتسوية.

(دعجاء): تسوية من أي نوع؟

(نزاك): أن تسلم الساحرة نفسها مقابل أن يرحل الرجل الضخم إلى «عربستان» دون عودة محملاً بالأموال التي نهبها التاجر.

(دعجاء): أليست الأموال أموالها؟ ما الذي ستستفيده من التنازل عنها هكذا؟

(نزاك): لا أعرف.. كل ما أعرفه أن الحاكم حكم عليها بالسجن مدى الحياة.

(دعجاء) وهي تنزل رأسها:...

(عقربة) موجهاً كلامه لـ(دعجاء): هل يمكننا الرحيل الآن؟

(دعجاء): لست مستعدة للذهاب لجبل «آريان» في الوقت الحالي.

(عقربة): يمكننا الانتظار لبضعة أيام لو رغبت.. سنبحث عن مكان لنقيم فيه.

(نزاك) وهو ينهض: لا تتظاهر بالكبرياء أيها البابلي.. يمكنكم البقاء هنا بقدر ما تشاؤون.

(دعجاء) وهي لاتزال سارحة في الأرض وتفكر:...

(عقربة) وهو يبتسم: شكراً أيها الخبيث.

خرج (نزاك) من المنزل وهو يضحك ويقول: سأعود لاحقاً ببعض الطعام أيها البابلي!

(عقربة) وهو يلتفت على (دعجاء) بعد خروج (نزاك): ما بك؟.. هل بدأتِ تشكين في قدرتك على التغلب على (جهنم)؟

(دعجاء): لا ولكن أمر هذه الساحرة يشغل تفكيري.

(عقربة) وهو يضع عصاه على الأرض ويتمدد: وما الذي يشغلك

بأمرها؟ فهي مجرد ساحرة بحظ سيء وفيما يبدو عقلها ذو تفكير محدود وإلا لما كانت عادت لتواجه السجن لأي سبب كان.

(دعجاء) وهي ترفع رأسها وتحدق بالباب الذي تركه (نزاك) مفتوحاً: هذه الساحرة تستحق الحرية ولن أترك «فارس» قبل أن أحررها..

(عقربة) وهو يغمض عينيه: لا أرى جدوى من هذه المخاطرة خاصة وأن وجودنا كعرب في «فارس» بحد ذاته مصدر للشبهة ولا نحتاج لإثارة الانتباه حولنا.

(دعجاء): لا تقلق فلن أطلب منك معاونتي..

في المساء عاد (نزاك) وايقظ (عقربة) وهو يقول: انهض كي تأكل!

نهض (عقربة) بكسل وهو يقول: أين (دعجاء)؟

(نزاك) وهو يجلس ويضع الطعام أمام (عقربة): (دعجاء) من؟

(عقربة) وهو يزفر: المرأة التي كانت معي يا أخرق!

(نزاك): لا أعرف فأنا للتو دخلت ولم أرَها في المنزل.

(عقربة) وهو يمد يده نحو الطعام: أين ذهبت؟

(نزاك): ربما خرجت تتجول في المدينة.

(عقربة): كيف تخرج؟ هي لا تعرف شيئاً أو أحداً في هذه المدينة أو «فارس».

(نزاك) وهو يتناول الطعام: لا تسألني فهي لم تأتِ معي.

خلال تناولهما الطعام دخلت (دعجاء) وجلست بعيداً عنهم..

(عقربة) وهو يمضغ قطعة من الخبز: أين كنتِ؟

(دعجاء) تحدق بالباب ولا ترد على (عقربة)..

(نزاك) وهو يلوك قطعة من الطعام في فمه وينظر لـ(دعجاء): ما بها صاحبتك؟

(عقربة) ينهض ويقترب من (دعجاء)..

(دعجاء) بالعربية: لا تقترب مني أيها الرجل.

(عقربة): ماذا؟ ما بك؟

(نزاك) باستغراب: ما بها؟ ماذا تقول لك؟

(عقربة) يشوح بيده لـ(نزاك) ليسكت وعينه لاتزال على (دعجاء): ما بك تبدين متوترة؟

(دعجاء) بالعربية وهي لاتزال تحدق بالباب: أنا لست من تظن أيها الكهل.

(عقربة): ماذا؟ ماذا تقصدين؟

عقدت (دعجاء) أصابعها وقرأت طلسمها وبدأت تتغير أمام (عقربة) و(نزاك) اللذين كانا مندهشين وخلال ثوانٍ تحولت (دعجاء) لامرأة غريبة أمامهم فتراجع (عقربة) مفزوعاً وهو يقول بصوت مرتفع بالفارسية:

طلسم التشكل؟! من أنتِ؟! وأين (دعجاء)؟!

خلال صراخ (عقربة) دخلت (دعجاء) المنزل وهي تبتسم وتقول:

لا تجزع يا (عقربة)..

(عقربة) وهو ينظر لـ(دعجاء) وهو مصدوم ومتوتر: ما الذي يحدث؟! من هذه المرأة؟!

(دعجاء) وهي تتقدم نحو المرأة وتقول بالعربية: هل لاحظ أحدٌ قدومك إلى هنا يا (نافجة)؟

(نافجة): لا يا عمة.. شكراً لكِ مرة أخرى على تحريري.

(عقربة): (نافجة)؟!.. (نافجة) من؟!

(نزاك) بالفارسية وهو متوتر: هل تقول (نافجة)؟! هذه هي السجينة التي أخبرتك عنها!

(عقربة) بالعربية لـ(دعجاء): كيف خلصتها؟!

(دعجاء): لا يهم ذلك الآن المهم أن تستعد للرحيل غداً نحو جبل «آريان».

(عقربة) والتوتر بدأ يزول: وماذا عنها؟

(دعجاء) وهي تلتفت على (نافجة): هل تجيدين طلاسم الانتقال؟

(نافجة): لا يا عمة.

(دعجاء): كيف تجيدين طلاسم التشكل المتقدمة ولا تجيدين طلاسم الانتقال؟

(نافجة) وهي تبتسم: من علمني السحر لم يهتم بتعليمي إياها.

(دعجاء) وهي تجلس: ألم تستطيعي تحرير نفسك؟

(نافجة) وهي تجلس بجانب (دعجاء): بلى لكني لم أفعل.

(نزاك) لـ(عقربة): ما الذي يحدث؟

(عقربة) بالفارسية وهو يجلس ويعود لتناول طعامه: تناول طعامك بصمت.

(نزاك) يعود تناول الطعام وهو يراقب (دعجاء) و(نافجة) وهما يتحدثان بالعربية..

(دعجاء): لماذا اخترت البقاء في السجن؟

(نافجة) وهي تنزل رأسها وتبتسم: كنت أحتاج خلوة مع نفسي.. في بادئ الأمر كنت غاضبة وكنت أنتظر حتى يخرج (طود) من البلاد لأحرر نفسي وأخرج لكن بعد مضي فترة وجدت راحة غريبة في عزلتي وقررت البقاء.

(دعجاء): ألهذه الدرجة حياتك خارج السجن كانت سيئة؟

(نافجة): لا أبداً يا عمة لكني لم أكن مستعدة للخروج بعد ولولا قدومك وإخراجك لي لما كنت تركت ذلك المكان.

(دعجاء) وهي تبتسم: لقد خرجتِ الآن وستعودين للجزيرة في أقرب وقت.

(نافجة) وهي تبتسم: هل لي بسؤال يا عمة؟

(دعجاء): اسألي.

(نافجة) وهي تضحك: كيف استطعت ثني قضبان السجن الحديدية بتلك السهولة؟

(دعجاء) وهي تضحك: مازلت قوية يا امرأة!

(نافجة) تضحك..

(دعجاء) تتبسم وتمسك بيد (نافجة): هيا أريد الحديث معك بعيداً عن هنا.

خرجت (دعجاء) مع (نافجة) من المنزل و(نزاك) يراقبهما باستغراب ويسأل (عقربة) بالفارسية: ما الذي كان يضحكهما؟

(عقربة) وهو يتناول الطعام: هذه أمور خاصة بالنساء فلا تتدخل بها أيها الطفيلي.

(نزاك) وهو يهمس في أذن (عقربة): متى عقدتم العزم على الذهاب لجبل «آريان»؟

(عقربة) بعصبية: لماذا تتحدث بصوت خافت؟! ولِمَ السؤال من الأساس؟!

(نزاك) وهو ينظر لـ(دعجاء) و(نافجة) وهما يتحدثان بعيداً عند عتبة الباب:

لأني بدأت أظن أن (جهنم) قد تلاقي حتفها أخيراً.

(عقربة): ماذا تقصد؟

(نزاك) وهو يشير بإصبعه نحو (نافجة): تلك الساحرة التي خلصتها صاحبتك.

(عقربة) وهو يوجه نظره لـ(نافجة): ما بها؟

(نزاك): إجادتها لطلسم مثل طلسم (التشكل) يشير بأنها ليست ساحرة عادية.

(عقربة) وهو يضحك ويتناول لقمة من الطعام: أنها لا تجيد حتى طلاسم الانتقال.

(نزاك): وما أدراك؟

(عقربة): هي قالت ذلك بنفسها قبل قليل.

(نزاك) وهو يمسح يده من الطعام وعينه لاتزال على (نافجة): يبدو أنها تعلمت السحر بعمر متأخر والذي علمها اختار أن يعلمها الطلاسم القوية فقط.

(عقربة) وهو يمسح يده ويسند ظهره للجدار: ولماذا يفعل ذلك؟

(نزاك): لضيق الوقت ربما.. لا أعرف

(عقربة): على أي حال هي لن تشارك مع (دعجاء) في قتال (جهنم).

(نزاك): وماذا عنك أنت؟

(عقربة): ماذا عني؟

(نزاك): ألن تشاركها أنت أيضاً في قتال (جهنم)؟

(عقربة): مساعدتي لها تنتهي بإيصالي لها لجبل «آريان» فقط.

(نزاك) وهو يبتسم: قد تستفيد من قدرات ساحر مخضرم مثلك.

(عقربة) وهو ينظر لـ(دعجاء) وهي تتحدث مع (نافجة) عند عتبة الباب:

تلك الساحرة قد لا تبدو قوية لك لكنها لا تحتاج لمساعدة أحد صدقني.

(نزاك): ربما..

(عقربة): نسيت أن أسألك عن أمر يهمني.

(نزاك): ما هو؟

(عقربة): ما أخبار مملكة الجن الأزرق وتحديداً أميرهم الأخرق (أزرق).

(نزاك): أنت بالفعل لا تعرف شيئاً عما حدث في «فارس» الأشهر الماضية.

(عقربة) باستغراب: لماذا؟.. ماذا حدث؟

(نزاك): لم يعد هناك مملكة للجن الأزرق وأميرهم الذي تتحدث عنه مات شر ميتة.

(عقربه) وهو مصدوم: كيف؟

(نزاك): انقلب عليه بعض أتباعه وقتلوه بدعم من قادة جيش (جهنم)

(عقربة): معنى ذلك أن أسرة (وندل) الحاكمة تم تصفيتها بالكامل ولم يبقَ أحد من نسله الملكي ليحكم.

(نزاك): عين قادة (جهنم) أحد أتباعه حاكماً لمملكة الجن الأزرق وفرضوه فرضاً على شعبها لكن في نفس اليوم الذي تم تعيينه فيه أبيد قادة الجيش وخسر ذلك الحاكم الجديد دعمهم فثار شعب الجن

الأزرق عليه بين راغب في الحكم وساخط على الانقلاب على (أزرق) وفي النهاية انهارت المملكة وتفرق شعبها.

(عقربة) وهو ينظف أسنانه بعود صغير: نهاية حزينة لهم وسعيدة لي..

قبل الفجر وخلال نوم الجميع أيقظت (دعجاء) (عقربة) بهمس خفيف وعندما فتح عيناه قال: ما الأمر؟ لماذا أيقظتني؟

(دعجاء) بصوت خافت: لقد حان الوقت..

(عقربة) وهو يمسح النعاس من عينيه: وقت ماذا؟

(دعجاء): كي تأخذني لجبل «آريان».

(عقربة) باستغراب: الآن؟

(دعجاء): نعم.

(عقربة) وهو يلتفت حوله: وماذا عن الساحرة التي خلصتها؟

(دعجاء): لقد تحدثت مع (نزاك) بعد أن خلدت للنوم واتفقت معه على أن يرشدها لطريق العودة للجزيرة.

(عقربة): وهل تثقين بذلك العجوز فأنا صاحبه ولا أثق به؟

(دعجاء) وهي تبتسم: لا تحاول إضاعة الوقت يا (عقربة) هيا بنا.

(عقربة) بتجهم: حسناً حسناً.. هيا بنا.

خرج الاثنان من المنزل بهدوء كي لا يوقظوا (نزاك) أو (نافجة) وعندما ابتعدا عن المنزل قليلاً قال (عقربة): أمسكي بلباسي كي ننتقل إلى هناك بسرعة.

(دعجاء): يمكنني الانتقال بطلاسمي.

(عقربة): لا تكوني عنيدة فنحن لا نريد أن نحط في مكان مكشوف.

(دعجاء) وهي تمسك بلباس (عقربة): خذني إليها إذاً.

خلال ثوانٍ حط الاثنان عند مدخل وادي جبل «آريان»..

(دعجاء): أين هي الآن؟

(عقربة) وهو يرفع نظره محدقاً بأركان الوادي: في الغالب في أحد الكهوف.

(دعجاء) وهي تحدق مع (عقربة): وكيف سنجدها؟

(عقربة): لا أحد يجد (جهنم) بل هي من تجد من يدخل الوادي.

(دعجاء) وهي تهم بالسير نحو الوادي: لنأمل إذاً بأنها مستيقظة.

(عقربة) وهو يضع يده على كتف (دعجاء) ويوقفها: لن تستطيعي التراجع بعد هذه النقطة يا (دعجاء).. (جهنم) ستكون أسوأ شيء واجهتِه في حياتك.

(دعجاء) وهي تلتفت على (عقربة) وعيناها تتحولان لسواد تام:

أنا كل شيء سيء وكل ما هو أسوأ..

رفع (عقربة) يده من على كتف (دعجاء) بقلق عندما رأى نصف وجهها وعيناها تتحولان للسواد التام وقال بتوتر:

أنا ذاهب لمنزل (نزاك) الآن وإذا لم تعودي قبل المساء سوف أعرف بأنكِ لم تنجي وسأعود إلى (لخمو) مباشرة..

(دعجاء) وهي تبتسم بأعينها السوداء: لا بأس يا (عقربة) وشكراً لمساعدتك..

قرأ (عقربة) طلاسم الانتقال بينما تقدمت (دعجاء) نحو وادي جبل «آريان»..

(دعجاء) بالفارسية وبصوت مرتفع بعدما توسطت الوادي:

.. (جهنم)!.. اخرجي من جحرك!!

لم يرد أحداً على (دعجاء) فبقيت تنظر وتحدق بالمرتفعات الصخرية حولها بأعينها السوداء حتى لمحت امرأة تلبس عباءة حمراء تحدق بها من الأعلى. نظرت (دعجاء) لتلك المرأة لثوانٍ ثم قالت بصوت مرتفع:

هل سأنتظر طويلاً؟!

في لمح البصر اختفت تلك المرأة وظهرت أمام (دعجاء) وقالت:

من أنتِ؟ ومن أين أتيتِ؟

(دعجاء) بالفارسية: أنا من الأرض التي لا ينسى أهلها ثأرهم..

(جهنم) وهي تبتسم: لسانك فارسي لكن ملامحك ليست من هذه البلاد..

(دعجاء): قبل عامين قتلتِ فتاة عربية هنا..

(جهنم) وهي تدير ظهرها لـ(دعجاء) وتمشي بضع خطوات مبتعدة عنها:

نعم صحيح.. الساقطة العربية.. ما بها؟

(دعجاء): تلك الفتاة كان لها أم..

(جهنم) وظهرها مازال مداراً لـ(دعجاء):

وهل أتيتِ فقط لتخبريني بأن تلك الفتاة لم تكن لقيطة كبقية فتيات «عربستان»؟

(دعجاء) بهدوء: أديري ظهرك وقابليني..

(جهنم) وهي تدير وجهها نحو (دعجاء): لماذا يا عجوز؟

(دعجاء): لأني لا أقتل أحداً غدرا حتى إن كانت خسيسة مثلك..

تجهمت (جهنم) واندفعت بسرعة نحو (دعجاء) ويدها تشتعل بلهب كانت ستقذفه نحوها لكنها فوجئت بطلسم يدفعها بعيداً حتى اصطدمت بأحد أحجار الوادي الكبيرة.

(جهنم) وهي تقف وتخلع رداءها وتبتسم:

لم أواجه ساحرة استطاعت دفعي بهذا الشكل من قبل.. يبدو أني سأستمتع بقتلك.

(دعجاء) وهي واقفة مكانها وتعقد أصابعها: أريني قدرتك يا فارسية..

اندفعت (جهنم) مرة أخرى نحو (دعجاء) لكنها هذه المرة وخلال اندفاعها قرأت طلسما خرج معه خمسة مردة ضخام اندفعوا بصحبتها نحو (دعجاء) التي قرأت طلسماً سريعاً حولها لعاصفة رملية كبيرة

ابتلعت المردة الخمسة وحملت (جهنم) وألقت بها بعيداً أسفل الوادي.
نهضت (جهنم) بغضب وهي تمسح بعض الدم الذي سال من جبينها وهي تحدث نفسها: أي نوع من الساحرات هذه؟

(دعجاء) وهي لاتزال واقفة مكانها وتحدق بـ(جهنم) ببرود:

هل انتهيتِ يا سيدة (جهنم)؟

(جهنم) وهي تعقد أصابعها مبتسمة: طلسم النار سيفتح أبواب جهنم في وجهك!

قرأت (جهنم) طلسما هز الأرض وهز معه أركان الوادي الذي بدأ بالتصدع وخلال قراءتها تحركت مجموعة كبيرة من الأحجار الضخمة نحو (دعجاء) ومع اندفاعها اشتعل بعض منها والبقية كانت تضيء كالشمس. لم تتحرك (دعجاء) من مكانها واكتفت برفع يدها وقراءة طلسمٍ غير من مسار تلك الحجارة المندفعة نحوها لتتوجه نحو (جهنم) التي تداركت الأمر سريعا وقرأت بعض الطلاسم التي فتتت معظم تلك الأحجار لكن بعضاً منها أفلت من طلاسمها فرجمت بها لتسقط على الأرض مصابة. تقدمت (دعجاء) بضع خطوات نحو (جهنم) وعندما أصبحت قريبة منها قالت:

انا لم آتِ هنا كي تستعرضي علي بتلك الطلاسم التافهة إما أن تقاتلي كساحرة أو تموتي كواحدة..

(جهنم) وهي على الأرض وتحاول النهوض بثقل: أي نوع من الساحرات أنتِ؟

(دعجاء) وهي ترفع كفها في وجه (جهنم): النوع الذي ترينه في كوابيسك فقط..

انفجر رأس (جهنم) وسقطت جثتها على الأرض..

تقدمت (دعجاء) ببطء نحو جثة (جهنم) وعندما استقرت فوقها وحدقت بها لثوانٍ نزلت وشقت بطنها بيديها وأخرجت كبدها وأكلتها..

***

النفس الأخير

دخل (عقربة) منزل (نزاك) مع إشراقة الشمس ليجد (نافجة) جالسة لوحدها وبمجرد رؤيتها له سألته وقالت: أين العمة؟

(عقربة) يجلس بصمت..

(نافجة): لما لا تجبني؟

(عقربة) متجاهلاً سؤال (نافجة): أين (نزاك)؟

(نافجة): هل تقصد العجوز الفارسي؟

(عقربة): نعم.. أين هو؟

(نافجة) وهي مستغربة من تجاهل (عقربة) للإجابة على سؤالها: لقد خرج.. لمَ لا تجيب على سؤالي؟..أين العمة (دعجاء)؟

(عقربة): حاولي أن تنسي أمرها..

(نافجة): أنسى أمرها؟.. عن ماذا تتحدث؟

(عقربة): (دعجاء) ذهبت لقتل (جهنم)..

(نافجة): ساحرة الجبل؟

(عقربة): هل تعرفينها؟

(نافجة): سمعت عنها فقط.. أليست هي من تعبد النار في الجبل؟

(عقربة): هي بعينها.

(نافجة): ولماذا تريد العمة قتلها؟

حكى (عقربة) لـ(نافجة) ما كان يعرفه من قصة (دعجاء) وعصبتها..

(نافجة) بهدوء وهي سارحة في الأرض:

لا يوجد أخطر من الذئبة عندما تفقد صغارها..

(عقربة): وتلك الذئبة ذهبت لتنال ممن قتلهم.

(نافجة) وهي تقف بغضب: ولماذا تركتها تذهب لوحدها؟!

(عقربة) ببرود: أنا لا علاقة لي بما تسعى إليه.

(نافجة) بغضب وصوت مرتفع: خذني إليها حالاً!

(عقربة): آخذك إلى أين؟

(نافجة) وهي تمسك عباءة (عقربة) وتشدها بقوة: خذني إلى جبل «آريان»!

خلال صراخ (نافجة) دخل (نزاك) وفي يده بعض الطعام وهو يقول: ما بكما؟

(نافجة) وهي تهز (عقربة): هيا انهض!

(عقربة) وهو يشير لـ(نزاك) بالجلوس: ماذا أحضرت معك؟

(نافجة) تترك (عقربة) وتعقد أصابعها..

(نزاك) يجلس بجانب (عقربة) ويضع الطعام أمامه وهو يقول: ما بها؟

(عقربة) بالعربية وهو يمد يده للطعام: لا تظني أن سكوتي يدل على عدم قدرتي على ردعك.. التزمي الهدوء ولا تجعلي غضبك يتمكن منك.

(نافجة) بعصبية وهي ترخي أصابعها: لا يمكنني أن أقف هنا والعمة في خطر.

(عقربة) بالعربية وهو يتناول بعض الطعام ويشير لـ(نزاك) بمشاركته:

(دعجاء) لا تحتاج مساعدتك أو مساعدة أي أحد لقد اكتشفت اليوم أنها أخطر بكثير مما تظهر..

(نافجة) بغضب: وما أدراك أنت؟!

(عقربة) مبتسماً: تلك المرأة تخفي شيئاً مظلماً بداخلها ولا أتمنى يوماً أن أكون غريمها.

(نافجة) وهي تهم بالخروج من المنزل بغضب: ابق مكانك إذاً وأنا سأخرج للبحث عنها!

فتحت (نافجة) الباب ورأت (دعجاء) أمامها تقول مبتسمة: إلى أين يا (نافجة)؟

(نافجة) وهي تمسك بأكتاف (دعجاء): أين كنتِ يا عمة؟!

(دعجاء) وهي تدخل المنزل: كنت في مهمة بسيطة.

(عقربة) وهو يضع لقمة في فمه: هل انتهينا يا (دعجاء)؟

(دعجاء) وهي تجلس بثقل: بقي واحدة يا (عقربة).

(نزاك) بالفارسية لـ(عقربة): ما بها صاحبتك تبدو متعبة؟

(عقربة) وهو يتجاهل كلام (نزاك): هل تقصدين (أفسار)؟

(نافجة) تمد بعض الماء لـ(دعجاء) وتقول: (أفسار) لقد سمعت هذا الاسم من قبل

(دعجاء) وهي تشرب الماء: أين يا (نافجة)؟

(نافجة): عندما كنت قادمة لـ«فارس» قبل عامين على متن سفينة.

(عقربة): ساحرة مثل (أفسار) لا تحتاج أن تتنقل بالسفن.

(دعجاء) وهي تمسح فمها: لا يهم فأنا لم أخرج من الوادي حتى عرفت طريقها

(عقربة): كيف؟

(نافجة) لـ(عقربة) بغضب: هل يمكنك تأجيل هذا الحديث؟! العمة متعبة الآن!

(عقربة) متجاهلاً (نافجة): كيف حددتِ مكان (أفسار)؟

(دعجاء): من الجارية التي كانت تقيم في الوادي مع (جهنم).

(عقربة): وكيف علمت تلك الجارية بمكان (أفسار)؟

(دعجاء): يبدو أن (جهنم) كانت ابنة (أفسار) وكانت تطمئن عليها من وقت لأخر مستعينة بتلك الجارية.

(عقربة) باستغراب: ولماذا لم تقم معها في الجبل؟

(دعجاء) وهي تستلقي: لا أعرف ولا يهم.. المهم أنني سأذهب لمدينة اسمها «بستك» غداً.

(عقربة): «بستك»؟

(دعجاء) وهي تغمض عينيها: نعم.. (أفسار) تقيم هناك كما أخبرتني الجارية.

(عقربة): ألا تخشين أن تقوم تلك الجارية بتحذيرها؟

(دعجاء) وعيناها مغمضتان: الجارية لن تتحدث مع (أفسار) أو غيرها.

(عقربة): لم تخبريني.. ما الذي حدث مع (جهنم)؟

(نافجة) وهي تغطي (دعجاء): دع العمة ترتاح؟

(عقربة) وهو يعود لتناول الطعام: لا بأس.

(نزاك) بالفارسية: هل يمكن أن تتحدثوا بلغة أفهمها؟

(عقربة) بالفارسية وهو يتناول الطعام:

ليس من المهم أن تفهم المهم أن لا تحضر طعاماً رديئاً كهذا مرة أخرى.

استيقظت (دعجاء) في المساء ولم تجد سوى (نافجة) جالسة بالقرب منها فقالت:

أين (عقربة)؟

(نافجة): خرج مع صاحبه الفارسي.

(دعجاء): لَمَ أنتِ مستيقظة؟

(نافجة): لم يحن موعد نومي يا عمة.

(دعجاء) وهي تجلس مبتسمة: لن تذهبي معي غداً يا (نافجة).

(نافجة) بوجه متوتر: ماذا؟.. ماذا تقصدين يا عمة؟

(دعجاء): أعرف بأنك تظنين أنكِ مدينة لي لإخراجك من السجن لكن ذهابك معي ليس الطريقة لرد هذا المعروف.

(نافجة): لكني أريد مساعدتك.

(دعجاء): لا تردي لي الصنيع بتعريض نفسك للقتل.

(نافجة): لا يهم.

(دعجاء) وهي تبتسم: كنت أظن أن سبب هلاك ساحرات العرب هو ضعفهن لكني اكتشفت مؤخراً أن السبب مختلف.

(نافجة): وما السبب برأيك؟

(دعجاء): وهي سارحة في باب المنزل:

نحن لا نستخدم عقولنا بقدر ما نستخدم عواطفنا..

(نافجة): وهل العقل أهم من القلب؟

(دعجاء) وهي تلتفت على (نافجة): القلب شعلة يجب أن لا تنطفئ لكن مصيبتنا أننا نفقد السيطرة عليه ونحترق بتلك النار.

(نافجة): والعقل أحياناً مطرقة عمياء لو ضربنا بها بلا تمييز نتحول لطغاة ظالمين

(دعجاء): ظلم الظلم ليس بظلم..

(نافجة): هل تكرهينها؟

(دعجاء): من؟

(نافجة):.. (أفسار)..

(دعجاء): الكره إحساس لا يستحقه إلا من كنت تحمل له في قلبك يوماً شيئاً من الحب وعدا ذلك فلا تقدم له سوى الشفقة..

(نافجة):...

(دعجاء): ماذا كنتِ ستفعلين لو كنتِ مكاني؟ هل أملك خياراً غير التوجه غداً لـ«بستك» وانتزاع روح تلك الساحرة التي دمرت حياتي وسلبت حياة بناتي؟

(نافجة): هل أحسستِ بالراحة عندما قتلتِ (جهنم)؟

(دعجاء): الراحة محرمة على من يحمل في قلبه ثأراً يشتعل..

(نافجة): ومحرمة أيضاً على من يكتنز الأحقاد في جوفه..

(دعجاء): تلك الساحرة أحقر من أن أرهق قلبي بالحقد عليها.

(نافجة): سامحيها إذاً..

(دعجاء) بتجهم: أسامحها؟!.. هل جننتِ؟!

(نافجة): حياتها ليست بأحسنِ حالٍ كما تظنين.

(دعجاء): وما أدراكِ أنتِ؟

(نافجة): ألم تقولي بأنها كانت تطمئن على (جهنم) من خلال الجارية ولم تكن تقيم معها؟

(دعجاء): نعم.. ما علاقة ذلك بما تقولين؟

(نافجة): هذه المرأة محطمة يا عمة صدقيني وثأرك ستأخذينه بالعاقبة التي ستصيبها عاجلاً أم آجلاً.

(دعجاء): لن يثأر لبناتي أحدٌ سواي..

(نافجة) وهي تنهض: سوف أتركك لترتاحي الآن كي تستعدي للرحيل غداً.. وسأكون بانتظارك عندما تعودين من «بستك» كي نعود للجزيرة.

(دعجاء): من أي مكان في الجزيرة أنتِ يا (نافجة)؟

(نافجة) وهي تبتسم: من «هجر» لكن أمي من الجنوب.. وأنتِ يا عمة؟

(دعجاء) وهي تبتسم: عندما نعود سأخبرك..

بعد خروج (نافجة) من المنزل وقفت (دعجاء) وعقدت أصابعها وقرأت طلسم الانتقال وتوجهت لـ«بستك» بالرغم من أنها أخبرت الجميع أنها ذاهبة في الصباح...

وصلت (دعجاء) ليلاً وذهبت للمنزل الذي وصفته لها (آيرس) والذي كانت تقييم فيه (أفسار) وعند وصولها وقفت خارجه لفترة تحدق به بعدها تقدمت نحو الباب وطرقته. فتحت (أفسار) الباب

وبمجرد رؤيتها لـ(دعجاء) قالت بالعربية بهدوء وبابتسامة ذابلة: كان لدي إحساس بأنكِ ما زلت على قيد الحياة يا ابنة (وصبان)..

(دعجاء) بالفارسية: جسدي حي لكنكِ قتلتِ روحي عندما قتلتِ بناتي..

(أفسار) وهي تدير ظهرها وتدخل المنزل: أعرف قصدك فبناتي ماتوا جميعاً أيضاً.

(دعجاء) بتجهم وهي واقفة عند عتبة الباب: وماشأني ببناتك؟

(أفسار) وهي تجلس على كرسي خشبي:

معكِ حق.. لقد دمرت حياتك وحياة بناتك وأستحق ما حدث وسيحدث لي.

(دعجاء): ألن تقاتليني؟

(أفسار) وهي سارحة أمامها بوجه مكتئب: لا..

(دعجاء): لماذا؟

(أفسار): لا فائدة الآن من قتلك أو قتل غيرك.

(دعجاء) بسخرية: ألم تكوني تبحثين عن الثأر لأبيك؟.. أنا أمامك الآن.. هيا خذي بثأرك..

(أفسار): (نازانين).. (أرتميس).. (جريرة).. حتى (مهرناز).. ماتوا جميعاً.. كلما بحثت عن إحداهن تحطمت بخبر موتها وهرمت أكثر.. لم أجرؤ على البحث عن (أنهار) لأني متيقنة من أنها واجهت نفس المصير.

(دعجاء): ولَمَ أنتِ متيقنة من ذلك؟

(أفسار) وهي لا تزال سارحة: لأن الآلهة تعاقبني.. عندما جمعني القدر بـ(نزيم) لم أجد في قلبي رغبة في معانقتها حتى بعد تأكدي من أنها كانت صادقه وأنها بالفعل ابنتي التي كنت ابحث عنها منذ سنين.

(دعجاء) وهي تأخذ بعض الخطوات داخل المنزل: ولماذا لم تجدي الرغبة في معانقة ابنتك؟

(أفسار): لأن كل شيء أحبه يخطف مني ويحترق قلبي عليه حتى لم يبق لي قلبٌ أحب أو أحس به..

(دعجاء) تحدق بـ(أفسار) بصمت...

(أفسار): قدومك اليوم هو هدية من السماء لأني سأتخلص أخيراً من هذا الألم الذي ينهش بي..

(دعجاء) تحدق بـ(أفسار) بصمت..

(أفسار) ترفع نظرها نحو (دعجاء) وتقول بالعربية: هيا يا ابنة (وصبان) خذي بثأرك وبثأر بناتك فلن أقاومك أو أحاول التمسك بحياتي فالموت أصبح خلاصي الوحيد الآن..

(دعجاء) وهي تبتسم بشماته: لا أظن أنكِ ستجدين عذاباً أقسى من الذي وضعتِ نفسك فيه وأنا لا أريد أن أكون مثلك يا ابنة (آشور) ولن أكون مفتاح خلاصك.

أدارت (دعجاء) ظهرها وهمت بالخروج من المنزل لكنها وقبل أن تصل لعتبة الباب صعقت بألم شديد في ظهرها قذف بها خارج المنزل..

(دعجاء) وهي على الأرض تتألم: قوم غدرٍ كنتم ومازلتم..

(أفسار) وهي تخرج من المنزل مبتسمة:

عاطفتك ستكون سبب هلاكك يا ابنة (وصبان)..

أدركت (دعجاء) أنها وقعت ضحية حيلة (أفسار) في استعطافها والذي قادها للتخلي عن الحذر كي تصيبها بطلسم قاتل في لحظة غدر..

(دعجاء) وهي تزحف على الأرض لعجزها عن الوقوف:

لن تنالي مني مرة أخرى أيتها الفارسية!

(أفسار) وهي تتقدم نحو (دعجاء) وتضحك: أي وهم تعيشينه يا ابنة (وصبان)؟! الطلسم الذي أصابك لا نجاة منه سوى موت سريع سأقدمه لك بكل امتنان.

(دعجاء) وهي تزحف للأمام وتدمع وتقبل خاتمها العظمي: لن تنالي مني..

خرج من الأرض مجموعة كبيرة من العظام وبدأت بالتشكل أمام (دعجاء) الزاحفة و(أفسار) تشاهد المنظر بانبهار. اكتمل تشكل الكائن والذي كان جبلاً ضخماً من العظام بمئات الجماجم البشرية والحيوانية وقال لـ(دعجاء): من الذي ظلمك؟

(دعجاء) بأنفاس ثقيلة وهي على بطنها: (أفسار).. (أفسار بنت آشور)

تحركت جميع الجماجم التي كانت على ذلك الكائن الضخم ووجهت نظرها بتجاويف أعينها الفارغة نحو (أفسار) التي كانت تشاهد ذلك المنظر برعب شديد. بدأ جبل الجماجم بالسير نحو (أفسار) التي بدأت بالهرولة مبتعدة عن طريقه لكن خطواتها لم تكن لتأخذها بعيدا عن مجال ذلك الجبل الضخم فتوقف ووقفت أمامه وهي تقول:

حيلة جميلة يا (دعجاء) لكن لكل منا حيله الخاصة..

قبضت (أفسار) حفنة من تراب الأرض تحتها ووضعتها في فمها وابتلعتها وهي تقول: الأرض أرضي والسماء سمائي والقبر قبر عدوي..

بعدما أنهت (أفسار) عبارتها انشقت الأرض من تحت جبل الجماجم وابتلعته في الحال. سارت بعدها بخطوات بطيئة وابتسامة عريضة نحو (دعجاء) التي كانت لاتزال على بطنها.

(أفسار) وهي تقف فوق رأس (دعجاء) مباشرة وتعقد أصابعها مبتسمة بالعربية:

القوة ليست كل شيء يا ابنة العرب..

(نافجة) من خلف (أفسار) بالعربية: لنرَ قوتك يا فارسية..

التفتت (أفسار) بابتسامة اختفت بمجرد رؤيتها (نافجة) تقف بأصابع معقودة و(عقربة) يقف بجانبها..

(أفسار) باستغراب يخالطه بعض التوتر:

أنتِ؟.. أنتِ تلك المرأة التي كانت على السفينة أليس كذلك؟

(نافجة) موجهة كلامها لـ(عقربة): اهتم بالعمة واترك لي الفارسية.

اندفعت (نافجة) نحو (أفسار) التي تنحت عن طريقها بسرعة ووقفت بأصابع معقودة تحدق بـ(نافجة) بحدة وتوتر وتقول:

هل تظنين بأنك تستطيعين هزيمتي؟!.. نحن لسنا على السفينة وأنا لست أحد غرانيق البحر الهزيلة!

(نافجة) ونظرها بين (عقربة) الذي سحب (دعجاء) بعيداً وبين (أفسار) المتأهبة للاشتباك معها: سنعرف الآن يا فارسية إذا كنتِ تستطيعين هزيمة من يواجهك وجهاً لوجه..

(أفسار): ستنهارين وتتحطمين كبقية الحمقى الذين واجهوني من قبل!

(نافجة): لن يحطمك شيء إلا من داخلك..

قرأت (أفسار) طلسماً أخرج ثعابين كبيرة من الأرض المحيطة بها والتي اندفعت نحو (نافجة) التي تمتمت بطلسم شكل أمامها سيفا كبيرا أمسكته وبدأت بتقطيع تلك الثعابين واحداً تلو الآخر.

(أفسار) بالفارسية وهي تبتسم: لا بأس بك أيتها العربية..

(نافجة) وهي تقطع رأس آخر ثعبان: جاء دوري الآن!

غرست (نافجة) السيف في الأرض وبسطت كفيها وأغمضت

عينيها وبدأت تقرأ بعض الطلاسم التي حركت السيف وأخرجته من الأرض لينطلق نحو (أفسار) بسرعة هائلة لم تمكنها من صده في الوقت المناسب فأصابها في فخذها الأيمن عندما عبر بجانبها بسرعة البرق. إرتفع السيف لكبد السماء واستقر خلف (أفسار) وبقي ثابتاً في الأعلى دون حراك وخلال مراقبة (أفسار) له حذراً من تحركه قرأت (نافجة) طلسماً آخر تشكل على أثره حولها مجموعة من الخيول البيضاء بأعين حمراء وامتطت أحدها وانطلقت بهم باتجاه (أفسار) التي كانت تبتسم وتقول:

طلاسمك تصلح للاستعراض وليس القتال يا امرأة!

وضعت (أفسار) كفيها على وجهها ثم باعدتهم بعد قراءة طلسم سريع أتبعته بالنفخ على (نافجة) وقطيع الخيول البيضاء المندفع نحوها فتجمدوا جميعاً لتسقط (نافجة) على الأرض وتتجمد إحدى قدميها.

(أفسار) وهي تقترب من (نافجة) بابتسامة عريضة:

لقد انتهى القتال يا عربية هل لديك كلمة أخيرة قبل أن أرسلك للجحيم؟

(نافجة) وهي تجلس بثقل وترفع نظرها للسماء خلف (أفسار):

أبلغيهم أن (نافجة بنت أملج) أرسلتك..

وقبل أن ترد (أفسار) انغرس السيف الذي كان يحوم في السماء خلفها في ظهرها وخرج من صدرها مروراً بقلبها..

نزلت (أفسار) على ركبتيها والدماء تنزف من فمها وصدرها وهي تنظر لـ(نافجة) بعينين امتلأتا بالدهشة والغضب لتسقطَ بعدها جثة هامدة..

وقفت (نافجة) بصعوبة بسبب قدمها المتجمدة وبدأت تعرج باتجاه (عقربة) الذي كان جالساً بالقرب من (دعجاء) المستلقية..

(نافجة) وهي تجلس بصعوبة بجانب (عقربة): كيف حال العمة؟

(عقربة) وهو ينظر لـ(دعجاء): فارقت الحياة قبل أن أستطيع مساعدتها.

(نافجة) وهي تنظر لوجه (دعجاء) المبتسم بحزن شديد: تبدو سعيدة..

(عقربة): ربما بسبب ما قالته قبل أن تلفظ نفسها الأخير.

(نافجة) وهي تمسح دمعة نزلت من عينها: ماذا قالت؟

(عقربة) وهو يحدق بوجه (دعجاء) المبتسم:

بناتي يلعبون أمامي و(ربوح) تشير لي للانضمام إليهم..

(نافجة) بحزن: تمنيت لو أني أمضيت معها وقتاً أطول.

(عقربة): هذه المرأة لم تكن ملاكاً.

(نافجة) وهي تنظر لـ(دعجاء) بحزن: ولم تكن شيطاناً أيضاً..

(عقربة): يجب أن ندفنها ونرحل من هنا.

(نافجة): لن تدفن هنا.. هل طلاسم الانتقال تنقل الموتى.

(عقربة): إذا أمسكت بها نعم لكن أين سندفنها؟

(نافجة) تحاول الوقوف بصعوبة..

(عقربة): ما بها قدمك؟

(نافجة) وهي ترفع ردائها وتكشف عن قدمها المتجمدة:

تلك الساحرة أصابتني بطلسم في قدمي.

(عقربة) وهو يتفحص قدم (نافجة):

يجب أن تبتر قدمك في أسرع وقت قبل أن يمتد الأذى لبقية جسدك.

(نافجة): هل يمكنك القيام بذلك؟

(عقربة): نعم لكني سأحتاج ناراً لكي الجرح وخليطاً أسقيه لك كي لا تحسي بالألم خلال البتر.

(نافجة): إشعال النار أمر سهل ولا تقلق بشأن تحملي الألم.

(عقربة) وهو يرفع رأسه وينظر لـ(نافجة): الألم سوف يكون مبرحاً.

(نافجة) وهي تجلس: أشعل النار ولا تتأخر.

بتر (عقربة) قدم (نافجة) بخنجر كان يحمله بعدما أشعل ناراً مستعيناً ببعض الأخشاب الجافة وقام بكي جرحها مباشرة.

(نافجة) وهي تبعد قطعة القماش التي كانت تعض عليها خلال البتر:

لنرحل الآن..

(عقربة): إلى أين؟

(نافجة): «هجر».. خذني أنا والعمة لـ«هجر».

(عقربة) وهو يمسك بقدم (نافجة) المبتورة مبتسماً: وماذا عن قدمك؟

(نافجة) وهي تأخذ قدمها من يد (عقربة): لن يبقى أحد منا في هذه الأرض..

امسكت (نافجة) بيدها اليمنى جزءاً من لباس (دعجاء) بعدما وضعت قدمها المبتورة في حجرها وبيدها اليسرى طرف رداء (عقربة) الذي وقف بجانبها يقرأ طلسم الانتقال لـ«هجر». عاد الثلاثة لـ«هجر» وحطوا خارج أسوارها وبمجرد وصولهم قالت (نافجة) وهي تنظر لجثة (دعجاء): لندفنها هنا.

دفنت (نافجة) (دعجاء) بعدما وضعت قدمها المبتورة معها في اللحد وقالت : ليبقى جزء مني معكِ حتى تلحق روحي بكِ أيتها العظيمة..

بعدما دُفنت (دعجاء) مد (عقربة) عصاه الخشبية لـ(نافجة) وهو يقول:

هل ستعودين لـ«هجر»؟

(نافجة) وهي تتكئ على عصا (عقربة) وتنظر لأسوار المدينة البعيدة: في الوقت الحالي سأحط رحالي فيها..

(عقربة): أنا سأعود إلى «لخمو» فلابد أن منزلي مكتظ بالمرضى الآن.

(نافجة): رافقتك السلامة أيها البابلي.

عقد (عقربة) أصابعه وقرأ طلاسم الانتقال ثم اختفى..

وقفت (نافجة) تحدق بالأفق وتسترجع بذاكرتها حواراً دار بينها وبين (دعجاء) في «تيرازيس»:

(نافجة): عندما تنتهين يا عمة وتعودين للجزيرة أين ستذهبين؟

(دعجاء) وهي تأخذ نفساً عميقاً وتزفره: لـ«اليمامة».

(نافجة) وهي مبتسمة: أنتِ من «اليمامة» إذاً؟

(دعجاء) وهي تبتسم: لا لكن لدي عمل غير منجز هناك وأنوي الانتهاء منه

(نافجة): هل تحتاجين مساعدة يا عمة؟

(دعجاء): لا فهذه المرة سأحقق حلمي وحلم (عانكة) لوحدي..

(نافجة) وهي تبتسم بتعجب: (عانكة) من؟

(دعجاء): امرأة كان لديها حلم بقي حياً بي وأتمنى ألا يموت معي..

(نافجة): الأحلام لا تموت بموت أصحابها بل بموت من يؤمن بها..

***

نهاية البداية

عندما أدرك (وصبان) أن (آشور) قد رآه مختبئاً خلف النخيل خلال متابعته له في الـ«بستان الكبير» قرر الخروج ومجابهته. تقدم (وصبان) باتجاه (آشور) ومعه ابنته الصغيرة (دعجاء) التي كانت تختبئ خلفه وعند وصوله لـ(آشور) قال بالعربية: ما الذي أتى بك إلى «هجر» يا (آشور)؟

(آشور) بالعربية وهو يبتسم: هل سنتحدث أمام طفلتك؟

(وصبان) وهو ينظر لـ(أفسار) والتي كانت على بعد منهم تقطف بعض الزهور البيضاء: هل هذه ابنتك؟

(آشور) وهو ينظر لـ(أفسار) ويبتسم: نعم.. ابنتي (أفسار)

(وصبان): اذهبي يا (دعجاء) والعبي مع (أفسار)..

بعدما ذهبت (دعجاء) وجلست مع (أفسار) وهي تقطف الزهور قال (آشور) وهو ينظر إليهما:

أليس من الجميل لو أننا تعايشنا مثلما يتعايش أطفالنا؟

(وصبان) وهو ينظر للأطفال: وما الذي يمنعك؟

(آشور) وهو يلتفت على (وصبان): نفس السبب الذي يمنعك..

(وصبان) وهو يلتفت على (آشور): لا أحد يبحث عن المشاكل خاصة إذا كان يريد العيش بسلام مع أهله ومن يحب.

(آشور): أنا أعرف أنك أتيت لقتلي لكنها ليست رغبتك بل رغبة من أوكلوك بذلك.

(وصبان) بتجهم: أنا لا أريد قتلك أو قتل أي أحد!

(آشور) مبتسماً بهدوء: لكنك ستفعل..

(وصبان): إذا تجاوزتني وحاولت الذهاب لـ«هجر» سأكون مضطراً لذلك.

(آشور) وهو يبتسم وينظر لـ(أفسار):

أنا معجب بعزيمتك وإصرارك للدفاع عن مبدأ لست مقتنعاً به.

(وصبان): ماذا تقصد؟

(آشور) وهو سارح في (أفسار) وهي تلعب وتضحك مع (دعجاء):

أتباعي في «هجر» بدأوا يصابون بالخمول بسبب تقاعس السحرة في «فارس» عن دعمهم وهذا الخمول سيطفئ النار التي أوقدتها منذ سنين.

(وصبان) وهو يحدق بـ(آشور): وما الذي ستجنيه من إشعال الحرب بيننا وبينكم؟

(آشور) وهو يلتفت على (وصبان) بغضب: لست أنا من بدأ هذه الحرب!

(وصبان) بتجهم: من إذاً؟

(آشور): سأكون كاذباً لو قلت لك بأني أعرف لكن لا يهم من بدأها المهم من ينهيها ويجب أن تكون لنا الغلبة في النهاية مهما كلف الأمر.

(وصبان): عد من حيث أتيت أيها الفارسي واحقن الدماء بين شعبنا وشعبكم.

(آشور) بتجهم: وماذا عن الظلم الذي تمارسونه على أتباعنا في «هجر»؟!

(وصبان) بغضب خفيف: أنت تعرف بأننا لا نمارس أي ظلم عليهم!

(آشور) وهو يخرج خنجراً من جيبه: أعرف لكن ذلك لا يخدم أهدافنا.

(وصبان) وهو يتراجع قليلاً للوراء:

لا تكن أحمقاً يا (آشور) لو هاجمتني سوف أكون مرغماً للدفاع عن نفسي!

(آشور) وهو يندفع بخنجره نحو (وصبان): دافع عن نفسك!

حرك (وصبان) أنامله وشل حركة (آشور) الذي وقف منبهراً من قدرة (وصبان) التي جمدت حركته بسهولة وقال: يبدو أني قللت من شأن قدرتك أيها العربي..

(وصبان): عد أيها الفارسي.. خذ ابنتك وعد لديارك وتخلَّ عن

فكرتك المجنونة فلولا وجودها معك لكنت الآن في عداد الأموات.

(آشور) وهو يبتسم وينزل رأسه: حررني وسأعود لـ«فارس»..

(وصبان) وهو يحرك أنامله ويحرر (آشور): عين العقل يا (آشور)..

(آشور) وهو يطعن نفسه بعد تحرره: بيدي أم بيدك الحرب يجب أن تشتعل..

(وصبان): ماذا تفعل أيها المجنون؟!

(آشور) يصرخ وهو يغرس خنجره أعمق في صدره ثم يقع على الأرض وهو غارقٌ في دمائه..

جرت (أفسار) نحو أبيها بعدما سمعت صراخه وعند وصولها إليه فجعت من منظره وهو غارق في دمائه فحاول (وصبان) سحبها كي لا تشاهد أباها بهذا الشكل لكنها فقدت الوعي قبلها. حمل (وصبان) (أفسار) وجرى نحو (دعجاء) وحملها أيضاً ثم قرأ طلسم الانتقال وعاد لـ«هجر» وتوجه مسرعاً لمنزل صديقه (نومان) وحكى له ما حدث فقال: لا تذكر هذا الكلام لأحد أبداً!

(وصبان): وماذا عن الفتاة؟

(نومان): لا تقلق سوف أعتني بها المهم الآن هو أن تخرج من «هجر».

(وصبان): أخرج؟.. أخرج إلى أين؟!

(نومان): لا يهم! المهم أن لا تشرق الشمس وأنت في «هجر»!

رحل (وصبان) وعاد لمنزله وهو في حيرة من أمره لكنه لم يطل في

التفكير وقرر الخروج من «هجر» وأخذ ابنته معه. توجه (نومان) في نفس اليوم وطرق باب أحد المنازل ففتح له رجلٌ يحمل على يده وشماً لثلاثة شموس وقال وهو يمد له (أفسار) المغمي عليها: هذه ابنة (آشور)..

(الرجل): وهو يحمل (أفسار) بتجهم: وأين (آشور)؟!

(نومان): قتله ساحر يدعى (وصبان).

(الرجل) بغضب: ولماذا تخبرني ذلك؟

(نومان) وهو يرفع سبابته في وجه الرجل:

هذه رسالة منا كي لا تفكروا بالاستعانة بالفرس لنصرتكم مرة أخرى!

(الرجل) بتجهم: وأين جثته الآن؟

(نومان) وهو يهم بالرحيل: في البستان الكبير تتعفن..

غضب الرجل من كلام (نومان) غضباً شديداً وخرج من منزله واتجه لمنزل آخر وطرق بابه وعندما فتح له الباب قال لأتباعه الذين كانوا فيه بأنه سيرحل فوراً للساحل الشرقي ليلحق أول سفينة متجهة لـ«فارس» كي يبلغهم بمقتل (آشور) ويعيد ابنته إليهم وأوصاهم كذلك بالبحث عن جثته ودفنها وقبل رحيله أوقفه أحد أتباعه وقال: لماذا قتلوه؟

(الرجل): لا يهم لماذا قتلوه أو من قتله المهم أن نأخذ بثأره!

(التابع): نأخذ بثأره ممن؟

(الرجل) بغضب: من أي شخص لا ينتمي إلينا!

رحل بعدها الرجل وتوجه إلى «فارس» ومعه (أفسار) ليعيدها لعمها (مهربان)..

***

عبرة العابرين

في منزل صغير في «أرض كنعان» جلس رجل عجوز يخط بيده مخطوطة..

دخل عليه أحد تلاميذه واستأذنه بالحديث..

(التلميذ) وهو منحني الرأس: لقد حان الوقت لتحركنا أيها (الماران)

(العجوز) وهو يتوقف عن الكتابة ويضع الريشة جانباً:

هل أعددتم العدة لدخول «أرض إبراهيم»؟

(التلميذ): لم نعد بحاجة لذلك أيها السيد..

(العجوز): ماذا تقصد؟.. لقد أمرتك بالاستعداد لسنوات للإطاحة بسحرة الجزيرة والفرس لابتلاع أراضيهم وضمها إلينا.

(التلميذ): أعرف أيها الـ(الماران) لكن لم يبقَ منهم أحد..

(العجوز) باستغراب: ماذا تقصد بـ "لم يبقَ منهم أحد"؟

(التلميذ): لقد أباد بعضهم بعضاً و«بلاد العرب» و«فارس» أصبحتا

خاليتين من السحرة البارزين الذين يمكنهم الوقوف في طريقنا وخططنا للتوسع.

(العجوز): ماذا عن كبار سحرة «اليمامة» وسحرة «هجر»؟

(التلميذ): أُبيدوا جميعاً..

(العجوز) باستغراب: وسحرة جبل «آريان» و«تخت سليمان»؟

(التلميذ): واجهوا نفس المصير حتى مملكة الجن الأزرق انهارت ولم يبقَ منهم إلا القليل..

(العجوز): هل تعني أنه لم يعد هناك ساحر أو ساحرة ذوا شأن يمكنه الوقوف أمامنا؟

(التلميذ): لا يوجد سوى ساحرة واحدة تلقب بـ(العرجاء) تعيش في «هجر» ولا أظن أنها تستطيع مقاومتنا وحدها.

(العجوز) وهو يبتسم: هذه هدية غالية من الرب.. لنتحرك إذاً ونأخذ حقنا ونبسط سلطتنا على تلك البقاع قبل أن يسبقنا أحد لهذه الغنيمة.

(التلميذ): أمرك يا سيدي..

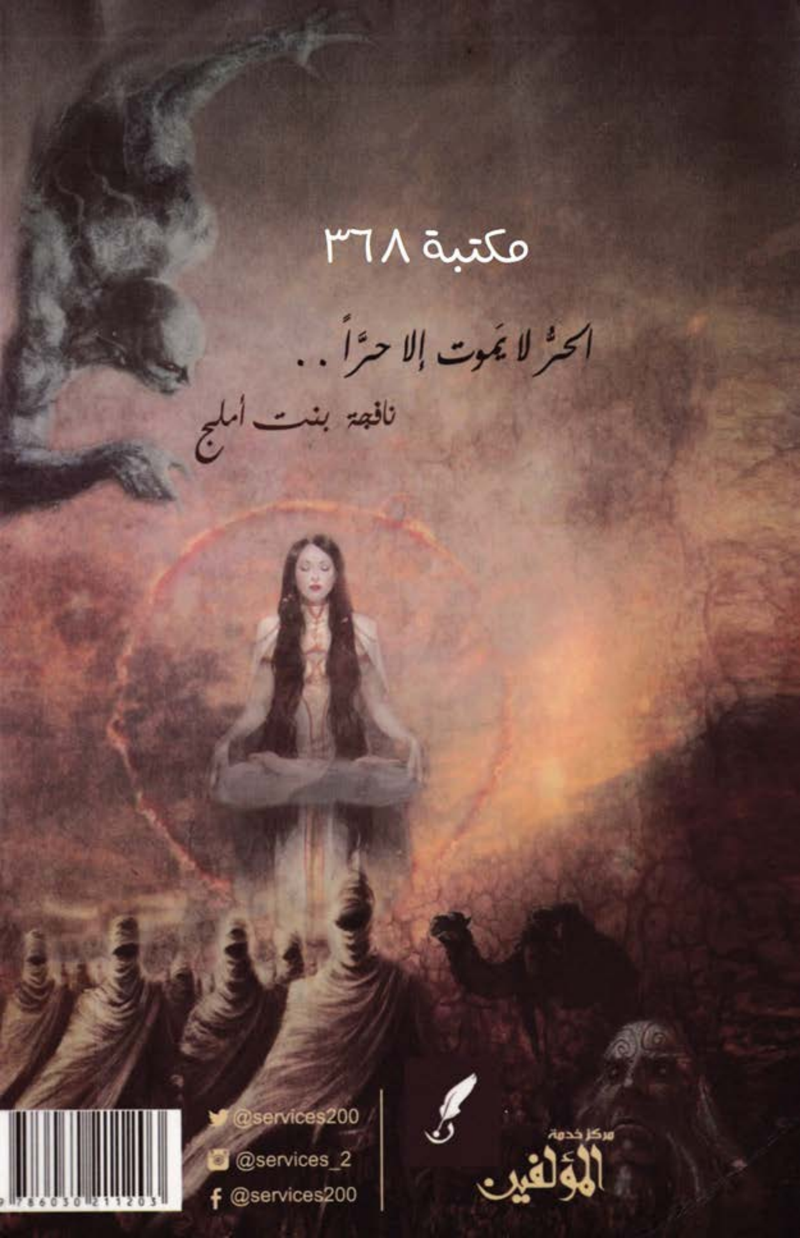
***

«الكره والانتقام رحى تدور وتطحن الجميع

ولن يكسرها سوى

التسامح والتعايش وقبول الآخر»

أسامة المسلم



مكتبة ٣٦٨

الحرُّ لا يَموت إلا حرًّا ..

نافجة بنت أملج

@services200
@services_2
@services200

مركز خدمة
المؤلفين

9786030211203